

كتاب العقد الفريد للملك السعيد
تأليف أبي سالم محمد بن طلحة
الوزير تغمد الله بغيرائه
وأسكنه جديحة
بخدمته آمين
آمين

قال في كشف الظنون

(العقد الفريد للملك السعيد) لأبي سالم محمد بن طلحة القرشي النضيري الوزير
المتوفى سنة ٤٠٣هـ اثنتين وخمسين وستائة أوله الحمد لله حامى حوزة بلاده بملوك الخ
جعله على أربعة فواعيد (الأولى) في مهمات الاخلاق والمرفقات (الثانية)
في السلطنة والولايات (الثالثة) في الشرائع والديانات (الرابعة) في تكميل
المطلوب بأنواع من الزيادات

صفحة	
٤	مقدمة الكتاب
٥	التعديلات الأولى في مهمات الاخلاق والصفات وهي تشمل على عشرة أبواب
٧	الباب الأول في العقل وما ينبغي عليه في عقيدة التوحيد الواجبة وفرائض
	العبادات اللازمة
٨	فراصة سيدنا سليمان
٨	الاستدلال على عقل الانسان
٩	حكاية عن قلة العقل وسوء النية
١٢	حكايات عن وفور العقل وكونه سبب التقدم
١٣	حكاية بديعة عن كرم النفس
١٥	عن ذكاء أياس
١٦	خاتمة لهذا الباب
١٧	نصائح للملوك
٢٠	عقيدة المؤلف
٢١	أركان الاسلام
٢٢	خاتمة
٢٤	الركن الثالث من أركان الاسلام الزكاة
٢٥	الركن الرابع صوم شهر رمضان
٢٥	الركن الخامس الحج
٢٦	الباب الثاني في مدح الصبر والتثبت وضم الجهر والتسرع
٢٧	لطيفة عن فوائد الصبر
٣٠	نفيسة في اضرار الجهر
٣١	تذكرة نافعة وتبصرة جامعة
٣١	هداية وانحة وبداية صالحة
٣٢	قصة عن صبر نوح
٣٢	قصة عن صبر ابراهيم
٣٣	قصة عن صبر اسحاق
٣٤	قصة عن صبر يعقوب
٣٤	قصة عن صبر أيوب

٣٤	خاتمة هذا الباب في الفقر الموضوع والدرر المسموعة
٣٩	الباب الثالث في صفة الشكر ومدحه وذم الكفران وقبحه
٤٠	حكاية بليغة عن كفران النعمة
٤١	خاتمة لهذا الباب في الحكم الحسان النازلة في جيد الزمان منزلة قلايد العقيان
٤٢	الباب الرابع في المشورة وبركاتهما وذم تركها ومجانبتها
٤٣	تهذيب واضح وتنبيه لا يبع
٤٤	اشارة عزيزة وعبارة وجيزة
٤٥	حكاية عن فوائد المشورة
٤٥	مطلب في اضرار ترك المشورة
٤٦	لطيفة في فوائد المشورة
٤٧	من استشار نجما من النار
٤٩	حكاية عن فوائد المشورة
٥١	خاتمة لهذا الباب في الحكم المقولة والالفاظ المنقولة
٥١	الباب الخامس في الانصاف والعدل في الرعية وذم الظلم والاجحاف في البرية
٥٣	اعتبار واستبصار في العدل
٥٤	ومن تداول الاسنة على طول الازمنة
٥٥	اعتبار نافع وتذكير جامع
٥٦	لطيفة عن شر المحور
٥٨	نفيسة عن عدل ابن طولون
٥٩	عجبة عن عدل عمر بن الخطاب
٦٠	حكاية عن عواقب الظلم الوخيمة
٦١	تذكرة وتبصرة
٦١	غريبة عن عدل المعتمد على الله
٦٣	حكاية عجيبه عن عدل الخليفة المعتمد بالله
٦٥	شفاء وموعظة وأشياء موقظة
٦٦	نادرة قضية عبد الله بن مروان مع ملك النوبة
٦٩	الباب السادس في الاتفاق والائتلاف وذم الشقاق والخلاف
٧٠	حكاية عن اضرار الخلاف وفوائد الائتلاف
٧٢	زيادة ايضاح وبيان وافادة ملح حسان

صفحة	
٧٣	قصة الاوس والخزرج
٧٨	خاتمة لهذا الباب
٧٨	الباب السابع في مدح الودع وذم الغدر
٧٩	نادر في الوفاء
٨١	غريبة وماجزء الاحسان الامثلة
٨٤	نادر في تقرير بيان وتقرير برهان
٨٥	غريبة تأكيدي اضاح وتبديد افتتاح
٨٦	تنبيه واستبصار وتذكير واعتبار
٨٦	جوهرة حديث المموأل بن عادي
٨٧	غريبة قصة ثعلبة بن حاطب الانصاري
٨٨	افادة تهذيب وزيادة تقرير
٨٩	لطيفة عن وفاة جميل
٨٩	نادر عن عدم نسيان احسان البرامكة
٩٢	في ان الوفاء يحصى من المعالي
٩٥	الباب الثامن في التيقظ وانتهاز الفرصة وذم التواني والغفلة
٩٧	تمتظ ازديشير وعمر بن الخطاب
٩٨	حكاية عن تقصير عمر بن الخطاب لاحوال رعيته
٩٨	لطيفة أخرى عنه
٩٩	تطالع معارية لاحوال رعيته
١٠٠	غريبة عن تمتظ المنصور
١٠١	نادر عن تمتظ المنصور
١٠٤	تهذيب واعتبار وتقرير واستبصار
١٠٤	محنة عن التواني
١٠٥	انقضاء وانعاض
١٠٥	تفهيم اهتداء وتعليم اقتداء
١٠٦	لطيفة عن احتمال الخسار
١٠٧	فطانة تبديد بيان وتأكيدي برهان
١٠٩	الباب التاسع في العفو واصطناع المعروف
١١١	بداية وهداية

صفحة	
١١٢	تأ كمدسان وتحديد برهان
١١٤	استنبصار مهتم واعتبار نقد
١١٥	حكاية عن المنصور
١١٦	موقعة بلغة بعض الحكام على تطاع أسواق رعاياهم
١١٨	تذليل إشارة وتسهيل عبارة
١١٨	بدبعة عن الحجاج
١٢٠	تهدية عدة وتحديد يد فائدة
١٢٠	غريبة عن واقعة يزيد بن المهلب
١٢١	لطيفة وهي واقعة الكوفي مع معن ابن زائدة
١٢٢	غريبة ومن غرائب هذا المطوب وعبائب هذا الاسلوب
١٢٣	جوهرة قضية عبد الله بن مالك الذي كان ينفذ أوامر الخليفة ويخالف إيمانه
	ثم تولى ابنه الخلافة فقربه إليه
١٢٤	غريبة
١٢٦	خاتمة لهذا الباب
١٢٦	الباب العاشر في مدح الصدق وذم الكذب
١٢٧	ومخالفه زيادة استنبصار وإفادة اعتبار
١٢٧	حكاية الغار
١٢٨	نفسه قضية الثلاث الذين تخافوا في غزوة بؤك
١٢٩	زيادة وإفادة في ضرر الكذب
١٣٢	حكاية عن قضية الأقربع والأبرص والاعمى وهي تشتمل على ضرر الكذب
١٣٢	القاعدة الثانية في السلطنة والولايات
١٣٣	الباب الأول
١٣٦	السبب الأول في الكبر والتعبر
١٣٦	السبب الثاني في الحب
١٣٧	السبب الثالث في الغرور
١٣٧	السبب الرابع في الشح
١٣٨	السبب الخامس في الكذب
١٤٢	تحديد اقتراح وتأ كمدابضاح واجبات السلطان
١٤٣	الباب الثاني في الولايات
١٤٤	الوزارة

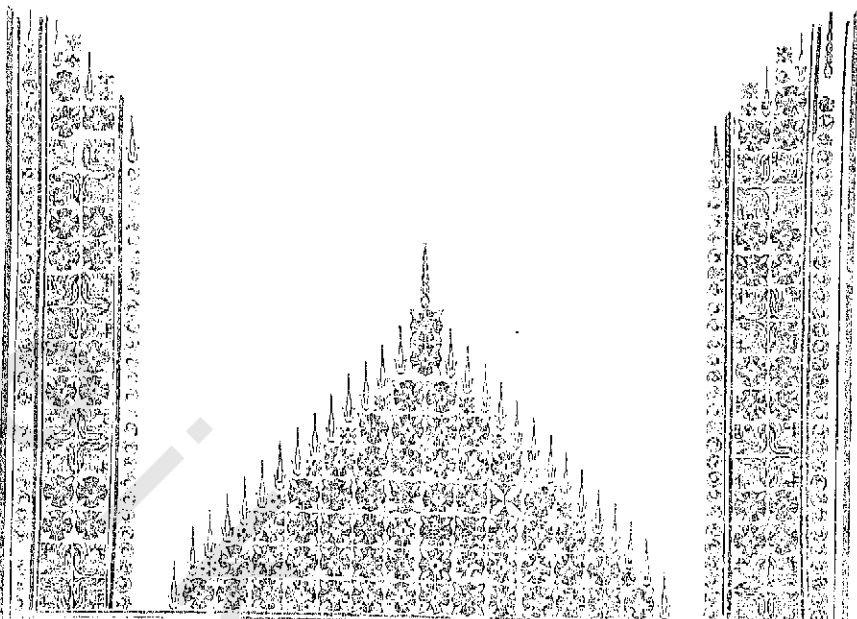
صفحة	
١٤٦	وزير التفويض
١٤٦	وزارة التفتيش
١٤٧	كتابة الانشاء
١٤٨	كتابة الانشاء أيضا
١٥١	استعارة
١٥١	التشبيه
١٥١	الكناية
١٥٢	الاطناب
١٥٢	المغالطة
١٥٢	التضمين
١٥٣	الاستدراج
١٥٣	المسادی
١٥٣	المخالف
١٥٤	كتابة الجيش
١٥٦	صاحب ديوان الجيش
١٥٦	ترتيب القبائل
١٥٧	ترتيب المعاش والكلام على الاقطاعات
١٥٨	كتابة ديوان الاموال
١٥٩	الجزية
١٦٠	الخزاج
١٦٠	العشور
١٦١	الاجور
١٦١	الزكوات
١٦٢	أثمان المبيعات
١٦٢	المقاسمات
١٦٢	الغنية
١٦٢	الفقير
١٦٨	المسادن
١٦٢	الشيعة الخامسة

صفحة	
١٦٤	القاعدة الثالثة في الشريعة والديانات
١٦٥	الركن الاول الفتيا
١٦٦	الركن الثاني القضاء وشروطه
١٦٩	خاتمة لهذا الركن
١٦٩	القضية الاولى عن عدل محمد بن عمران الطلحي
١٧٥	القضية الثانية عدل عاتبة بن يزيد القاضي
١٢٥	القضية الثالثة عدل شريك بن عبد الله قاضي الكوفة
١٧١	القضية الرابعة عدل القاضي شريك أيضا
١٧٢	القضية الخامسة عدل عبيد بن ظبيان قاضي الرشيد بالرة
١٧٣	القضية السادسة جراءة عمر بن حبيب القاضي
١٧٥	القضية السابعة عدل حفص القاضي
١٧٦	القضية الثامنة عدل القاضي أي حاتم
١٧٧	القضية التاسعة نادرة في عدل أي حاتم عبد الحميد القاضي
١٧٨	القضية العاشرة عدل اسماعيل القاضي
١٧٩	الركن الثالث الخمسة
١٨٥	النوع الاول في حقوق الله تعالى
١٨٥	النوع الثاني حقوق العباد والمساومات
١٨١	النوع الثالث ما هو مشترك بين حقوق الله تعالى وحقوق العباد
١٨٢	الركن الرابع مع الاوقاف وما يتعلق بها
١٨٣	الاول في شروط المتولي الوتف
١٨٥	القاعدة الرابعة في تكميل المطلوب بأنواع من الزبادات
١٨٦	مسائل العبادات
١٩٢	مسائل المناكحات
١٩٨	مسائل أخرى
٢٠٥	مسائل رياضية وحسابية
٢١٥	جدول سيخرج منه أوائل الشهور مرتب باسم الملك يوسف صلاح الدين
	وكيفية استخراج مذكو في صحيفة ٢٠٨
٢١١	جدول أسماء الشهور
٢١٢	خاتمة الكتاب وهي الدعاء

كتاب العقد الفريد للملك السعيد
تأليف أبي سالم محمد بن طلحة
الوزير تغمد الله بغيرائه
وأسكنه جديحة
بخدمته آمين
آمين

قال في كشف الظنون

(العقد الفريد للملك السعيد) لأبي سالم محمد بن طلحة القرشي النضيري الوزير
المتوفى سنة ٤٠٣هـ اثنتان وخمسين وستائة أوله الحمد لله حامى حوزة بلاده بملوك الخ
جعله على أربعة فواعيد (الأولى) في مهمات الاخلاق والمصالح (الثانية)
في السلطنة والولايات (الثالثة) في الشرائع والديانات (الرابعة) في تكميل
المطلوب بأنواع من الزيادات



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

يقول العبد الفقير الى مولاه الراجي عفوه ورضاه محمد بن طلحة غفر الله له
وعقابه * الحمد لله حامي حوزة بلاده * بملوك اجتهادهم لحراسة عبادته *
وباهم من الطاف امداده * بطوائف ارفاده * وصالواته على رسوله محمد
الاسطفي الذي جاهد في الله حق جهاده * حتى ثقف من الاسلام اودمناقه *
صلاة ينجو بها قائلها من عساده * ويكررها على تعاقب احقاب الزمان
وآباده ﴿ وبعده ﴾ فان القلم اذا جرى في القدم بتأيد الله واسعاده * من
اختصه من ملوك الدنيا بتوقيفه وارشاده * ألهمه اكتساب السجيا الحميدة
نورى في اقتباسها قدح زباده * وأكرمه بالزبا الشريفة فأجناه من غراس
سعه فصار مراده * وأيقظ طرف عزمه في مكارم الاخلاق فتنبه من وسن
رقاده * وركض طرف فهمه في مضمار الوقائع فأدرك غامضها بحرى
سواده * حتى يرى أن استعباده رقاب الاحرار بسدا * طارف احسانه وتلاده *
واستنفاده في آساء سنة العمل وامانة سنة النظم غاية جهده ونهاية اجتهاده *

عبد مملوك على
مؤيد سعادته
بكتفى والمعوج
الاسماء
ملا فدا تهي
الاسماء

أنفع ذخائره التي يعتدّها من عتاده لمعاده * فلاجزم بفتح كل ذي فضل ونهسي
 ثناء لسانه وشكر فؤاده * ويتجسّضه كل ذي زهد وتوق بقط من صالح دعائه
 في وظائف أوراده * كال مقام الكريم العالي المولوى السلطانى الملوكى
 السعيدى النجمى أفاض الله عليه من لباس التأييد موقوف أبراده وراض
 جوامع الاقدار لطاعته لتسكون من أعوانه وأجناده * وجعل طلى اصداه
 وكلّى حساده يوم جلاله أنجاد الحمداده * فانه لما قولاه الله بهين عنايته
 فى اصداه وابراده * وحياءه من خفى أظافه بشرف نفس شفع به شرف ميلاده *
 وآتاه ومم ذلك كله فأدعنه له الاقبال باحسانه واثباته * (شعر)
 ودرت له أخلاق كل سمية * غاشها الى العلياء طول نجاهه
 وحاز رهان السبق فى حلبة العلى * بذى شرف من صافيات جياهه

وانضاف الى ذلك أن غمرنى فى الايام السالفة من صيب احسانه بمدراره
 ومخفى من سيب عطائه بتياره وأبرلنى من قلبه الشريف على تعهد عهدي
 بمقامه الكريم المنيف منزلة فرضت على ترتيب جده بتلاوته وتكراره فالانسان
 ان لم يقم بشكر المحسن اليه فانه ليكنود وانه ان جنح الى الانكار والجحود فهو
 من آثار الممار التي شملت بين شاهد ومشهود فرأيت انى لا أقوم فى هذا المقصد
 المطلوب والمطلب المتصود بشكر سبل احسانه السابح البرود وحمد منهل انعامه
 الشائع البرود الاتألف كتاب تكون جواهر معرفته أزين لعارفه من حلى
 العقود وزداد العالم به مهابة وجلالا لا سيما يوم حضور الجمع ووفود الوفود
 ويطالع بمجالسته على قيم الحاضرين بين يديه فى كل صدور ورود ويكون على
 الحقيقة خلاصة الصفات البشرية وزبدة الاخلاق الانسانية التي عليها مدار
 قطب شرف السبايا وبها تدر أخلاق كرم المزاي وهي شجرة عمرة لانانة
 الاخلاق التي بها يسعد الخارسون وفي مثلها فليتنافس المتنافسون فأخذت
 فى تأليفه وشرعت فى تصنيفه قضاء لما أسداه من احسانه السالف وقياما
 بحقه الذى يقصر عن حقه فصاحه لسان الواصف وأنا أرجو من الله تعالى أن
 يجعله كتابا تقر بمطالعته العيون وتصدق فى اتجاها الظنون فانه فى جمع فرائد
 الفوائد ونوادير المقاصد كالفلك المشعون كلما قرأ منه مطالعه شيئا دفعه الى
 حديث ذى شجون وحيث صنفته برسمه ووسمته باسمه سميته * (بالعقد
 الفريد * للملك السعيد) * وجعته مشتملا على مقدمة وقواعد * أمّا المقدمة

فهو الغرض المطلوب من هذا الكتاب والحكمة المقصودة من مطالعته
والبحث على ايمان قراءته وعلازمة النظر فيه وفي أمثاله ﴿فأقول والله الموفق﴾
﴿مقدمة الكتاب﴾

قد ترشح في أذهان أهل الدواية والعرفان وثبت عند ذوي العقول بالدليل
والبرهان ان الانسان وان كان نوعا من الحيوان فهو العالم الاصغر فان الله
تعالى خلقه وركب فيه من القوى المختلفة والاخلاق المتناسبة والشهوات
العالمية ما يقتضى خروجه في أكثر الاوقات عن الدوام على حالة واحدة فهو
ان رأى تسكنه واستغناه ظهرت عليه دلائل الطغيان ومخائل التغير ودليله
من القرآن الكريم قوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وان رأى
عجزه واستغناجه ظهرت عليه دلائل الضعف والاستسكانة ودليله من التنزيل
قوله تعالى ونخاى الانسان ضعيفا وان رأى كمال يقظته ورزاقه عقله ومواقع
تدبيره خدعته نفسه ولم يحأ أوقعته أفكاره في الوسوس والتقديرات وألقته
ريج وهسه في أودية الخيالات لاستعمال المخادعات ودليله من التنزيل قوله
تعالى ولقد خلقنا الانسان وتعلم ما توسوس به نفسه وان رأى عجزه عن تكميل
مطالبه وخوفه من فوات مأموله ظهرت عليه مخائل التفتيش فأسمرت
به الى التباس بالامور قبل وقت تساعها وجهته الى مباشرة الاشياء قبل ايرامها
ودليله من التنزيل قوله تعالى خلق الانسان من عجل وباعتبار هذه الاسباب
والقوى حصل فيه التضاد فمرة يكون مسرورا ومرة محزونا ومرة متبسطا
ومرة متقبضا ومرة راضيا ومرة سائخا ومرة شجاعا ومرة جبانا ومرة جوادا
ومرة بخيلا ومرة قويا ومرة ضعيفا ومرة مطيعا ومرة عاصيا ومرة مستيقظا
ومرة غافلا ومرة ذا كرا ومرة ناسيا ومرة متجاوزا ومرة منتقما خام من صفة
من هذه الصفات وحالة من هذه الحالات الا والانسان متعرض لها ولتقميضاها
وقد أشار أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض كلامه الى
كشف الغطاء عما عليه الانسان من اختلاف حالاته وتضاد صفاته على الوجه
الذي شرحناه والتمهيد الذي أوجعناه فتعال عليه السلام * أعجب ما في
الانسان قلبه له مواد من الحكمة وأصداد من خلافها ان سعى له الرجاء
أذله الطمع وان هاجبه الغضب اشتد به الغيظ وان أسعف بالرضا نسي التحفظ
وان ناله الخوف نخسه الجزع وان استفاد مالا أظغاه الغنى وان غصته فاقة

شغل الفقروان جهده الجوع أقعده الضعف وان أفرط في الشبع كظنه
 البطنة وكل تقصير مضر وكل إفراط له مفسد * فقد وضع بمأذنه
 أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الكلمات التي هي جواهر الكلام
 وغرر الحكم صحة ما ذكرناه من استبعاد النفس البشرية لافراح
 الاخلاق والشم وقد جعل الله سبحانه لكل صفة منها سببا يحدوها
 وموجبا يقتضيها وهي تنقسم الى صفات حسنة مرغوب فيها كالمرور
 والانبساط والرحا والشجاعة والجود والقوة والاحسان والطاعة واليقظة وغير
 ذلك من الصفات الحميدة والاخلاق المرضية والى صفات مذمومة وحالات قبيحة
 تنفر النفس المظمنة عن التحلي يثني منها كالحزن والانقباض والسخط والجبن
 والبخل والضعف والاساءة والمعصية والفقلة وغير ذلك من الصفات المذمومة
 والاخلاق الرديئة فلا يبرح من أراد أن يحصل له شيء من الحالات المرغوب فيها
 والصفات المحذوح صاحبها سعى في تحصيل السبب المقتضي لذلك ومن أراد إزالة
 شيء من الحالات المذمومة والصفات القبيحة سعى في إزالة سببه أو في تحصيل
 سبب يقتضيه فانما اذا استصفاها الصفة الحميدة زالت عنه الصفة القبيحة
 المتنافسة لها ولا يمكن ذلك الا بعد معرفة الأسباب فلا يبرح كانت مطالعة هذا
 الكتاب المشتمل على معرفة هذه الأسباب وملازمة قراءته تؤدي الى تحصيل
 المرغوب ودفع المرهوب فينتهي تصور في النفس صورة ذلك السبب المقتضي
 للحالة المزمومة المرغوب فيها فيتم بها وصورة ذلك السبب الموجب للصالة
 المذمومة المرهوب عنها فيبعد عنها ويحصل له من معرفة الأسباب وتفاصيل
 لوازمها علم يستحضر به أجوبة ما يسأل عنه وما يجري بين يديه من أنواع
 المخاطبات وأصناف المحاضرات اذ كم من ملك يختلف لديه عظام الأمور
 ويتعارض بين يديه أسباب الحزن والمرور ويرد عليه رسل ملوك الاطراف
 بمختار ومختار فيحتاج في ذلك الى رد وقبول وعلو ونزول واشراق وأقول
 واسعاف بأمول وإبصال لمطوح وفتح لموصول بحسب ما تقتضيه مصلحة
 الماسكة التي لا يجوز عنها صدوق ولا عدول فإذا عرف أصول قواعد الأسباب
 وحصول عقائد ذوي الالباب وضع له على الحقيقة صواب الجواب وأتى بالعرض
 المطلوب في هذا الباب ونطق بما يشهد له بأن الله تعالى قد آتاه الحكمة
 وفصل الخطاب فمن طالع ما قد اشتمل عليه هذا المصنف من المتناصد وأدمن

الفكر فيما يتضمنه من المحكم السوارد وحلى جيد فذكره بجواهر ما فيه
من فرائد القلائد وبنى عقيدته وعبادته على ما فيه من قواعد العقائد واقتفى
سيرة من عرض بذكره من العظماء الامثال والملوك الامجاد حصل لنفسه زيادة شرف
توجب تعظيمه ونبله واستغاده نباهة تشفع في افتراء ذرى الفخار اصله وتزكى
فعاله ويحقق بذلك أنه قد رزق فضل عناية من الله سبحانه فانه يوثق كل
ذى فضل فضله * وحيث انتهى القول في المقدمة الى هذا المقام فلنشرع
الآن في بسط الكلام وشرح القواعد المشتملة على اتمام المرام فنقول
مقصود ما أومت الإشارة اليه وثمره ما وقع التنبية عليه يحصل بأربع
قواعد كل قاعدة منها تشمل على جواهر اذا تطهرت في عقود الاجياد ظهر حسن
وجهها الوسيم ورجح وزنها في نظر الخبير العليم وشهدت للمتحلى بها انه على
خلق عظيم

(وهذا تفصيلها)

(القاعدة الاولى) في مهمات الاخلاق والصفات *(القاعدة الثانية)*
في السلطنة والولايات *(القاعدة الثالثة)* في الشرائع والديانات *(القاعدة
الرابعة)* في تكملة المطالب بأنواع من الزيادات
*(القاعدة الاولى في مهمات الاخلاق والصفات وهي تشمل على عشرة
أبواب)*

*(الباب الاول في العقل وما يبنى عليه من عقيدة التوحيد الواجبة وفرائض
العبادات اللازمة)*

(الباب الثاني في مدح الصبر والتثبت ودم الجزع والتمسيع)

(الباب الثالث في صفة الشكر ومدحه ودم الكفران وفضحه)

(الباب الرابع في المشورة وبركتها ودم تركها ومجانبتها)

(الباب الخامس في العدل والانصاف ودم الظلم والاحفاف)

(الباب السادس في الاتفاق والاتلاف ودم الشقاق والخلاف)

(الباب السابع في الوفاء ودم الغدر)

(الباب الثامن في التيقظ وانتهاز الفرصة ودم التواني والغفلة)

(الباب التاسع في العفو واصطناع المعروف واغاثة الملهوف)

(الباب العاشر في الصدق ودم الكذب)

انما بدأنا أولاً بذكر العقل اذ به يقع الوصول الى معرفة الاشياء وعليه مدار
التسكين الذي جاءت به شرائع الانبياء وهو شرط في ترتيب الثواب والعقاب
على الاعمال يوم الجزاء ولولا العقل وفنسيته لم يحكم بالاستواء بين ذوي
الدراية والاعساء فأقول والله الموفق لما يرضاه واياه أسأل الاعانة على
ما أقصده وأتوخاه

﴿الباب الاول في العقل﴾

وما قسم الله في محكم كتابه وممثل خطابه وقد ضرب الامثال وأوضحها وبين
بدائع مصنوعات وشرحها فقال وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
والنجوم مخرجات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ونقل عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال
له أدبر فأدبر فقال عز من قائل وعزني وجلالي ما خلقت خلقاً عترتي على منك
بك آخذ وبك أعطي وبك أحاسب وبك أعاقب واعلم ان العقل ينقسم الى
قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يشطهما فأما الاول فهو العقل الغريزي
المشترك بين العقلاء وهو قوة غريزية يتأق بها درك العقولات وهذا القسم
هو الذي به ينال تسكين الاحكام ويمضي القلم على صاحبه عند حصوله
اعماله او بالاحتمال وأما الثاني فهو العقل القبري وهو مكتسب وتصل
زيادته بكثره التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ أكل عقلاً
وأتم دراية وان صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من
بيضت الحوادث سواد لثته وأخلفت التجارب لباس جنته وأرضعه الدهر
من وقائع الايام أنحلاف درته وأراد الله تعالى لكثرة محاسنه ثم يرف
أقداره وأفضيته كان حدير برزاة العقل ورجاحة فهو في قومه عملة النبي
في أمته وقد يختص الله سبحانه بالضافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه
من نواتج مواهبه رزاة عقل وزيادة معرفة تخرج عن حد الاكتساب يصير
بها راجعاً على ذوي التجارب والآداب ويدل على ذلك قضية يعي بن ذكرها
عليهما السلام فيما أخبر الله تعالى به في محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه
الحكم صبيها فن سبقت له من الله سبحانه سابقة في قسم السعادة وأدركته
عناية أزلية لحفظه بعين الرماية أشرف على باطنه أنوار ملكوتية وهداية
ربانية فاتصف بالذكاء والبطنة قلبه وأسفر عن وجهه الاصابة ظنه وتسابه

من فرط ادراكه حساسه وعلمه وأدركت خفايا الامور فسكرته ولا تسكادته خطئ
الا أن يشاء الله فراسته وان كان حديث السن قليل التجربة كما نزل في قضية
سليمان وهو وصي حيث رجع داود عليهما السلام في أمر الغنم والحريث
(فراسته سيدنا سليمان)

(مطلب)

ونشرح ذلك فيما نقله المفسرون ان رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما
صاحب غنم والاخر صاحب حريث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه في الليل الى
حري فاهلكته وأكلته ولم يبق لي فيه شيء فقال داود في اليأس بينهما الغنم
لصاحب الحريث عوضا عن حريته فلما خرجا من عنده مر ا على سليمان عليه السلام
وكان عمره ذلك الوقت على ما نقله بعض أئمة التفسير إحدى عشرة سنة فقال ما حكم
بينكما الملك فذكر له ذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فعادا الى داود وقال له
ما قال ولده سليمان فدعاه داود وقال ما هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم
الاغنام الى صاحب الحريث وكان الحريث كما قد تدلت عناقه ونمت قنبا نه
في قول أكثر المفسرين فيما أخذ صاحب السكرم الاغنام يأكل من لبنها
ويقتنع بدرها ونسلها ويسلم السكرم اليه ليقوم به فاذا عاد السكرم الى هيئته وصورته
التي كانت ليله دخلت الغنم اليه سلم صاحب السكرم الغنم الى صاحبها وتسلم
كرمه كما كان بعناقيه وصورته التي كانت عليه فقال له داود القضاء كما قلت
وحكم به على ما قال سليمان وفي هذه القضية نزل قول الله تعالى في حكم التنزيل
وداود وسليمان اذ نكثا في الحريث اذ نكثت فيه غنم القوم وكان حكمهم شاهدين
فقهمنها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراسة لم تحصل
لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وأطاف الهيته واذا
قدس الله تعالى شيئا من أنوار مواهبه في قلبه من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع
الصواب ورجع على ذوى التجارب في كثير من الاسباب ويستدل على حصول
كمال العقل في الرجل بما يؤخذ منه وما يصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن
مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام ومما لا ينفك عنها بل يعرف
بآثاره وأحكامه فأقول

(الاستدلال على عقل الانسان)

يستدل على عقل الرجل بأمر متعددة (منها) ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه

عن رذائل الاعمال ورغبته في ابتداء صنائع المعروف وتجنبه عما يكسب
 عارا ويورثه شئارا وقد قيل لبعض الحكماء بم يعرف عقل الرجل فقال
 بقلة سقطه في كلامه وكثرة اصابعه فيه ف قيل فان كان غائبا فقال بأحد
 ثلاثة أسباب اما بسؤله واما بكتابه واما بهديته فأما رسوله قائم مقام
 نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته على قدره فيقدر ما يكون
 فيها من نقص يحكم به على صاحبه وقيل من أكبر الاشياء شهادة على عقل
 الرجل حسن مداراته للناس ويكفي أن حسن الإدارة يشهد لصاحبه
 بتوفيق الله تعالى اياه فإنه قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
 حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق ولا يكفي في الدلالة على كمال عقل الرجل
 الاختيار بحسن ملبسه وملاحه سمته وتسميح لحيته وكثرة صلفه ونظافة
 برثته اذ كم من كفيف مبيض ويعرف مفضل وقد قال الاصمعي رأيت بالبصرة
 شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل
 وخرج فأردت ان أختبر عقله فسلمت عليه وقلت ما كنت سيدنا فقال أبو
 عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعي ففعلت منه وعلت قلة
 عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك غزارة نرجعه ودخله وقديكون الرجل
 موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فتصدر منه حالة تكشف حقيقة
 حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله ويتجلى في دعواه العقل بقوميه
 ومخاله

(حكاية عن قلة العقل وسوء النية)

كما ذكر أبو علي القاضى التنوخى عن عضد الدولة بن بويه انه كان
 قدّم في دولته أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف واعتقد في كمال عقله
 ووزانة نباله ورجحان فضله فناط به أزمة عقده وحله واعتقد اليه في أمر
 ملكه كله وكان نفاق الحاشية يغطي عواره ويستتره وألسن الخدم
 والاتباع لعضد الدولة تمدحه وتشكره وجماعة من عظماء الدولة تعرض
 عنه فلا تذكره وهو يتجسس بدعوى العقل وهو أجهل من باقل ويتجلى
 بحسن التدبير وهو بعيد عن المعرفة عاقل ويظهر الاستطالة على فضلاء
 الأماثل وهو خال عن الفضائل واستمر ذلك برهة من الدهر الى ان أناخ
 القدر المحتوم والقضاء المعالوم أن سافر عضد الدولة من العراق الى

همدان فتبعه أبو محمد الخرنبازي يطلب خدمة وكان ذا دراية وفضل وعقل
وزانة ونبل فلما رآه أبو القاسم قد نزع في جملة الجماعة خشي من تقدمه
عند عضد الدولة فيفتضح مسنونه وتقعج أموره فحسن له عضد الدولة رده
من الطريق وأبعاده عن العيبة وأن يجري عليه شيء من الرزق بالبصرة
ويقيم بها قال أبو علي ابن القاضي كنت بين يدي عضد الدولة وقد قال
لأبي بكر بن شاهويه وهو من أصحاب أبي القاسم عبد العزيز تضي إلى
أبي محمد الخرنبازي وتقول له تضي إلى البصرة ونحن نجري لك معيشة
ترزق منها فقد طال تبعك لنا وتبعك معنا وقد تبرمنا منك وليس في
حضرتنا ما تحبه والسلامة لك في بعدك عنا وصاحبنا أبو القاسم عبد العزيز
قد استعجب جماعة كثيرة في بعضهم غنية عن أمثالك فأنصرف عناوا كفف
عما رتبته لك إن شاء الله تعالى ثم إن عضد الدولة سير من خاصته شخصا مع
أبي بكر ليشهد ما يقوله وليسمع ما يجاوبه به أبو محمد بحيث لا يسمعكم أبو بكر
شيئا من الجواب لئلا يكون من أصحاب أبي القاسم فلما حضرا عند أبي محمد
قال له أبو بكر صورة ما قاله عضد الدولة جميعه فقال أبو محمد لما سمع ذلك
الامر للملك ولا خلاف له السمع والطاعة لتقدمه ولعري أن الناس يجدودهم
ينالون ويحفظونهم يستديمون ولو أني تقدمت عند الملك ونفقت لديه
ما كان محبا فقد نال منه وتقدم عنده من أنا أرجح منه ولكن المقادير
غالبة وليس للانسان عنها متقدم ولا متأخر وقد قيل من غالب الاقدار غلب
ولكن أيها الشيخ لي حاجة أحب أن تبلغها الملك عني وهي كلمة فيها نصيحة
وشفاء لما في الصدور فقال أبو بكر قل فاني أبلغها الملك فقال تقول له
أنا صائر إلى ما أمرت ومتوجه إلى البصرة لامتنال ما رسمت ولكن بعد
أن تقضي وطرا في نفسي وفيه شهرة لعظمتك وتنبه على أنك لا تتخذ
في ملكك ولا يلتبس لديك بحق بمبطل وعاقيل بجاهل ومسيء بحسن
ويقظان بغافل وجواد ببائس وهو أن يتقدم فيقام عند العزيز المكنى
بأبي القاسم بين اثنين على رؤوس الاشهاد وتتقم منه انتقاما بالغا ويقال
له إذا لم تبدل جاهك للتهف ولم يكن عندك برضعيف ولا فرج لمكروب
ولا عطاء لسائل ولا جائزة لشاعر ولا مرعى لمنجوع ولا مأوى لضعيف ولا ذب
عن عرض مخدومك ولا استجلاب ثمار الاسنة بالادعية والحامد لدولة

أوجدتك ولا لك من العقل ما تميز به بين ما يكسب جسدا أو ذمما فلم أهتم
نفسك أن يخاطبك بسيدنا وتمتد يدك ليقبلها الداخلون ويقوم لك مظماه
المملكة عند طلوعك عليهم ثم ان أبا محمد قام وركب وعاد قال أبو بكر
ابن شاهويه فعدت وقد سبقني الذي كان معي مشرفا وذكر ذاك لملك
عضد الدولة فلما حضرت عنده وأبو القاسم بين يديه سكت فتعال لي هات
الجواب الذي ذكره أبو محمد فاستحييت من أبي القاسم ان أذكره فقلت
سمعه الملك من المشرف الذي أنفذه مسعى قال قل فأنت كنت الرسول
فذكر الحديث على صورته كله فوالله ان تركت منه حرفا لم تلق خيرا فلما
أمكنني الا أنني سردت كلام أبي محمد كما قاله ولم أترك منه شيئا وأبو القاسم
يتقدم في ادابه ويمزق في جلده ويتغير وجهه ويتلون ألوانا عند كل كلمة
منه فأقبل عليه عضد الدولة فتعال كيف ترى يا عبد العزيز لاجلك الله خيرا الآن
علمت ان لا تعتمد حالة ترضى الله تعالى ولا تبني مكرمة ولا تحفظ مروءة ولا تحرس
أمانة ولا يخرج فكرك عنك ولا همك الا في مال تجتذبه واقطاع لنفسك ثمره
وتجعلني بابا من باب معاشك وجهة من جهات أرباحك تبعد من ينفعني وتقرّب
من ينفعك خدمتك معروفة وسيرتك معلومة وكنت أسمع من جوك الناس الى
قرصك وشرك في جميع أحوالك وأذاك لمن يتصد أبوابنا ولكن لكل
أجل كتاب ثم أمر به فأخذ فظهرت بسوء فعله قلة عقله ونقص قصده ضعف
رأيه وفي أمثال هذه من الوقائع الشاهدة لاربابها باختلال الدراية وقلة العقل
كثرة وانما خوف الاكثار أو جيب الاقتصار على هذا المقدار وما أحسن
جواب بزرجمهر وقد سأله أنوشروان فقال ما خير ما أعطى الرجل فقال العقل
فقال فان لم يكن قال أخ شقيق يستشير قال فان لم يكن قال صمت طويل يستره
قال فان لم يكن قال خالق حسن يعاشر به الناس قال فان لم يكن قال منية عاجلة
ترى حوتها وترى منية وقال أبو الرشد الرازي دخلت بغداد ولم أعرف بها أحدا
ولم أعلم ما عمل في أمري فرأيت شيخا عليه أثر الديانة وزى الصلاح فسألت
عليه وقلت له يا سيدي أنا رجل غريب وقد وصلت الآن الى هذه البلدة
ولا أعرف فيها أحدا وقد ضاق صدري ان لم أجِد بها معرفة من بلدي يهديني
الى سلوك طريق الاتفاق فلما سمع كلامي لم يزدني على ان أنشدني هذين
البيتين شعر

إذا كنت ذاعقل فلا تخش غربة * فعاقل في بلدة غريبة
يعتد رفيع القوم من كان عاقلا * وإن لم يكن في أهله بحسب
ثم تركني ومضى فلما سمعت ذلك منه علمت أن العقل هاد مرشد ومشير مسعد
فاهتديت بنوره الوقاد فزقني الله كل مرام ومراد وقد وقعت من المتقدمين
نواذر هذا هم الله الهانور العقل وأهداها للناس النور النور تشهد لمن صدرت عنه
بالرأي الجزل وترشد سامعها إلى معرفة رذال الفرع إلى الأجل

﴿حكايات عن وفور العقل وكونه سبب التقدم﴾

منها أن كسرى كان من عقلاء ملوك الفرس وأثبتهم جنانا وأبسطهم قسرة وادعاه
فروا في منامه رؤيا أحدثت عنده ضيق صدره واضطراب فكره فاستخضر من
بلاده إلى حضرته علماء عصره وقصصا عليهم ليكون على يده من أمره فاتفقت كلمتهم
واحتدوا أشارتهم ولم يقع عندهم خلف ولا شك فبدأت إليهم معرفتهم فبدأوا له
أيها الملك إن هذه الرؤيا تدل على أن ولدك شيرويه لا بد أن يقتل أباه ويجلس على
سرى مملكة ويتصرف في الخزان والمالك يسمع هذا القول ولا يسمعه ويكتفه
عن كل أحد ولا يذيعه فإنه لا بد أن يقع هذا جميعه ثم تفرقوا فاعتمد كسرى طالة
أداء اليأس عقله واستخرجها فذكره فان لم تصح رؤياه وكان المنام أضغاث أحلام
فما يضرة فعلها وإن صح منامه يقتض من قاتله بها فأخذ سمها قاتلا لسانه وخلطه
بمجنون ووضع في قارورة وختمها وكتب عليها بخطه دواء للجحاش من تناول منه
وزن درهم جامع مهماشاة من غير ضرر ووضع تلك القارورة في خزانته تحت
ختمه بحيث لم يعلم بذلك أحد من الناس فاطية فقامت أيام حتى قتله ولد شيرويه
وجلس على سرى مملكة ثم أخذ يعتبر الخزان فلما وقف على تلك القارورة وقرأ
ما علمه فرح فرح عظيم وقال هذا المجنون كان أبي يستعين به على جماع شيرين
وأخذ من المجنون وزن درهم فبات من ساعته وعدت هذه الحالة من كمال عقل
كسرى وحسن فكره وكان كسرى يقدم يونان الوزير على جميع وزرائه
وأخصائه ويعظم أموره ولا يعتمد مع بقية الوزراء مثل ما يعتمد معه فبدأوا له
ما السبب في أن الملك يرجع علينا يونان ويقدمه فقال لهم ما معناه إن من خصه الله
بكمال عقله وزيادة معرفته يقدم على نظرائه وأبناء جنسه وهذا يونان لما أفضت
إلى نوبة الملك تشاغلت أياما بالصدف فكتب إلى يعلم الملك أن خمسة أشياء ضائعة
المطر في الأرض السبخة والسراج المشتعل في ضوء الشمس والمرأة الحسن الصورة

عند الرجل الاعشى والطعام الطيب عند المريع والرجل العاقل عند من لا يعرف قدره فقلت ان قصده بهذه الحكمة أن يوقظني لتدبير المملكة فلما دخلت من الصيد أحضرته وقلت له صف لي ملوك الدنيا وسيرتهم في رعاياهم لاختار ما أحمل به منهن فقال الملوك ثلاثة واحد ينتصف لرعيته من نفسه ويتجاوز عنهم فلا ينتصف منهم لنفسه فذلك أعلاهم درجة وأقومهم سيرة وأكملهم عقلا وأدومهم ملكا وأطوعهم رعية وأعمرهم بلادا وأملكهم قلوب رعاياه وواحد ينتصف لهم من نفسه وينتصف منهم له فهو وأوسطهم درجة فإنه عمل بالعدل ولم يصل إلى درجة الفضل وواحد ينتصف منهم لنفسه ولا ينتصف لهم من نفسه فهو أنزل درجة وأقبح سيرة وأحرب بلاد لأنه قلوب رعاياه من الاضطراب ولا السنتهم عن التضرع إلى قيم العالم في إزالة ملكه وتحميل ملكه فهذه أحوال الملوك وسيرتهم في رعاياهم فانظر أيها الملك إلى هذه الثلاثة فاختر لنفسك ما أردت منها وأنا أعلم ان الملك لا يختار لنفسه الاسيرة الاولى لان نفس الملك شريفة وهمة عالية فهو يرغب في ارتقاء أعلى درجات الملوك ويميل إلى اقتناء جليل الذك وجليل السيرة ويؤثر عساة نواحي بلاده واقطار مملكته ويجب ما ينبغي به مواد امواله وجهات أعماله ويود أن يملك أحوار القلوب ويتخذ بعده سيرة تضرب بحسبها الامثال فلما سمعت كلامه علمت انه رزق عقلا وفضلا فعملت بقوله واشهدت بحكمه ولم أجد عند غيره ما وجده عنده فذلك نصيبه بالتقديم وأنزله منزلة التي يستحقها

(سكينة يدعيه عن كرم النفس)

وقال تميم بن عدي البريقي كنت مع عبد الله بن العباس عند منصرفه من دمشق فسأله في بعض الأيام وقلت له بماذا يتم عقل الرجل فقال اذا صنع المعروف مبتدأ به وجاد بما هو محتاج اليه وتجاوز عن الزلة وجأى على المكرمة وغضب مواطن الاعتذار فتقدم عقله بلفظ ذلك منه وألصقه بقلبي ثم بعد أيام نزلنا منزلا فطلبنا طعاما فلم نجده ولا قدرنا عليه فانزادا كان قد نزل بذلك المنزل قبلنا بأيام قليلة في جمع كثير فأقوا على ما كان فيه من الطعام فقال عبد الله لو كمله أخرج إلى هذه البرية فعمل تجدبها راعيا معه طعام فضي الوكيل ومعه غلمان فأطالوا التوقف فلما كادوا يرجعون لاح لهم خباء فأموه فوجدوا فيه عجوزا فقالوا لها هل عندك طعام فبنتاعهمك فقالت أما طعام بيع فلا ولكن عندي

أكلته وبأولادى اليها أمس حاجة قالوا أين أولادك قالت فى رعيهم وهذا وقت عودهم قالوا فما أعددت لهم قالت خبزة هى تحت ملتها أنتظر بها أن يحنوا قالوا لها فإردى لنا بنصفها قالت لا ولكن يكلها قالوا ولم منعك النصف وجدت بالسكل ولا خبز عندك غيرها قالت ان اعطاء الشطر من خبزة بنقصه واعطاء السكل فضيلة فأنا أمتع ما ينقصنى وأجود بما رفعنى فأخذوا الخبزة لفرط حاجتهم اليها فلما أتوا عبد الله أخبروه خبر الجعوز قال أرجعوا اليها فاحلواها فى دعة وأحضروها فرجعوا اليها وقالوا لها ان صاحبنا أحب أن يراك قالت ومن هو صاحبكم قالوا عبد الله بن العباس قالت ما أعرف هذا الاسم قالوا العباس ابن عبد المطلب وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم قالت والله هذا الشرف العالى قومي أنصاره قالوا نعم قالت فما يريدننى قالوا يريد أن يكافئك على ما كان منك قالت لقد أفسد الهاشمى ما أثل له ابن عمه عليه السلام والله لو كان ما فعلت معروفا لما أخذت عليه ثوبا وانما هو شئ يجب على كل انسان أن يفعله قالوا فانه يجب أن يراك ويسبح كلامك قالت أصبر اليه لاني أحب أن أرى رجلا من جناح النبي صلى الله عليه وسلم وعضوا من أعضائه فلما سارت اليه رحب بها وأدنى مجلسها وقال ممن أنت قالت من كلب بن وبرة قال كيف حالك قالت لم يبق من الدنيا ما يفرح الا وقد بلغت واني الآن أعيش بالقناعة وأصون القربة وأنا أتوقع مفارقة الدنيا صبيحا ومساء قال أخبرينى ما الذى أعددت لأولادك عند انصرافهم بعد أخذنا الخبزة قالت أعددت لهم قول العربى

ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى أنال به كريم المأك

فأعجبه قولها فقال لبعض غلمانه انطلق الى خبياتها فاذا أقبل بنوها فجئ بهم فقالت للغلام انطلق فكن بقاء البيت فانهم ثلاثة فاذا رأيتهم تجدد أحدهم دائم النظر نحو الارض عليه شعار الوفا فاذا تكلم أفصح واذا طلب أن ينجح والا تخرج يد النظر كثيرا فاحذر اذا وعد فاعل وان ظلم قتل والا تترك كانه شعلة نار وكانه يطلب بشار فذلك الموت المسائت والداء الكابت فاذا رأيت هذه الصفة فيهم فقل لهم عنى لا تجلسوا حتى تأتوني فانطلق الغلام فاعبرهم الخبر فلما بعد أمده حتى جاؤا فأدناهم عبد الله وقال انى لم أبعث اليكم والى والدتكم الا لاصح من أمركم وأصنع ما يجب لكم فقالوا ان هذا لا يكون الا عن مسئلة أو مكافأة فعمل جميل تقدم ولم يصدر منا واحدة منها فان كنت أردت التكرام مبتدئا فغروك

مشكور وبرك مقبول مبرور فأمر لهم بسبعة آلاف درهم وعشرة من النوق
فقال لهم الجوز ليقبل كل واحد منكم بيتاً من قوله
(فقال الأكبر) شهدت عليك بحسن المقال * وصدق الفعال وطيب الخبر
(فقال الأوسط) تبرعت بالبدل قبل السؤال * فعال كريم عظيم الخطر
(فقال الأصغر) وحق لمن كان ذا فعلة * بأن يسترق رقاب البشر
(فقال الجوز) فعمرك الله من ماجد * ووقت ما عشت شر القدر
ثم ودعوه وانصرفوا قال تميم البرعقي فالتفت إلى وقال لي يا تميم وددت لو وجدت
مزيداً في ابتداء المعروف إلى هذه المرأة وبنيها وجعل يتأوه من تنصيره عن مراده
في ذلك فقلت له لقد أحسنت وأرجحت وقد شهدت فعلك بما سبق من قولك فأنت
أتم الناس عقلاً واكملهم مروءة

(مطلب) هو من كمال عقل ابن عباس أنه قيل له ما منع علي عليه السلام أن يبعثك من
عمر بن العاص في التحكيم فقال حازم القدر ومحنة الابتلاء وقصر المدة أما والله لو
كنت مع عمرو مجلس في مدارج أنفاسه ناقضاً ما أبرم ومبرماً ما نقض أطراً إذا شفى
وأشف إذا طاروا - كن جري قدر وبقي أسف ومع البوم غد والآن خذ خير لا مبر
المؤمنين

(حكاية عن ذكاء اياس)

قيل ان اياس بن معاوية القاضي كان من أكبر عقلاء العالم وكان عقله يهديه
إلى ساوكة طرق لا يكاد يسلكها من لم يمتد إليها فكان من جملة الوقائع التي
صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح أنه كان في جامعته
رجل مشهور بين الناس بأنه أمين يستودع لهم فاتفق أن رجلاً أراد أن يهيج فأودع
عنده هذا الأمين كيساً فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد بعد مدة جاء إلى الأمين
وطالب كيسه منه فأنكره وجمده ف جاء إلى القاضي اياس وقص عليه القصة فقال
له القاضي فهل أخبرت أحداً غيري فعمال لا قال هل علم ذلك الأمين أنك أتيت
إلى لتخبرني قال لا قال فهل نازعته بحضرة أحد قال لا قال انصرف واكتب أمرك
ثم عد إلى بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع وقال له
قد حضر مال كثير وقد رأيت أن أودعك إياه وأتركه عندك فأذهب ورتب
موضعاً حريزاً فخذ ذلك الرجل فحضر صاحب الوديعة فقال له اياس امض إلى
خصمك واطلب منه وديعتك فان منعك قل له تمضي معي إلى القاضي لاعلمه بذلك

وأنا كما أنا وأنت فلما جاء دفع اليه كيدسه فساء الى القاضي وأعلمه أنه قد رجع عليه
وديعته وانصرف فساء ذلك الامين الى القاضي لوعده طامعا في أن يتسلم المال
فسبه القاضي سبا كثيرا وأبطل قوله وكانت هذه من جملة ما يدل على عقله
وصحة فكره

خاتمة لهذا الباب

مشتملة على حكم متنوعة أخرجتها التجربة من ينبوع العقل تفيدنا ظروها فضل اعتبار
وتكسبه زيادة استبصار * قيل كان رجل من حكماء الاوائل له عقل ودراسة
وأدب وتجربة فسمع به ملك أرضه وساطان اقليمه فاستدعاه اليه وقرّبه منه وبسطه
باقباله عليه ومجاذبه له فقال له الملك ما معناه انك أيها العاقل الحكيم قد
خصصت بسمت قويم وعقل بين وأدب وواف ومنظر مقبول وتجربة رقيقة بها على
حقائق الامور فلم رضيت لنفسك بالمقام على التخصيص عن حظك بالبعدنا وقد
تفتحت لك أبواب الرغبة فيك والميل اليك والانتفاع بعقلك واجتناء ثمرة معرفتك
فقال العاقل الحكيم لملك ما معناه ان كان قصد الملك في مقاله أن يتطلع الى جواب
أحجبه لا قيم عذرا في تباعدى عن رتبة القرب من الملك وقنوعى بالدرجة السفلى
دون الدرجة العليا فهذا أمر لا يتحمل على كامل العقل ولا تجدى كثير نفع في
إبالة الملك وان كان قصد الملك أن يحرك ساكن العقل ليفيض اللسان من لا إلى
الحكمة ما ينضد منه الملك عقودا يحل بها جدي أفعاله ويتخذها حجة واقية من
طارقة الحوادث فهذا مطلب شريف تسارع النفس الى التماس به وتتفعل
القوى الانسانية له ويشرق نور العقل فيهدى الى سلوك سبيله فقال له الملك
ما معناه ان كل واحد منهما غرض مطلوب ومبتغى مقصود فاذا كرمبتدئا عذر
نفسك ثم أتبعه بجواهر حكمك وتسايج عقلك فقال العاقل ما معناه ان الملك
قد أفاض على الناس قربه وأحلى في الذروة العلماء من رتبته ومنحني بسطة في
كل مبتغى وممكنة من كل منتهى ولا منى على التقاعد عن المبادرة الى هذه
الحساب ولا مرثا قاله الملك ولا يتطرق اليه شك مريب غير أنى بقنوعى بالبلغة
واقصارى عن دفع الضرورة وتجنبي لمواطن المترفعين واعراضى عن المدار
الدخول في أبواب السكرامة التى منحها الملك ونجح ارتقاء مرتعها أجدهنى آمن
السرب فارغ السر قليل المحرص لا أقصد أحدا بمكروه ولا أستهدى لاذى
مخلوق وليس واحد من أتباع الملك الواجبين أبوابه الا وقد ملكه المحرص

واستهواه الهوى واستعبده الطمع حتى اقتاده بزمامه فسكر منهم برى بطامع نظره
الى زيادة مال يستملها ليرضى بها ساخط حوصه ويمد يد اطماعه الى جرة سمته
بتوقعها ليحرقها الى قرصه قد استفادوا بكثرة ما خولوه من الملاذ المستجمعة لديهم
فقر أنفس لا يحصل معه غنى ولا يفارقه فاقة فهم في فرط احتياهم في طلب المزيد
يدأبون في دفع من يتوهمون عنده أدنى جنوح الى اقتراب مدارجهم واقتراب
مسايعهم متى بدى لهم مرهوب يقطع مأمولا جلهم المجرع على ارتكاب كل ما فيه
دمار وبوار واذا لاح لهم مرغوب يخسوا ألباهم المحرص على اقتناصه الى فعل
ما يعقبه وبال وعطب وقديما قبل المحرص مورد موارد الهلكة ويحمل على
التغريب بالمهجة وينزع لباس السلامة ولقد بلغنى ما معناه

﴿نصائح للملك﴾

ان عظيما من أكاسرة الفرس جلس يوم يروزلدنول الناس عليه بطرف التحف فحضر
الموبدان وهو اسم حاكم الحكام ومعه منديل مشدود على شئ فوضعه بين يدي
كسرى وحله فاذا فيه فحمة كبيرة فقال ما هذا فقال انى كنت قد خرجت الى مكان
الزهوة فرأيت بازيا قد تبع دراجة فجاءت الدراجة الى أجرة قد وقعت فيها نار
فألقت نفسها في الأجرة فهلكت فدخل البازي من حوصه خولفها فاحترق وأنا
أراه فوقفت مفكرا في حاله وما فعل به حوصه ثم أخذته وقد صار فحمة ورأيت
أنه من أبلع المواظ فأحضرت بين يديك لتعلم أن المحرص مقود الى الهلاك
والبوار وحيث انصف من بباب الملك بهذه الصفات التى أسرها المحرص
والاخلاق التى أهونها الطمع فاذا امتلأت أم الملك وحالت بالمكان الاثيل والمنزلة
السامية من دولته فوقوا الى سهام العناد وقدحوا الى زناد العداوة وأنصبوا فى
مدارجي حائل الغوائل فان تركت الاستعداد لهم ولم تعمل الحيلة فى دفعهم تهتم
ما بنيت وأشرفت على خطة خسف وان حذرت بهم وأبست جنن التحفظ من
كيدهم أتعبت فكبرى وأضعت عمرى وقال لا أنفك عن ظهورهم على وظفرهم
فى وقد قيل من رقد حذره عن معانده حل بساحة العطب ومن أيقظته الاوجال حرم
لذة الدعة وراحة العيشة وأنا امرؤ أحب السلامة وأكره زوال العافية ولولا مايت
بمعاندكم أجد قلبى مكافئاله على بغيه ولا مضاهيا لسكره وقد قيل المرء أمين على
نفسه والليدب من ترك ما لا طاقة له به فانه أسير لسكرته وأبقى للأمال فيه
ورأيت الملك قد استقر عنده الاستئناس بمن فى كنفه فأقبله على من طرا عليه

لا يفتك عن ملل واستتقال وذو النفس المهدية يصونها عن التعرض لذلك فهذا
عذر لا يسوغ للعاقل أن يطوى دونه كشها ولا يعرض عنه بانسا وأماميته
الملك من حكم رأي يقتدى بها وجواهر عقل ينظمها زينة في أيجاد أماله فأقول إذا
أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد فخالف أقربهما إلى هواك فإن أكثر
ما يكون الخطأ مع الهوى والاقدام على الفعل بعد التأني فيه أخزم وأحسن من
الامساك عنه بعد الاقدام عليه اجتهد كل الاجتهاد أن تكون خيرا عالما بأمور
ولائك وأحوال عمالك وأفعال نوابك متطلعا إلى ذلك فإن المسمى منهم والمقصود
منهم والمعتدى والخائف من خبرتك وعلما بأموره قبل أن تصيبه عقوبتك يرتدع
وإن المحسن والأمين يستشير بعلمك بحاله قبل أن يأتيه معروفك فيدوم على نفعه
ويردأ فيه لا تترك حراسة الملك ولا تعرض عن مباشرة حسيب أمره فيعود شأنه
صغيرا ولا تشغل نفسك بمباشرة صغير أمر فيصير كبيره ضائعا لا يجتمع الملك بين
الحسن والسئ في منزلة واحدة ويجعلهما عنده سواء فإن ذلك يجعل المحسنين على
التقصير والنسيئين على الاقدام على زيادة الاساءة لئلا يقابل كل منهما بما
يستحقه من اكرام وانتقام فيه تمام الحراسة والسياسة وليكن أبغض رعية الملك
إليه أكثرهم كشفا لمعايب الناس عنده فإن في الناس معايب وأحق من سترها وكره
كشف ما ظاب عنه منها الملك فأنما عليه احكام ما ظهر والله تعالى يحكم على ما بطن
اعلم أن رأيك ووقتك لا يتسع لجميع الامور وجلة الاشياء فاجعله لهم منها فان
ما عرفته من رأيك ووقتك لغير المهتم ازراء بالمهم وعليك بحب العلم وأهله
العامين به ورجة الضعفاء والرفق بهم والنظر في أمور الرعية والاجتهاد في
مصالحهم فهم عباد الله الذي استرعاه لهم ويسألك عنهم وقد قال صاحب
الشرعية النبي المصوم صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته
ولا يغفل الملك عن اقامة شرائع الشرع واتباع ما يقوله جلة وتفصيلا في تنبئ
قواعد العدل وتقريرها على ما يصلح به الناس فإن ذلك يحيي الحق ويميت الباطل
ويكتفي به دليلا عليه ولا بد لك من خاصة من خدمه وبطانة من أتباعه وجامعة من
جندة يعملهم على اعتقاده ويستطلع بهم ومنهم مستورات الاغراض فليعتبر الملك
في مبدأ الامر أخلاقهم وشيخهم وصفاتهم ويزلف اليه من تحلى بحميدها ويتقصى من
انصف بذميتها ولا تترك الخائن ولا تعتمد على شره ولا تثقن بكذوب ولا تسجعن
نصيحة جهول ولا تقبل قول حسود ولا تأخذن برأي دني ولا تكثرن محادثة مسي
الحق وليتفقد الملك أحوال حاشيته افتقدا لجهل أخلاط النقود فينبى الزيف

منها ويختص بها الصها وقد جرى على السنة العلماء والمحكماء السالفين ألقاظ من
الحكم المستقاة من جواهر الكلام ما هو أنفع لتأمله والمستعمل له من كنوز الدخائر
(منها) من قام من الملوك بالعدل والحق ملك قلوب رعاياه ومن قام بالجور
والظهور لم يملك منهم الا التصنع وكانت قلوبهم تطلب من يملكها (ومنها) لينظر
الملك الى المنتصحين له فان دخل من حيث العدل والصلاح فاقبل نصحه واستشره
وان دخل من حيث مضار الناس فاخذره وتحرز منه (ومنها) زمان المجائر من
الملوك أقصر من زمان العادل لان المجائر يفسد والعدل يصلح والافساد أسرع
من الاصلاح (ومنها) من مدحك بما ليس فيك من الجميل اذ ارضى عنك ذمك
بما ليس فيك من القبيح اذا سخط منك (ومنها) موت العلماء والعقلاء
وان كان عظيمًا فهو أوهون من تقدم السفل من الناس على رقاب الاحرار
فلما سمع الملك مقالته في الاعتذار وفهم ما تلاه عليه من الحكم العظيمة
المقدار النفيسة الاقدار عرضة على ناقد عقله وثاقب فكره فتلقيها
بالقبول والاعتذار وعلم صدق مقصده وصحة معتقده فصدف عن الانكار
واتخذ ما أورده من الحكم وقصده من جواهر الكلام نهيًا يهدي به آناه الليل
وأطراف النهار وفي هذا المقدار بلاغ ومقنع في حصول البغية للمقتدى وظهر
لعورة العقل وفضيلة صاحبه وحيث ظهرت فضيلة العقل فجز المطلوب
من اتيان ما تحرر في بابه والله سبحانه يأخذ ويعطي به واليه مناط التكليف
فلترد في بابه ببيان ما أوجبه الله سبحانه وتعالى على خلقه وما اقترضه على عباده
عند حصول صفة العقل لهم من العقيدة التي يجب العمل بها والوقوف عندها
والاعمال التي تلزم المحافظة عليها واتباع طريقها وهي التي كان الصحابة عليهم
رضوان الله والسلف الصالح تغمدهم الله برحمة يتقربون الى الله باعتقادها
ومحصولون على المحافظة عليها والعمل بها أنفسهم مجدها واجتهادها وقد صنف أئمة
العلماء كتبًا في بيانها وتعظيم شأنها وتنظيم أركانها وتعليم الامة انه لا بد من
اعتقادها في حصول ايمانها فمنهم من بسط المقال فأسهب وأطال الكلام فأطنب
وحاول ما قيل في ذلك فتعب وأتعب ومنهم من اختصر واقتصر حتى كاد لا يقوم
بما وجب فخصت أطاب الاقاويل وطويت بساط التطويل واستخرجت
زبدتها مقاصد ما قيل ومختصت هذه العقيدة وسميتها مفتاح الفلاح في اعتقاد أهل
الصلاح وهي عقيدة أهل السنة والمورثة لمعتقدها ان شاء الله دخول الجنة

﴿عقيدة المؤلف﴾

وهي ان الله واحد لا شريك له لا يشاء فرد لا مثيل له صمد لا ند له قديم ازل دائم ابدى لا أول لوجوده ولا آخر لا يديته فيوم لا يقنيه الابد ولا يفنيه الامد بل هو الاول والاخر والظاهر والباطن منزّه عن الجمعية ليس ككله شيء ولا يشبهه شيء مستوعب العرش كما قال وبالمعنى الذي اراد والسموات والارض والعرش والكرسي في قبض قدرته وهو فوق كل شيء ذو قوة لا ترده بعدا عن عباده وهو اقرب الى العبد من جبل الوريد وهو على كل شيء شهيد وهو معكم ايها كنتم لا يشاءه قربه قرب الاجسام منزّه عن ان يحده زمان مقدس عن ان يحيط به مكان تراه ابصار الابصار في دار القرار على ما دلّت عليه الاخبار والا تارحى قادر جبار قاهر لا يعثر به عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والمجروت خالق الخلق راعى اعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تنتهى معلوماته عالم بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات يعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحقائق السرائر عرى الكائنات مدير المحادثات لا يحصى في ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير خير اوشى نفع اوضر الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فاشاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب لعبده عن معصيته لا يتوفيقه ويرحمه ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وادارته لواجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته ومشيئته له عزوا سميع بصير متكلم بكلام قديم لا يشبه كلام خلقه والقرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله والقرآن الكريم مقروء باللسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وكل ما سواه سبحانه وتعالى فهو حادث اوجده بقدرته فهو الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى حكيم في افعاله عادل في قضائه منزّه عن الظلم وانه لا يتصرف في ملك غيره ليكون تصرفه فيه ظلمة فضل بالايحاء متطول بالانعام لا عن وجوب وحاجة لوصية العذاب على العباد اسكان منه عدلا واناشه لعباده على الطاعات متعاضد كراما لا يسأل عما يفعل وهم يسألون بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات فبلغوا أمره ونهيه ووعدوه وعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤوا به ثم بعد اعتقاد كلمة التوحيد على ما ذكرناه يجب التلفظ بالشهادة بأن (محمد) صلى الله عليه

وسلم رسول الله بعنه رسالته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعته
الشرايع وجعله سيد البشر والشفيع في المحشر أوجب على الخلق تصديقه فيما
أنهى به من أمور الدنيا والآخرة ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد
الموت من سؤال منكبر ومنكر وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان
العبد في قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك
ويؤمن بهذاب القبر وأنه حق وإن الميزان حق وإن الصراط حق وإن الحوض
حق وإن الموت حق وإن الحساب حق وإن الجنة حق وإن النار حق وإن الله تعالى
يدخل من يشاء الجنة بغير حساب وهم المقربون وأنه يخرج عصاة الموحدين من
النار بعد أن لا تقام حتى لا يبقى من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ويؤمن بشفاعته
الانبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وإن بهتة فضل العجايب ورضي الله
عنهم ومترتهم وإن يحسن الظن بجميع العجايب على ما وردت به الأخبار وشهدت به
الأخبار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمناً وموقناً به فهو من أهل الحق والسنة مفارق
لعصاة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا
الدوام إلى المجات على التمسك والاعتصام بها إنه جميع محيبي

أركان الإسلام

فهذه العقيدة قد اشتملت على أحد أركان الإسلام الخمسة وبقيت الأربعة
الأخرى فلا بد من التعرض إلى ذكرها فإن الإسلام بني على قواعد خمس
على ما نطق به الحديث النبوي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بني
الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله وإقام الصلاة
وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان وهذا لفظ الحديث الصحيح المتفق على
صحته والركن الأول وهو التوحيد وما يتعلق به والعقيدة المسد كسورة
كافية فيه (والركن الثاني الصلاة ولا بد من التعرض للطهارة
قبلها فإنه شرطها) فنقول الطهارة تنقسم إلى قسمين طهارة من الحدث وهو النجاسة
وطهارة من الحدث وهو ما ينقض الوضوء وينع من الصلاة ولا تحصل الطهارة إن
الاباء المطلق والنجاسة سواء كانت على البدن أو على الثوب يجب إزالتها ويجب
الاحتراز من مقارنة النجاسة خصوصاً من البول عند قضاء الحاجة للإنسان
ويجب الاستنجاء من البول والغائط وهو بالماء أفضل منه بالحجر وأما طهارة
الحدث فتقسم إلى وضوء وغسل فأما الوضوء فهو أن يبدأ بالتسمية وغسل الكفين

و ينوي رفع المحدث أو استباحة الصلاة) ويستحب النية وتتمضمض ويستنشق
ويغسل وجهه ثم يديه مع المرفقين و يطول الغرة فوق المرفقين ثم مسح رأسه يبدأ
بمقدمه ثم مسح أذنيه ظاهره وباطنه ثم يغسل رجليه مع السكعين و يطول الغرة
فوق السكعين ويبدأ باليمين ويخلل بين أصابعه و يفعل ذلك ثلاثاً ثلاثاً والوضوء
مشتمل على فروض وسنن فاما الفروض فالنية عند غسل الوجه واليدين مع المرفقين
ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين مع السكعين والترتيب وأما السنن فاعداد ذلك
والبداءة باليمين من السنن لامن الفروض وكذلك الأذكار * وتفصيلها أن
يقول عند المضمضة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وعند الاستنشاق اللهم
أوجدني رائحة الجنة و يقول عند غسل الوجه اللهم بيض وجهي بنورك يوم
تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك و يقول عند
غسل اليد اليمنى اللهم أعطني كتابي بيمينتي وحاسبتي حساباً يسيراً وعند غسل اليد
اليسرى اللهم اني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالى أو من وراء ظهري و يقول
عند مسح رأس اللهم أظني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ويقول عند
مسح الاذنين اللهم اجعلني ممن اسمع القول فاتبع أحسنه اللهم أسمعني منادى
الجنة مع الأبرار وان مسح رقبته كان حسناً ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ
بك من السلاسل والاغلال و يقول عند غسل الرجل اليمنى اللهم ثبت قدمي على
الصراط يوم تزل الاقدام وعند اليسرى اللهم اني أعوذ بك من أن تزل قدمي عن
الصراط يوم تزل أقدام المنافقين * واذا فرغ من الوضوء يرفع رأسه الى السماء
ويقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
اللهم اجلني من النوايين واجلني من المتطهرين فهذه الاشارة المختصرة تغني في
حصول المقصود من الوضوء ومعرفة وجهه حيث ظهرت فرائضه وسننه فلا بد من شرح
ما ينتقض به وتلخيص الكلام فيه ان الوضوء ينتقض بأربعة أسباب الاول ما خرج
من أحد السببين كيف ما كان والثاني زوال العقل الا النوم قاعداً متسكناً والثالث
لمس بشرة المرأة بشئ من بشرته والرابع مس الفرج من الأذى بباطن السكف
ولا ينتقض الوضوء بالصد ولا بالعاف ولا بالمجامة ولا بالشك في المحدث بعد تنقن
الطهارة ومن انتقض وضوءه لا يجوز له أن يصلي ولا أن يحمل المحض ولا يمسسه وأما
الغسل من الجنابة فأول ما يعتمد أن يغسل فرجه من أذى ان كان عليه ثم يتوضأ
وضوءه للصلاة ثم ينوي الغسل من الجنابة واستباحة الصلاة ويتعدى بجانب رأسه

الايمن فيفيض الماء عليه ثم على الجانب الايسر ثم على وسطه ويخلل أصول شعره ثم يصب الماء على جسده كله ويدلك ما اتصل اليه يده من بدنه ويكرره ثلاث مرات ويقول اذا تم اللهم طهرني من الذنوب كما طهرتني من الخبث والغسل مشتمل على فرض وسنة فأما الفرض بعد النية فايصال الماء الى جميع الشعر والبشرة والباقي سنن وقد استقصينا تفصيل ذلك في المختصر المسمى امتثال الاشارة في أعمال الطهارة وفي ذلك غنية عن الاطالة وبسط العبارة أن الغسل تارة يكون واجبا كاذكرناه وتارة يكون سنة فاذا كان واجبا على ما شرحناه بالجناية كان أثره في ازالة ما حرم على المحنّب فانه قبل أن يغتسل يحرم عليه أن يصلي وأن يقرأ القرآن وأن يعمل المحنّف أو يمسه أو أن يلبس في المسجد فاذا اغتسل بآزله ذلك كله وأما السنة فهو غسل الجمعة والعيد وما في معناه من غسل الكسوف والاستسقاء والغسل من غسل الميت وغسل الكافر اذا أسلم الى غير ذلك من السنن وأثرها حصول الثواب لفاعليها من غير عقاب على تاركها.

❦ خاتمة ❦

قد تدعو الحاجة في بعض الاحوال الى لبس المحنّف والمصح عليه بدلا عن غسل الرجلين فلا غنى عن الاشارة الى شيء من أحكامه فان كان في الاقامة فدّته يوم وليلة وان كان في السفر انحوز لقصر الصلاة فتلاثة أيام ولياليهنّ وأول المدّة من وقت المحدث بعد لبس المحنّف ويستترط لجواز المصح أن يكون المحنّف ساترا لمحل الفرض من الرجل وأن يمكن متابعة المشي عليه وقد لبسه على طهارة كاملة والشك في انتهاء المدّة أو في ابتداءه ساقى السفر أو في المحضر يوجب غسل الرجلين واذا خلع المحنّف وهو على طهارة المصح كفاه غسل رجله ولا يحتاج الى إعادة الوضوء على الاصح ويكفي مسح القليل من أعلاه دون أسفله فهذا ما يتعلق بالطهارة وقد مناذكرها لكون الصلاة تتوقّف عليها فان الطهارة مفتاح الصلاة على ما نطق به الحديث النبوي وقد تعين القول في الصلاة وأحكامها فالصلوات المكتوبة في اليوم والليلة خمس وقد بين جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوقاتها فأول الوقت أفضل من آخره فأول وقت الظهر اذا زالت الشمس عن وسط السماء وآخره اذا صار ظل كل شيء مثله وأول وقت العصر اذا زاد الظل عن آخره وقت الظهر أدنى زيادة وآخره الى غروب الشمس وأول وقت المغرب غروب الشمس ويمتدّ اذا شرع فيها الى تمامها ولو الى غروب

الشفق الأحمر وأول وقت العشاء بعد غروب الشفق الأبيض ويمتد إلى طلوع
 المهر الثاني وأول وقت الصبح طلوع الفجر الثاني ويمتد إلى طلوع الشمس
 والصلاة إذا وقعت في وقتها المذكور لها كانت أداء في أوله أو في آخره لكن أوله
 للفضيلة وآخره للجواز وإن وقعت خارجا عن الوقت كانت قضاء ولا بد في صحة
 الصلاة من ستر العورة وعورة الرجل ما بين سترته وركبته وكذا عورة المرأة
 المملوكة وأما المحرمة فجميع بدنها عورة سوى الوجه واليدين وكذا لا بد من
 استقبال القبلة إلا في النافلة في السفر وفي المحاربة إذا اشتد القتال وفي الصلاة
 فروض وسنن فإن ترك شيئا من فروضها بطلت صلاته وإن ترك شيئا من سننها
 لا تبطل **﴿والمفروض﴾** هي النية وتكبيرة الأحرار والقيام وقراءة الفاتحة
 والركوع والرفع من الركوع والسجود والجلوس بين السجدين والطمأنينة في
 هذه الأربعة والجلوس في آخر الصلاة والتشهد فيه والصلاة على النبي صلى الله
 عليه وسلم والتسليم الأولى ونية الخروج من الصلاة على قول وترتيبها على الوجه
 المذكور وما عدا هذه الفروض فسنن ولا يجوز ترك الصلاة بعد المرض بل إذا
 عجز عن القيام صلى قاعدا وإن عجز عن القعود فعلى جنبه أو مستلقيا على قفاه
 على اختلاف فيه ولا يتركها مادام عقله ثابتا فقد ورد فيها أحاديث كثيرة
 خصوصاً في صلاة الجمعة فإن النبي صلى الله عليه وسلم شدد في أمرها ودعا على تاركها
 وتخصص ما نقله الأئمة في ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال في الجمعة من تركها وله امام
 حائر أو عادل استغفا فاجابها أو جودا لوجوبها ألا لا جع الله شمله ولا يبارك له في أمره
 ألا الصلاة له ألا لا زكاته ألا لا صومه ألا لا حج له إلا أن يتوب الله عليه

﴿الركن الثالث من أركان الإسلام الزكاة﴾

من جحد وجوبها فقد كفر ويجب على من وجبت عليه إخراجها من ماله وصرفها
 إلى مستحقها وقد بين الله سبحانه مصارف الزكاة في قوله تعالى وإنما الصدقات
 للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي
 سبيل الله وابن السبيل فمن امتنع من إخراجها أخذها منه السلطان وصرفها إلى
 أهل استحقاقها ولا تجب الزكاة إلا في نصاب كامل بعد حولان الحول ونصاب
 الذهب عشرون مثقالا ونصاب الفضة مائتا درهم وزكاتها خمسة دراهم وفيما
 زاد فيها بحسابه وهو ربع العشر ويستحب الأثام من الصدقة تطوعا فقد
 قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن تحت ظل صدقته يوم القيامة وقد وعد الله

تعالى على الصدقة ثوابا عظيما ﴿تذنيه﴾ من جملة الواجب من أنواع الزكاة
زكاة الفطر وهي صدقة عن النفس وتجب بغروب الشمس ليلة العيد على قول
ويجب اخراجها يوم العيد ويجوز تجميلها في جميع شهر رمضان وهي صاع من غالب
قوت البلد والصاع خمسة أرطال وثلاث بالبغدادى

﴿الركن الرابع صوم شهر رمضان﴾

والصوم فضله عظيم وقدره كبير وثوابه جسيم وهو عظيم ثوابه وفضيلته لا ترجع على
الصلاة بل أفضل عبادات البدن الصلاة وقد استقصينا القول في ذلك في المصنف
الموسوم بتحصيل المرام في تفضيل الصلاة على الصيام والصوم ينقسم الى فرض
ونفل فأما الفرض فصوم رمضان ويثبت شهر رمضان بشهادة عدل واحد فان
غم كل شعبان ثلاثين يوما ويشترط في صحة صوم شهر رمضان وفي كل صوم
واجب كالقضاء والنذر تبييت بالنية من الليل وفي القضاء ينوى أنه يصوم غدا
فريضة ورمضان ويجب الاحتراز عن المفطرات كالأكل والشرب والجماع
والاحتقان وما في معناها وليس الاكتحال والفصد والاحتجام من المفطرات
ولا ما يدخل المحلق عن غير قصد كغبار الطريق والذباب ولا إذا أكل أو شرب ناسيا
ويستحب أن يجعل الفطر إذا غربت الشمس وأن يفطر على تمر أو ماء وأن ينزه
صومه عن كل ما ورد النهي عنه من الغيبة والشتم والاذى وأن يقول عند الإفطار
اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ذلك ويحتمد في كثرة فعل الخيرات والصدقات في رمضان وأن يفطر الصائمين على
طعامه فقد ورد في هذه الأسباب كلها أخبار وآثار وأما النفل فكل الأيام
سوى شهر رمضان والأيام المنهي عن صومها محل لصوم النفل وبعضها أشرف
من بعض ولا يشترط في صحته أن يكون بنية من الليل والأيام التي لها فضيلة
الاختصاص بصيامها نفل يوم عرفة ويوم عاشوراء ومن شوال ستة أيام بعد
العيد لوداع رمضان

﴿الركن الخامس الحج﴾

وهو من جملة أنواع العبادات الإسلامية ولوجوبه وأحكامه أسباب وشروط ولما لم يكن
من مقاصد هذا الكتاب لم تتعرض لشرحها * فهذا التحفيس مادعت المحكمة
الداعية الى تأليف هذا الكتاب الى بيان ما لا بد من ذكره في ذلك مما به تفرر
مارمنا به انه في باب العقل ولوازمه

في الباب الثاني في مدح الصبر والتثبت وذم العجز والتسرع *

قدم مدح الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في مواطن كثيرة وأمره وجعل أكثر
الخبرات مضافا إلى الصبر وأتى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى منه وحث على
التثبت في الأشياء ومحاربة الاستعجال فيها فن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
استعينوا بالصبر وقوله إن الله مع الصابرين وقوله يا أيها الذين آمنوا اصبروا
وصابروا وقوله منهم أئمة يهدون بأمرنا لاصبروا وقوله وتمت كلمة ربك الحسنى
على بني إسرائيل بـاصبروا وقوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وعلى
الحقيقة فقد ذكر الله الصبر في كتابه في نصف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله
عليه وسلم به فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل وقوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وفيها قرأتان من التبيين
والتبيين ما وكذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بذيأ فتبينوا كل
هذه الآيات مع اختلاف مواضعها وألفاظها مشتركة في الأمر بالصبر والتثبت
وترك الاستعجال وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة كقوله
عليه السلام النصر في الصبر وقوله صلى الله عليه وسلم بالصبر يتوقع الفرج
وقوله الاناة من الله والعجلة من الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم لا شيء عبد
القيس إن فلكا لثنتين ينجحهما الله الحلم والاناة ونقل عن المسيح عيسى ابن مريم
عليه السلام أنه قال للحواريين ما معناه أنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم
على ما تكرهون واعلم أن الصبر محمود العاقبة يثمر النجى ويورث المقصود ويكبت
العدو ويغيظ الحسد ويقضى صاحبه بالسيادة ويكسوه فضيلة الحزم ويدفع
عنه نقيصة الحرمان فن هذا الله بنور توفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلباته
والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل
عرضه أو كاد ولهذا قال أمير المؤمنين المأمون وقد ذكر عنده بعض عظماء دولته
فقال نعم من ذكرتم لولا عجلة فيه وقال الأشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين
على بن أبي طالب كرم الله وجهه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا
ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين إلى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فإزادني على
أن قال

اصبر على مضض الادلاج في السحر * وفي الرواح على الطاعات في البكر

افى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة مجودة الاثر
وقل من جدد فى شئ يؤمله * فاستشعر الصبر الافاز بالظفر
فحفظت سمنه وألهمت نفسى بالصبر فى الامور فوجدت بركة ذلك وحسن أثره
﴿لطيفة عن فوائد الصبر﴾

ونقل عن محمد بن الحسين رحمه الله قال كنت معتقلا بالسكوفة فخرجت يوما
من السجن مع بعض الرجال وقد زادهمى وكادت ترهق نفسى وضاق على
الارض بما رجبت واذا برجل عاين به رثة وله هيئة حسنة خشنة على وجهه أثر
العبادة فوقف على ورأى ما أنا عليه من الكآبة فقال ما حالك فأخبرته القصة
فقال الصبر الصبر فقد روى عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر ستر
المكروب وعون على المخطوب وروى عن ابن عمه على أنه قال الصبر مطية لا تدبر
وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر فى الدنيا وأجله * عند الاله وأنجاه من المزعج
من شدة الصبر كفا عند مؤلة * ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدنى فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضر فى شئ عن النبى
صلى الله عليه وسلم ولكن قال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه من أراد الفوز
فليجبر مع الزمان فى ميدانه وليصبر على حدائنه وليكن للدهر مستسلما ولما أصابه
منه مسلما فان الدهر لا يعتذر الى أحد من الناس والطيش نقص والصبر عزم
ثم قال وهو منصرف

أما الذى لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس فى كل الامور له كفو
لئن كان بدو الصبر مرآ مذاقه * لقد يمتنى من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فوجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك فى السكوفة
ثم أخرجت من الحبس وقد حصل لى سرور عظيم بما سمعته منه وانتفعت به ووقع
فى نفسى انه بعض الابدال السائقين قبضه الله تعالى لى يوقظنى ويؤدبنى *
وما يحمل النفوس على استعذاب شراب الصبر ويسهل لذوى البصائر سلوك
طريقه الوعر افضاؤه بعدمكابدة العسر الى سعة اليسر فانه قلما أخفق
مطلب صابر ولا انقلب الا وهو بما يحاوله أسعد ظافر

﴿نادرة﴾ ولقد قرع أبواب مسامع الاستفتاح ما يشهد بتدريج الصبر بالفوز

والنجاح وهو ما رواه أبو العباس أحمد بن حماد الكاتب بطريقه عن أبي محمد المري
قال قصدت أبا الجيوش خازن أبيه ابن أحمد بن مصر عتد طاله فأقت بسبابه زما نالا أصل
اليد فرفق لي كل من عرف حالي وأرشدت إلى كثير المغنى فصرت إليه وسأله
أن يشفع لي فقال ما جرت العادة أنى أكله في أحد ولكن ان قدرت أن تعزل
شعرا أغنى به بحضرة فان سألتني عن قائله عرفته من حالك ما يكون فيه جائزة
صلاح عليك فعملت شعرا على الديمة وهو

هم علموني البكالاذقت فقد هم * ياليتهم علموني كيف أبتهم
كفمت حبهم صونا وتكرمة * فسادري غير اضماري بلي وهم

فصاغ لهم الحنا وغنى به فهم ما ثم قال من سعادتك أنهم ما طربان فسكن بالسباب
ولا زمة إلى أن أجدا الفرصة في أمرك فأقت بسباب أبي الجيوش أيا ما رضاء صدرى
من مخالطة النفاطين ورجالة النوبة * ثم ورد إلى كتاب الجعوز تذكريه ما لمحتها
من الضرورة ببعدي وما هي عليه ومن يلها من الفاقة والضرة فتأدى سرى
بالوقوف على الكتاب ولحقني هم وغم وسه و فأنسيت المدح الذي علمته في أبي
الجيوش في البيت الذي كنت آوى إليه وترغبت بأبيات من الشعر في معنى ما ورد به
كتاب الجعوز وقضيت النهار في شوارع مصر فلما بهم الليل ضعفت نفسي عن
المسير إلى دار أبي الجيوش وشئت من كثرة التردد وهممت بالعود فقلت أصبر
لعل الصبر يعقب فرجا ففقت نفي وراجعت فسكرى ودخلت دهليزا
من دها ليزداده وبعيت أكثر ليلتي أردد فسكرى في وجوه المطالب وفي أنا فيه
من عظيم التحير في أمرى وأمر الجعوز بما ذكرته في الكتاب اذ خرج حاجب من
حجابيه وبين يديه فراش يحمل شمعة والفرش ينادى أين المريمي فقلت ها أنا ذا
فقال أجب الأمير فنهضت وأنا آكل يدي ندما على تركي القصيدة ثم دخلت إلى
حضرة فاذا هو جالس في صدر المجلس وبين يديه شمع معبر موكبي والخادم
ممدقون به فلما رأيته قال هات يا مريمي فقبلت الأرض وقلت أيتها الامير ان عظيم
ما أنا فيه أنساني ما علمته من المدح في الموضع الذي كنت فيه غير أني مترنم
بأبيات في معنى ما ورد به كتاب أمة مولانا الامير والدي فقال هات ما حضر
فأنشدت

كبت تسأل الاياب وتوصلي سني بتجليله أشده وصبيه

وأستسكت علة التفقدى وقالت * صبرنا ولو بغير شأبه
قد لبسنا ثوب التصبر من بسبكك حتى لم يبق منه بقاء
أشأغلت أم ملكك بمصر * بضعة خضرة الشباب طرية
فعلت الجواب مهلا فاني * عن قليل آتيتك بالأمينة
بالوفى تروق عينك صبر * من نارية ومن أجدره

قال فلما سمعها بكى وقال والله ليصدقن ما وعدت به وليصدقن ظننا بك ثم أسرى
الى خادم من خدمه شيئا لم اعلمه ففرض الخادم ومكث غير بعيد ثم أقبل وهو يحمل
منديلا ثقيلا فقال أبو الجحش سلم يا مريمى الاولف التى وعدت بحوزك الوالده
بها فأخذتها وهى ثلاثة آلاف دينار ثم أمر الخادم بشئ ففرض ورجع بخلا فقال
ان مولانا أملك بجارية من جواريه فقيلت الارض فقال يا مريمى أرضنا ان نحقق
ما طلبت الجوز فدعوت له وأخذت ثلاثة آلاف دينار وجارية بجميع حليها
وثيابها ورحلها وخادمها وثلاثة آلاف درهم نفقة الطريق وانصرفت الى
أهلها فأتت ما كانت مكابدى للصبر وما أحلى ما كانت عاقبته فلما وصلت الى
أهلها نمت تلك الليلة فبينما أنا نائم وإذا بك نير المنى قد دخل على فقمت اليه وقيلت
وجهه وقلت له يا أختي جزاك الله عنى وعن أهلنا ففقال لي يا أبا محمد كيف
وأيت ثمر الصبر فى آخر الامر عليك فى أمورك كلها به فانه لا يخفى معه مسعى
ولا يجيب لك أمل واعتبر قول الشاعر

ان الامور اذا استعنت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما رتجا
أخافى بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومنه من قرع الابواب أن يلجا
لأناسن وان طالت مطالته * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ثم انصرف فاستيقظ فلم تزل وصيته والايات نصيب عني فالصبر لا يجتمه الامن
رجا بالصبر حصول ما يتوقعه أو خاف ان لم يصبر من فوات تسالجه كما نقل
أن رجلا كان يضرب بالسياط ويتجالد جادا يلغا ولا يتكلم ويصبر ولا يتأوه
وقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له فى ذلك أما يؤلك هذا الضرب الشديد
فقال بلى فقال لم لا تصيح فقال ان فى القوم الذين وقفوا على صديقالى يعتقدون فى
الشجاعة والجلادة وهو رقبتي بعينه فأخشى أن صحت أن يذهب ما وجهي عند
يسوء ظنه فى فأنا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لأجل ذلك

﴿نفيسة في أضرار الجحش﴾

ومما يعضد ذلك مما حكاه الامام القشيري رضي الله عنه في كتاب التخيير عن عمرو بن عثمان الزاهد أنه قال كان في أصحابي رجل فقير طال به المرض مدة وهو يصبر ولا يتسكاهم فدخلت عليه أعوده فقال لي يا سيدي معك من يقول شيئاً فقلت نعم ثم أشرت الى واحد من أصحابي حسن الصوت والانشاد فقلت له قل فأنشد

مالي مرضت فلم يعيدني عائد * منك وعرض عبيدكم فأعود
وأشد من مرضي على صدودكم * فصدود من أهوى على شديد

فطرب الفتى ولم يزل يستعيد من المأثم وأخذوا جود فصاح ورفع طرفه الى السماء وقالوا الهى علمت صبري على ما قضيت وصدق في صبري والا نفي الصبر وطالت المسدة وطلبت النفس الخروج مع شيخى وأصحابي الى موطن عبادتك فأزل عني المرض وأعد لي عافيتي قال الشيخ فقام الفتى وخرج معنا الى السباحة كانه ما كان مريضاً فقلت لأصحابي انظروا الى حسن عاقبة الصبر وحلاوة ثمرته ومن لم يصبر في موطن الصبر لا بد أن يجد ندامة كما نقل عن أبي الحسن العلوي الهمداني قال كنت تلميذاً للشيخ جعفر بن نصير رضي الله عنه فقال لي يوماً يا أبا الحسن اني قد حصل عندي خاطر أريد أن أقعدني مراقبة قلبي ومحاسبة نفسي ثلاثة أيام ولياليهن فتصبر معي قلت كرامة فتعد وقعدت معه يومين فلما كان آخر النهار جاء ولدي وقال لي قد اشترينا طيراً سمينا وقد عملناه في التنوير وتحتته جوداية فتقوم تحييء الى البيت لاجل ذلك فقمتم معه فقال لي الشيخ الى أين فقلت له ان ولدي قد طلبني لحالة عرضت ما يمكنني أن أصبر عنها ثم تركته ولم أصبر معه وأتيت البيت وبنت عند أهلي وقلبي متعلق بما في التنوير فلما كان بكرة أخرج الطير من التنوير فوضع بين يدي وباب الدار مفتوح فدخل كلب وساب الطير وعدا فعدت الجارية خلفه فعدت بالجوداية فبذته من القدر فقامت بسرعة لا تناول القدر قبل أن ينصب جميع ما فيها فاحترقت يدي ونذمت على ما فعلت فعدت الى الشيخ أبي جعفر فلما رآني قال انظر عاقبة من لم يصبر كيف يساط عليه كلب يؤذيه ونار تحرق يده وانها لا هون عليه من نار الاخرة وفي هذه الواقعة تنبيه على كرامة هذا الشيخ الصالح وكفى بهاد ليل على تطويق الندم الى من لم يصبر

ولقد أحسن القائل

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويحمد منه الصبر فيما يصديه
فن قس * فيما يتقيه اضطباره * لقس قس * مما يرتجيه نصبيه
﴿تذكرة نافعة * وبصيرة جامعة﴾

قيل ان رياسة النفس بنور العقل تورث الذنوب في رياض عاقبة الصبر فن تفوق من
شراها جوعته انالته في الدنيا علو القدر وفي الآخرة عرجو الاجر وقد جرت
أدوار الاقدار بما يسجل عند حاكم التجربة حقيقة هذا الامر * كان يوسف
الصديق صلى الله عليه وعلى آباءه اس صبر راقى الى معارج العلا ومدارج الآلاء
ووصل الى جبل الممالك الفاخرة وظلل الاراتك بالآخرة في أشرف مرتقى حتى
قيل له لما استندت رامي أمره واشتدت نواي أزره وامتدت في النواحي
والأقطار مؤيدات ذكره وارتدت الأكرة بالمساحي من الجهات الى عمارة ريف
مصره بم ثلث الممالك ودانت لك الامور وفات لديك العظماء وخضعت لامرك
الفراعنة وأطاعتك من عصي على سواك فقال ما معناه قلت ذلك بصبري على
غيابة الحبيب وضيق السجين وفراق الالف والبعد عن الوطن
﴿هداية واضحة * وبداية صالحة﴾

الصبر وان أمرت موارده فستعلو مصادره وان قصرت بوارده فستعلو أوارده
وكم من صابر أدرك غاية مأمله وبلغ بصبره نهاية سؤله ومن نظرسر قوله تعالى حيث
أمرني به صلى الله عليه وسلم بقوله فاصبر كما صبر أولي العزم من الرسل ولا تستعجل
وقف بصغاه بصبرته وضياه معرفته على ما في الصبر من موفور الفضل الوافي الوافر
وما يحصل به من نور العقل الزاهي الزاهر ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعايشة رضي الله عنها يا عايشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل
الا بالصبر ولم يرض الا أن كلفني ما كلفهم فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولو العزم
من الرسل واني والله لا صبرن كما صبروا فالنبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر
أسفر وجهه عن ظفره ونصره وكذلك أولئك الرسل صلوات الله عليهم أجمعين
الذين هم أولو العزم لما صبروا وظفروا وانتصروا * وقد اختلف أهل العلم فيهم على
أقوال كثيرة لا حاجة الى ذكرها كلها فافهمنا أحسنها ما قاله ابن عباس رضي الله
عنه وقاله قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقال مقاتل

رضي الله عنه هم ستة نوح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف وأيوب صلى الله عليهم وبيان ما صبروا عليه حتى سماهم الله بسببه أولى العزم

﴿قصة عن صبر نوح﴾

﴿وأما نوح صلى الله عليه وسلم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه كان يضرب ثم يلف في لبد ويلقي في بيته يرون أنه قدمات ثم يخرج إلى قومه فيدعوهم إلى الله هكذا حتى إذا نُس من إيمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصا ومعه ابنه فقال لابنه يا بني هذا الشيخ انظر إليه واعرفه لا يغرك فقال له ابنه يا أبت مكنتي من العصا فأخذها من أيده فضرب بها نوحا عليه السلام وشج به رأسه فسالت الدماء على وجهه فقال رب ترى ما يفعل بي عبادك فإن يكن لك فيهم حاجة فاهداهم ولا فصرني إلى أن تحكم فأوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يارب وما الفلك قال بيت من الخشب يجري على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يارب وأين الماء قال اني على ما أشاء وقدير قال يارب وأين الخشب قال أغرس الشجر فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعايهم وكفوا عن ضربيه إلا أنهم يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها فقال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله سبحانه وتعالى إليه جبريل يعلمه وأوحى إليه أن يجعل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما تجزت السفينة جاء أمر الله تعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم الأمن آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الأرض وقذفت السماء بأطمار كأفواه القرب حتى عظم الماء فصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل في الأرض أربعين ذراعا واتقم الله سبحانه من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه السلام بصبره وجعله الأب الثاني للبشر وفي تمام قصة كلام منبسط لاهل التفسير ليس هذا الكتاب موضع بسطه فهذه زبدة صبر نوح وانتصاره

﴿قصة عن صبر إبراهيم﴾

﴿وأما إبراهيم صلى الله عليه وسلم﴾ فإنه لما كسر أصنام قومه التي كانوا يعبدونها لم يروا في قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من إراقته فأخذوه وحسوه بيديهم ثم بنوا حبرا كالحوش طول جداره ستون ذراعا إلى سبعين ذراعا ونادى منادى ما لكم

احتضنوا لآحواق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرق فلم يتخلف أحد منهم
وفعلوا ذلك أربعين يوماً لئلا ينسأوا حتى كاد الحطب يساوى رؤس الجدران
وسدوا أبواب ذلك الحيز وقد فوا فيه النار فارتفع لهما حتى كان الطائر لير بها
فيحترق من شدة حرها ثم بنوا بنياناً شامخاً وبنوا فوقه منجنيقاً ثم رفعوا ابراهيم صلى
الله عليه وسلم على رأس البنيان فرفع ابراهيم طرفه الى السماء ودعا الله تعالى
وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه
جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال أما إليك فلا فقال جبريل
فسل ربك فقال حسبي من سؤالي عليه بحالي فقال الله تعالى يا ناركوني برداً وسلاماً
على ابراهيم فلما قد فوه فيها نزل معه جبريل فأجلسه على الأرض وأخرج له عين
ماء عذب * قال كعب ما أحرق النار من ابراهيم غير كآفه وأقام في ذلك الموضع
سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله ثم أهلك غمراً وودقومه بأخس الأشياء
وانتقم منهم وظفر ابراهيم صلوات الله عليه بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة
العظيمة فلم يحزع منها وفوض أمره الى الله وتوكل عليه ووثق به ثم جاءت قصة ذبح
ولده وأمره الله تعالى به فتعابل أمره بالامتثال وسارع الى ذبحه من غير إهمال
ولا إهمال وقصته مشهورة وتفصيل القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر
صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره على ما قدره وقضاه عاوضه عن
ذبح ولده وفداه واتخذ له خليلاً من بين خلقه واجتباها

﴿قصة عن صبر اسحاق﴾

﴿وأما اسحاق عليه السلام﴾ فإنه لما صبر على بلية الذبح وتلخصها أن الله تعالى
لما ابتلى ابراهيم وأمره بذبح ولده قال لولده اسحاق اني أريد أن أقرب قرباناً فقم
فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال له يا أبت أين
قربانك قال ان الله تعالى قد أمرني بذبحك قال يا أبت أفعل ما تؤمر سجدني ان شاء
الله من الصابرين يا أبت أشدد رباطي حتى لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يوصل
اليها رشاش دمي فتراه أمي فيشتد حزنها وأسرع في امر السكين على حلقى ليكون
أهون للموت على وإذا أتيت أمي فأقرأ عليها السلام مني فأقبل ابراهيم صلى الله
عليه وسلم بقلبه ويسكى ويقول نعم العون أنت يا بني على أمر الله تعالى * قال
محامداً أمر السكين ولم تقطع قال اطعن بها طعنا قال السدي جعل الله خلقه

محتسب مفوض أمره إلى الله وكان الناس قد هجروه واستقذروه والقوه خارج
 البيوت من تن ريحه وكانت زوجته بنت افرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام
 قد سلمت فمترد إليه تفتقده فجاءها بليس يوما في صورة شيخ ومعه سحلة وقال لها
 ليذبح أيوب هذه السحلة باسمي وقد برئ فجاءته فأخبرته فقال لها إن شفى الله
 لأجل ذلك مائة جلدة تأمرني أن أذبح لغير الله وطردها عنه فذهبت عنه فبقى
 ليس له من يقوم به فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس خرسا جذا
 وقال الهى منى الضر وأنت أرحم الراجلين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه
 البلوى طول هذه المدة وهى على ما قبل ثمانية عشر سنة وقيل غير ذلك وأنه تلقى
 جميع ذلك بالقبول وما شك إلى مخلوق ما نزل به عاذ تعالى بالاطافه عليه فقال عز وجل
 فذكرنا ما به من ضروا آتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه
 من نعمه ما أنساه به بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أقتناه في يمينه لتعلمه قسمة
 وجسع له بين قتياء ومدحه في نص الكتاب فقال تعالى ونذنيبك ضيقا فأضرب
 به ولا تحنث أنا وجدناه صابرا نعم العبد أنه أواب فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب
 وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رساله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم
 أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم ومسؤولهم ومنحهم من لدنه غاية مرادهم
 وما مولهم فما سعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مدهم

(إشارة مستعذبة المجانى * وعبارة مستغربة الممانى)

قيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق
 يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تنهاى الامر تنزل الرحمة فالوقوف
 من رزق صبرا واجرا والشقى من ساق إليه القدر خرا ووزرا

(نادرة) ومما شنف السمع من حجج هذه الإشارة وانحف النفع في نهج هذه العبارة
 ما روى عن الحسن البصرى رضى الله عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد
 نبش من قبر فقلت ماذا لك يا هذا فقال اكتم على أمرى حبسنى الحجاج منذ ثلاث
 سنين فى أضيق حال وأسوء عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابرا لا أتكلم فلما
 كان بالامس أخرج جماعة كانوا معى فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن
 أن غدا يضرب عنق فأنتنى خن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لساني
 فقلت اللهم اشتد الضر ونفذ الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره

فأخذتني غشية وأنا بين النائم واليقظان إذ أتاني آت فعال لي قم وصل ركعتين
وقل مثل ما أقول يا من لا يشغله شيء عن شيء يا من أحاط عليه بما درأ وما أنت
عالم بخفيات غيوب الأمور ومخفى وساوس الصدور وأنت بالنظر الأعلى
وعليك عبط بالمنزل الأدنى تعاليت علوا كبيرا يا من حيث اغثنى وفك أسرى
واكشف قسرى فقد نفع بصبري فقامت وتوضأت في الحبال وصلبت وتلوت ما سمعته
منه ولم يحتل عليّ منه كلمة واحدة فسامت القول حتى سقط القيد من رجلي ونفارت
فاذا أبواب السجين قد تمكنت فقامت وخرجت ولم يعارضني أحد فأنا والله طليق
الرجل وأعقبني الله بصبري فربما وجعل لي من ذلك الصديق مخرجا ثم ودّعني
وانطلق يقصدا لحجاز

﴿خاتمة هذا الباب﴾ في الفقر الموضوعة * والدرر المسموعة

(منها) من صبر على ما يكره ولم يعزع كبت عدوه وسرّ صديقه (ومنها) من
صبر على عدوه إلى أن تلوح له الفرصة عليه أمكن نفسه من الانتقام واستأصل
شأفته وقطع دابته (ومنها) من استجمل في أمر يحاوله كان جديرا أن ناله
أن لا يدوم له فإن الخلل يلزم الجمل (ومنها) يجب على الملك أن لا يجعل في الانتقام
عن سعي به إليه حتى يكشف عن أغراض السعاة وما جملهم على السعاية فرب عدو
يضع زورا ويلقيه إلى من يوقه في مسامع الملك ليسطه على المكذوب عليه
(ومنها) الصبر والتثبت حسن وهو في الملوك أحسن والمرعة والاستجمل
في الانتقام قبيح وهو من الملوك أقيح لاسيما إذا كان في أمر لا يمكن تداركه (ومنها)
كم من صبر أفضى بصاحبه إلى جذل وسرور وكما استجمل أشرف بصاحبه على
هم وندامة وعنوان ذلك أن الصابر يتوقع خيرا والمستجمل يتوقع زلا

﴿الباب الثالث﴾ في صفة الشكر ومدحه * وذم الكفران وقبحه

ما كان الشكر عظيم الموضع وافر الخطر وفي المسكنة موبيا للزيادة في النعمة
المذكورة أمر الله تعالى في كتابه العزيز بشكره وقرنه بذكره فقال عز من قائل
اذكروني أذكركم وأئن كفرنم أن عذابي لشديد وقال الله تعالى ما يفعل الله
بعبادكم أن شكركم وأئنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وروى عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما قام في الصلاة حتى توره شقدهما قيل له إن الله
عز وجل قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا *

والشكر

والشكر المتعارف بين الناس هو اظهار النعمة والتحدث بها وبسط اللسان
 بالحمد والثناء والتعظيم للنعمة والتسوية بذكره ورفع قدره وقد انعقد الاجماع على
 وجوب الشكر للنعمة عقلا وشرا وان من انعم الله عليه واحسن اليه ولم يدع المنعم
 ويشكره الحسن لمجدد ان يحكم عليه بالثبوت ونحو ساسته وان يسلب النعمة او ينقطع
 عنه مدد ما ولقد انصف بعض بني امية وقد شغل بعض وال ملكهم وانقراض
 سعادتهم وانقضاء دولتهم ما كان سبب هذا الحادث المجحف بكم والبلاء النازل
 عليكم فقال قلة شكرنا لله تعالى على ما انعم به علينا واشتغالنا بالثنا عن النظر
 في مصالحنا وتقويضنا أمورنا الى من لا دين له ولا امانة عنده وظلم توأنا رعايانا
 وغفلتنا عنهم ففسدت علينا النيات واختلط علينا الجند لقله عطاياهم فاستطاعهم
 أعداؤنا فأجابوهم وأعانوهم علينا واستترت عنا الاخبار لقله الانصار فأل
 أمرنا الى ما آل وما يعم نفعه ويعظم في هذا المقام وقعه وبروق لذوى الافئدة
 المستقيمة سمعه ما قيل في حديث الحديث المعرب عن بعض عظماء أهل المغرب
 حين غت نعمته واتسعت بسطته وامتدت مدته ونفذت في دولة خدمته كلمته

﴿غريبة﴾ فقال له يوما بعض من لهجوة في سؤاله ومعرفة بقديم حاله واقلاله
 ما الذي أوصاك الى التقرب من الملك والتقلب في نواله وافضاله حتى أتحقق في
 احسانه اليك وانعامه عليك بخواص أهله وآله فقال ما معناه اعلم أنه لما أهل هذا
 الصقع في تلك السنة التي سمعت بها في عام القحط واضطرب الناس واشتدت اللارزة
 وضاق الامر وكثر الجوع وقيل المسعد واستوى في الشدة المقل والمكتر ونفذت
 ذخائر الاغنياء وسحبت المنية ذيل الهلاك على الضعفاء بقيت أنا وأهلي أياما
 في قضية الجوع والحاجة والقله قد دعت الضرورة الى أن كتبت الى الملك ورتبة
 اطفئة وكان ذاهبا الى الفضل ورعاية لاهل العلم وبثت بها اليه (وصورتها هذه)
 لقد عرضت فافقت استعطت رداء الحياء عن منكب الحرية وأنطقت لسان التعفف
 على خلاف العادة بالمسئلة وأخويت أهلي الصيانة الى تحمل ذل الابتذال وقد وقع
 في النفس أن في رافة الملك ما يكشف ضمرا ويسترق حرا ويستوجب على الابد
 حمدا وشكرا

فامن بمسايفني ويحمدا ثما * حمدا يدوم على مدى الايام
 فلما وقف علم اوقعت منه بموقع فأرسل غلاما على يده بادفع الحاجة وسد الحاجة

فكسبت على يد الغلام كلاما كثيرا منشورا وأعقبته بهذين البيتين
شكرت نوالك كل قافية * تختال بين المدح والغزل
فلقد ملأت بما مننت به * كف الرجا وناظرا لامل

فلما وقف عليها أطربته وقال هذا الرجل أهل للاحسان اليه فانه اذا كان هذا
شكركه للقليل من برنا فكيف يكون اذا اتخفناه بانعامنا والحمدناه بخواصنا
فاستدعاني ونحسني بطاقتي بره وفعل بي ما هذا الذي رأيت به بعض أثره فبذلقت
له ما في روعي وجهدي من مناصحة ووجد وشكر وخدمة ووجد بر من شكر أن يشمله
المزيد ومن رعي الاحسان أن يبلغ فوق ما يريد فان رب العزة جعلت قدرته وتعال
عظمته مع استغناؤه عن العالمين ولا ينتفع بكثرة شكرهم ولا ينصرون زيادة كفرهم
قد بذل المزيدين شكر وأعد العذاب الشديد لمن كفر فقال سبحانه وتعالى لئن
شكروتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد فساظنك بالانسان الذي
يسميه نشر الشكر والدعاء ويظهره ذكرا الحمد والثناء وينفره بخود ما جاد به من
النعماء ويتأثر تأثر اظهر على بشرته بهذه الاشياء وكأن الشكر اذا انطق به
المنعم عليه من العبيد والاتباع والامائل والاشياع يقتضي لهم زيادة الحب
وادامة الاحسان على الاناء فكذلك اذا رأى السيد والمنعم بعض أصحابه وخدمته
وحاشيته وحشمه وقد أسفر فجر نفعه عن صحبه وأضاء نيران نفعه لتدحه حمله على
حسن صنعه ومدحه بالقيام بما في جهده ووسعه فانه بهذا القول اليسير يسترق
رقاب الاحرار ويتخذ من مناصحتهم اخلاصا في الاعلان والاسرار حتى يهون
عليهم في تحصيل مراده ركوب الشدائد والاعطار ويسهل عندهم مكابدة
الصعاب لنيل ماله من المقاصد والاطوار

نادره) كانقل عن المهلب بن أبي صفرة لما كان في قتال الازارقة
وكان معه من أهل العراق جم غفير وخلق كثير فركب يوما ومعه بنوه
فقال لابنه يزيد يا بني تقدم الى هذه الطائفة من الازارقة فاصرفني
أمرها فأخذ يزيد جماعة وتقدم فلما اتقى الجمعان كان مع يزيد الحارث بن ربوع
من وجوه كند فسكى الحارث في الازارقة نكابة عظيمة وأبلى بلاء حسنا والمهلب
واقف ينظر الى صنعهم ويتعجب من جلات الحارث وفعلاته دون الباقيين فلما جن
الليل وحجز بين الفريقين نزل المهلب فدخل عليه الحارث فلما رآه المهلب زاد

أكرامه وقال مثلك يا حارث من يسدى إليه المعروف ويستتدب لدفع الكربة
ولقد بيضت وجه قومك وصدعت بجمعة بشك وصدقت الخيلة فيك وأرضيت
ربك في دينه وأدبرك في نصرته قال الحارث فلما سمعت هذا القول والقلب قوى
عرضني على القتال وهان على الفاء نفسي وعشيري في غمرات الموت بين يديه فلما
أصبح ركبا ابنه يزيد وأصحابه فجمعت عشيري وأخذت عليهم موافق الموت
أو الففر فلما اتقى الجمعان هيجت عشيري وحلت بهم فلا والله ما كان إلا هزيمة حتى
هزمناهم وأوقعنا السيف فيهم وغنمناهم والمهلب يتظر فلما أتينا بالغنمة قال لي
المهلب بك وعشيرتك يا حارث كسرهم يزيد فقلت لا أيها الملك بل بك كسرهم
يزيد فقال لي كيف وأنا واقف لم أتحرك فقلت له ذاك الشكر منك بالأمس لي
والكلام الذي هو عند ذوى الفطنة واللب أعلى قدرا من الملك هو الذي أوجب
ما رأيت من خوف الأتالة لأمليت من أمثال هذه الوقائع جلا وضررت عند
كل قضية منها لمن يتأملها مثلا ويكون من شواهد ما يدل على أن الشاكر
بشكره أكل معرفته وأحسن عملا وما أحسن قول القائل

أوليتني نعمًا ملكت ببعضها * رقي فوافقت مدحتي في شكرها
فلا تشكرك ما حيدت وان أمت * فتتشكرك أعظمي في قبرها

(تذكرة وبصرة) كما أن شكر المنعم يستدر أخلاق الأزد ياد ويبحث على إمداده
بمعاودة الأسعاف والأرفاد فكذلك كفران المنعم يعرض للزوال والنفاد ويلبس
جاحدها لباس سوء النعمة بين العباد وقد عسانعص بالازدياد من شكر وحل
الانتقام من كفر وفي قضية مكة حرسها الله تعالى وحال أهلها عبرة لمن استبصر
وموعظة لمن تذكر وتذكرة لمن تدبر فان الله تعالى لما أفاض على أهلها سوابغ
نعمه وجعلها بلدا آمنا وشرفه فوسمهم بجرمه وخصهم من لطائف رفده فضلا ومنا
وأوسعهم غاية حرامهم غنى وأمنا فقتل في كتابه العزيز أولم تكن لهم حوما آمنا
يجي إليه غمرات كل شيء رزقا من لدنا ثم بعث من بينهم محمدا عليه السلام رسولا من
أنفسهم فدعاهم إلى الإيمان وتلا عليهم القرآن وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن
المنكر وحرضهم على صلاة الرحم وحنهم على مكارم الأخلاق فكذبوه وكفروا بهمة
الله التي أنعمها عليهم فسلط عليهم أنواع الانتقام وضرب بهم المثل لذوى الأفهام
فقال سبحانه وتعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها

رعداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون وفي هذا تنبيه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * ومما نزل من الحكم المطربة والسكاهات المأثورة عن ذوى الخبرة أن من قابل النعمة عليه بكفرانها وجازى المحسن بالإساءة فقد استفتح باب سخط العزير وذى الانتقام

﴿ حكاية بليغة عن كفران النعمة ﴾

ولقد بلغنى أن الخليفة المنصور أمير المؤمنين لما أحسن إلى عبد الجبار وولاه أمة خراسان وناط بيده أزمة أمرها وفوض إليه حكم قلها وكثرها وأفاض عليه من نعمه ما شهدت به السنة تنظم السير ونثرها فزين له الشيطان سوء عمله فصده عن سبيل شكرها وأغراما بتابع هواه فأرداه في مهواة كفرها فكذب صاحب خبر المنصور إليه خبره بما شاهد من بريق عبد الجبار ولحبه من صفحات وجهه وسمعه من فلمات لسانه فضايق المنصور بذلك ذرعا وعظم لديه وقعا وأثار اضطرابه منه في وجه كيفية عمله نفعا وعلم أن الانتقام نازل عن كفر النعمة وإن كان أشد قوة وأكثر جمعا فاستحضر في الحال إليه من هو موثوق بدينه من الكبراء ومرموق بعين الأصابة عند اشتداد الآراء ومنزه عن مواقف التهم بمتابعة الأهواء ومطاع بنور البصيرة على معالجة معضل الادواء وقديما قبيل من استضاء بنور الادلاء في ظلمات الخطوب هدى إلى النظر بالمرغوب والمنجاة من المرهوب فلما أطلعهم الخليفة المنصور على طبع ما طوع به من كفران عبد الجبار لأحسانه وتغيره عما كان عليه من انقياده للطاعة وأذعانه وتنكره على من عنده من أنصار المنصور وأعوانه استشارهم في كيفية استدراجه إلى الحضرة بمضيرة وإتيانه قبيل أن يباهر بمخالفته وعصيانه فسامنهم الأمن استنزل من سماء فهمه صيب صوابه ونزل بيد فكره ورويته خبايا جمابه والخليفة مصغ إلى كلامهم لا يزيد على أن يسمع ويرى ويجمع نهاية أفهامهم ليختار أسدّها في أصابة مقتل ما قد عرى فلما اتلوا كائن الأفكار ونجوا من عهدة الأمانة الواجبة على المستشار جادهم على نهجهم وأذن لهم في الانصراف وقد علق بقلبه مقال واحد منهم ويعرف بأبي أيوب الجوزي فإنه استصوب رأيه بدقيق فكره واستعذب قوله وتحقيق مشورته فاستحضره وحده وقد حسنت فيه موارد عقيدته فلما حضر استعاد منه مقاله وسأله عما كان ذكره في ذلك الوقت وقاله فقال له يا أمير المؤمنين

بادر الالان بالكتاب الى عبد الجبار وأعلمه بانك تريد غزو الروم وقد استدعيت
 الجنود من جهات وأمره ليوجه اليك جند خراسان وفرسانها ووجوهها فاذا خرجوا
 منها وانفصلوا عنها سير من شئت الى عبد الجبار يحضره فما يقدر على الامتناع
 وافعل به ما شئت ففعل المنصور ذلك وكتب الى عبد الجبار كتابا بتلك الصورة
 فأجاب عبد الجبار عن كتابه بأن الترك قد حاشت وهي محاورة خراسان فان
 فرقت الجنود وتوجهت العساكر منها الى حضرة أمير المؤمنين ذهبت خراسان
 فلما وصل كتاب عبد الجبار بذلك استخضر المنصور أبا أيوب وألقى اليه كتاب عبد
 الجبار وقرأه وعلم ما قصده فقال يا أمير المؤمنين الالان أمكنك الله تعالى منه
 اكتب الالان اليه ان خراسان عندي أهم من غيرها وحيث قد ذكرت عن الترك
 أنهم قد جاشوا لحفظ خراسان معين علينا وأنا موجه بالجنود اليك ليكونوا بخراسان
 عندك لتستعين بهم على حفظها ثم وجهت أمير المؤمنين الجند ويسيرها الى خراسان
 فان بدا من عبد الجبار خلاف أخذوه بعنقه فسكتب المنصور الكتاب وسيره فلما
 وصل كتاب المنصور الى عبد الجبار حار فكره فسكتب الى المنصور ان خراسان
 لم تكن قط أسوأ حالة منها في هذا العام وان دخلها الجند هلك أهلها لضيق ما هم
 عليه من غلاء السعر فلما أتى المنصور كتاب عبد الجبار وقرأه دفعه الى أبي أيوب
 فقرأه وعلم مضمونه وقال يا أمير المؤمنين ان هذا رجل قد أبدى صفحة الخلاف
 وتقمص باباس كفران النعمة فناجزه ولا تؤخره فسير المنصور ولده محمد المهدى
 وأصحابه العساكر وقدم لحصار به حازم بن خزيمة فتوجه محمد المهدى بالعساكر فنزل
 نيسابور وتوجه حازم بن خزيمة الى عبد الجبار وهو يومئذ بمرو والرود فباغ ذلك
 أهلها وعلوا كفران عبد الجبار لنعمة المنصور ومخالفته لهم فحاف منهم فهرب
 واختفى فطلبوه حتى ظنوا به وأسرروه وسلموه اليه فألبسه حازم مدرعة صوف
 وأركبه على بعير وجعل وجهه الى ذنبه وسيره الى المنصور ومعه ولده وأصحابه فلما
 وصل هو ولده وأصحابه المساعدة على كفران النعمة وبجود الاحسان
 والمجاهرة بالخيانة والظفان صب المنصور عليهم أنواع العذاب والانتقام
 ثم في آخر الامر أمر بقطع يدي عبد الجبار ورجليه وضرب عنقه واشهار ذلك
 ليرتدع كل من قابل النعمة بالكفران وجازى بالاساءة على الاحسان

(خاتمة) لهذا الباب في الحكم الحسن النازلة في جيد الزمان منزلة قلائد العقيان

(منها) اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لازوال النعمة إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت (ومنها) شكرك من أولئك ما يستقبل لك بعينه على أن يملك ما يستكثر في حق أمثالك (ومنها) من خطيب النعمة بالشكر تسكيها بالدوام والناقل يرغب في الشكر ويبدل مكانه في اقتنائه ويراه أفضل ما يقتنيه من ذخائره (ومنها) من رفع عن الناس بترك بره مؤونة شكره وأراحهم بأهمالهم من تلاوة حمده فقد ينس من مكارم الاخلاق كما ينس السكفار من أصحاب القبور (ومنها) النعم رزق يديمه الشكر والشكر موهبة يهدي إليها العقل والمقل فطنة يوقظها التوفيق والتوفيق عنايت ربانية منبها الله من شأه من خلقه فمن زال توفيقه رقد عقله ومن رقد عقله فقدت موهبته ومن فقدت موهبته قل شكره ومن قل شكره حرم رزقه

باب الرابع في المشورة ويركتها * ودم تركها ومجانبتها
من شرف المشاورة وعموم نفعها وعلو درجاتها وعظم وقعها ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بها مع استغنائها عنها فقال عز من قائل وشاورهم في الامر وقال تعالى يدع من وصفهم في كتابه العزيز بصفات حميدة لا يجوزها الا الموفقون والذين استجابوا لربه وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون فجعل أمرهم شورى بينهم وكفى ذلك في فضيلة المشورة ذليلا والى خروج فضلاء سيدنا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة لأصحابه أشيروا عليّ وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزم فقال ان تسترشد وقال صلى الله عليه وسلم ما أحب من استشار ولا ندم من استشار وقال عليه السلام ما شقي عبد بمشورة ولا سعيد من استغنى برأيه وفي التوراة من لم يستشرف أمره يندم وقال أبو هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أكثر استشارة لأصحابه من النبي صلى الله عليه وسلم وقد شاور أصحابه في قصص كثيرة وقضايا متعددة (منها) لما أراد مهاجمة عيينة بن حصن والحارث بن عوف حين قصده الأحزاب يوم الخندق على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة ويرجعان عنه بمن معهم من غطفان فقال صلى الله عليه وسلم حتى أشاور السعديين سعد بن معاذ وسعد بن عباد وسعد بن قارة فشاورهم فأشاروا أن لا يعطيهم شيئا فعمل بمشورتهم (ومنها) استشارته في أسارى بدر فأشار أبو بكر رضي الله عنه بأفداء وأشار عمر رضي الله

عنه بالقتل فحمل صلى الله عليه وسلم برأى أبي بكر (ومنها) لما نزل صلى الله عليه وسلم
ببدر بأدنى ماء هناك قال له الحباب بن المنذر يا رسول الله أرايت هذا المنزل منزل
أنزلك الله تعالى ليس لنا عنه متقدم ولا متأخر أم هو الرأى والحرب والمكيدة
فقال صلى الله عليه وسلم بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال الحباب فان هذا
ليس بمنزل فانهض يا رسول الله بالناس حتى نأتى أدنى منزل من القوم فننزل على
مائة ثم نغير ما وراءه من القلب والأتار ونعمل لك حوضا فمأواه ماء ثم تقاتل القوم
فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأى ونهض
صلى الله عليه وسلم ومن معه وسار حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه وعمل ما
أشار به الحباب بن المنذر * وقال أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه في
المشورة سبع خصال استنباط الصواب واكتساب الرأى والتحصن من
السقطه وحزم الملامه ونجاة من الندامة والفقه القلوب واتساع الاثر وقال
لقمان لابنه يا بني اجعل عقل غيرك لك فيما تدعوك الحاجة الى فعله فقال ابنه
كيف أجعل عقل غيري لي قال تشاوره في أمرك وقال اذا استخار الرجل ربه
واستشار صفيه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضى الله في أمره ما يحب وقيل
للأحنف بن قيس بأى شئ يكثر صوابك ويقل خطأك فيما تأتبه من الامور
وقبائمه من الوقائع قال بالمشورة لذى التجارب ومخض زبدة الراء

(تهذيب واضح * وتبينه لا يبع)

من واردات الحكم ومسندها عن كبراساطين الحكمة وموردها وقد سئل
ما بال العاقل ذواللب مشورته على نفسه تقصر عن اصابة الصواب وادراك
المطلوب ومشورة غيره له تظفر به ذلك فقال ان مشورة الانسان لنفسه ممزوجة
بالهوى ومشورة غيره له سالمة من ذلك ولا اصابة مع الهوى وقد عاقل سبعة لا ينبغي
لذى لب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى
فان الجاهل يضل والعسود يريد الهلاك والحسود يفتنى زوال النعمة والمراءى
واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع
المال فلا رأى له في غيره وذو الهوى أسير هواه فهو لا يقدر على مخالفته ومما
يقطع بهجة هذا المقال وصديقه ويطلع أنوار تحفته من مطالع أفقه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الشح المطاع والهوى المتبع وكفى بكل واحد

منهم ما صار عن الحق المبين وواقف في وجه السنن المستبين

(إشارة عزيزة * وعبارة وجيزة)

لا يفتي أهلية المشورة من صفاء فكر وضياع حسن وجودة فهم وقوة نفس وسبق
تصيرة بصيرة وحجة حدى والاطلاع على شتات الامور وفارقة قول الزور فإذا حصلت
هذه المتزايا أطلع الله بنور بصيرته على ما وراء الحجاب المستور فأصاب عند
مشورته أصدق فكره مواقع المقدور وحصل بالعمل بما أشار به خروج من
الظلمات الى النور وشفاء لما ساقى الصدور *

(حكاية عن فوائد المشورة)

ومما قرع السامع وأطرب السامع من قضية الشعبي شاهد بأن المهتدى به تور
الاشارة مصيب لسواء السبيل وكيف يفضل من بين يديه من اتبع الشريعة وضياع
العتل أوضح دليل وتلخيص القضية بمسافر اغيا في قالب الاختصار وبلاغها
مستحقة من البيان مع عجانية الافراط والاقصار ما أورد معناه ذوو
الاستبصار من فضلاء الامصار ان الشعبي رحمه الله لما قدم به على الحاج في الواقعة
التي احدثت فيها شبهة على بن طالب كرم الله وجهه وكل من مال اليهم حين
خروجوا عليه فظفر بهم فسفك وقتك وقتك واستباح المحذور وارتكب
من النكال ما جاوز حد الانتقام وكان من يعتذر اليه في موافقتهم وليس منهم
يقبل عذره ويطلق سراحه قال الشعبي كان كاتب الحاج صديقا لي فقال
يا شعبي اعتذر اليه عساك تغفرون اذاه فحدثني نفسي بأن اخذتني أعذارا
يقبها فإني كان الليل طفت على أغوام لي على عتولهم اعتماد وفي رأيهم حسن
ظن فقلت لهم ما تشيرون فقد ابتدأني الحاج في أول مجلسه فأنفقت اشارتهم
مع اختلاف عبارتهم على ان الصدق أولى ما نفقت به فاعقده معه فلما أصبحت
ودخلت عليه سلمت عليه بالامرة وقلت أصليح الله الأميران الاعتذار بخبر ما يعلم
الله انه الحق لتبجح عندهم هودون مكانتك وأيم الله لا أقول في مقامى هذا الا الحق
والصدق ولقد جهلنا وحرصنا فساكنا بالاقوياء الفجرة ولا بالأتقياء البررة
ولقد نصرنا الله علينا وظفرك بنا فان سطوت فبدنونا وان عفوت فجهلناك
والحجة لك علينا فحكك الحاج بعد طوبه وسكن بعد وثوبه وقال والله أنت
أحب الينا قولنا لصدقك من يدخل علينا وسيفه يقطر من دماثنا ويعتذر ويقول

ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي فقلت يا عباس الامير اكتملت بعدك السهر واستشربت الخوف وقطعت صالح الاعوان ولم أجذبك خلفا ففعلت صدقات فطبت نفسا واسطأ ملا فخرت من عنده وقد أمنت ببركة المشورة واستعمال الصديق وقد قيل ما عرض أحد عن قبول المشير الا واستغنى لباس الندم على التقصير وقد عاقل ما ضل من استخار ولازل من استشار

﴿ مطلب في اضرار ترك المشورة ﴾

وقد قيل ابن عباس رضي الله عنه قال لما قتل طلحة بن عبد الله رضي الله عنه وقد وقعت تلك الواقعة المشهورة خرج على رضي الله عنه راكبا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والكراهة تبين من وجهه فقال رحمه الله عبي العباس كأنما كان يطالع على الغيب من وراء ستر رقيق صدق والله ما نلت من هذا الامر شيئا الا بعد شرا لا خير معه فقلت يا امير المؤمنين لو قبلت مشورته لاسترحمت فقال وكان امر الله قدرا مقدورا قال ابن عباس فسالني بعض اصحابه عن مشورة العباس فقلت فقد العباس وعلى رضي الله عنهم في أيام عثمان فقال لعلي يا ابن أخي كنت أشرت عليك بأشياء ولم تقبل مني فغرايت في عاقبتهم ما كرهت وهانا الان أشير عليك يا ابن أخي فان قبلت والا ناك ما تذكره كنت أشرت عليك لما اشتد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله ان كان الامر فينا أعطاناه وان كان في غيرنا أوصى بنا فقلت ان منعناه لم يعطنا أحد بعده ففقت تلك ثم لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أبو سفيان ابن حرب تلك الساعة فدعوناك فقلت اسطأ يدك نيايسك فانا ان يا عيناك لم يختلف عليك منافي وان يا عيناك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قرشي وان يا عيناك قریش لم يختلف عليك عربي فقلت في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل ولن يفوت الامر فلم نلبث حتى سمعنا التكبير من السقيفة فقلت ما هذا يا عثم فقلت مادعوناك اليه ثم اساطعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشرت عامك أن لا تدخل معهم في الشورى فانك ان اعترلتهم قدموك وان ساويتهم لم تقدموك فدخلت معهم فكان ما رأيت وهما أنا أقول لك الان أرى هذا الرجل يعني عثمان رضي الله عنه يؤخذ في أمور السكاني بالعرب وقد سارت اليه حتى يغمر كل يغمر الجزور والله لئن كان ذلك وأنت حاضر بالمدينة ليرمينك الناس بدمه وان فعلوا لا تنال من هذا الامر شيئا الا بشرا لا خير معه فهذا كان رأي العباس ومشورته ولكن حاجز القدر

منع من العمل بهذه المشورة ليقضى الله أمرا كان مفعولا وقد كان عمر رضى الله عنه
 يشاور في كثير من الوقائع حتى قال يوما لأصحابه أشيروا عليّ ودلوني على رجل
 أستعمله على أمر قد دهممتي فتولوا ما عندكم فاني أريد رجلا إذا كان في القوم وليس
 أميرهم كان كائنه وإذا كان أميرهم كان كائنه واحد منهم فقالوا نرى لهذه الصفة
 الربيع بن زياد الحارثي ففسر عليّ أمير المؤمنين به فاحضره وولاه فوفق في عمله
 وقام فيه بما ربه عليّ رجاء أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فيه وأمله فشكر عمر رضى
 الله عنه من أشار عليه بولاية الربيع وكان يحدث على المشورة في الأمر الكبير
 الرفيع والمخير والوضيع وقد قيل في ذلك من استشار فتد اعتصم من الرأي
 بالمعقل المنيع ومن استبد فلا يأمن أن يحتمل مراده ويضيق وعلى الجملة فقل
 الفر يقين كالاعمى والأصم والبصير والسميع وطالما أدرك المستشار بغته
 فانه قلب بقدح الفاترين ولولا الاستشارة لكان عن أدراك مأموله من العاجزين
 (لطيفة في فوائد المشورة)

وقد ورد من مستحسنات ما طرب عن بعض ساكني يثرب يعرف بالاسلمي قال
 ركبني دين أثقل كاهلتي وطالبني به مستحقوه واشتدت حاجتي الى ما لا بد منه
 فضاقت عليّ الارض ولم أهتم الى ما صنع فشاورت من اتق به من ذوي المودة
 والراي فأشار عليّ بقصد المهلب بن أبي صفرة بالعراق فقلت له عنى بعد الشعة
 وفيه المهلب ثم اني عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ما زادني على
 ما ذكره لي الصديق الاول فرأيت ان قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتي
 ومجيت رفقة في الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت
 عليه وقلت له أصلى الله الامير اني قطعت اليك الدهناء وضربت يا كاد الابل من
 يثرب فانه أشار عليّ ذرو الحجي والراي بقصدك لقضاء حاجتي فقال هل أتيتنا
 بوسيلة أوقرابة او عسيرة فقلت لا ولكن رأيتك محتاجا الى اهلا فان قت بها فانت
 اهل لذلك وان يحل دونها حائل لم اذم يومك ولم اياس من غدك فقال المهلب
 لحاجبه اذهب وادفع اليه ما في خزائنا الساعة فأخذ في معه فوجد في خزائنه
 ثمانين الف درهم فدفعها اليّ فلما رأيت ذلك لم أملك نفسي فرحا وسرورا
 واعادني اليه مسرعا فقال هل وصلت ما يقوم بدفع حاجتك فقلت نعم أيها الامير
 وزيادة فقال الحمد لله على نفع سعيك واجتنائك جني مشورتك وتصديق ظن من

أشار عليك بتصدينا قال الاسنى فلما سمعت كلامه وقد احزرت صلاته انشدته واننا
واقف بين يديه

شعر

يا من على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير العدل والجود
عمت عطائك أهل الارض قاطبة * فأنت والجود مخلوقان من عود
من استشار فيساب النجج منفتح * لديه في ميثاقه غدير مسدود
ثم هدت الى المدينة وقضيت ديني ووسعت على اهلي وجوزيت المشيرين على وعاهدت
الله تعالى اني لا اترك الاشارة في جميع امري ما عشت * وكمن تقيه دهمته حادثه
اظلم من الليل اذا تغشى فهدته الاشارة الى كشف كربته نهجا أوضح من النهار
اذ انجلي فأمن سربه وزال كربته اذا سمعته المشورة لا تخف انك انت الاعلى * وقد
ورد من هجيات القصص ودستغريبات القصص ما يصف هذا القول بالصواب
ويكشف عن وجه تصديقه نقاب الارقياب ويقذف في نفس سامعه أن حارس
واصفه قد أصاب وان سمعاب فهم سور باب علمه قد نزل بالحكمة وصواب
من استشار نجما من الناري

وعن غيره فإنه قيل في مسطور السير ومن زور وقائع العبر ما معناه ان الخليفة المنصور
كان قد صدر من عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أمور مؤلفة لا يحتملها
حراسة الخلافة ولا يتجاوز عنها سياسة الملك والابا لا تقف عنه عنده ثم بلغه عن ابن عمه
عيسى بن موسى بن علي وكان واليا على الكوفة ما أفرد عقيدته فيه وأوحشه منه
وحسرف وجهه اليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساء ظنه وتأرق جفنه وقيل أنه
وترادف خوفه وخزونه وقاسم قلوب من جاءته الاساءة من جانب توقع الاسعاف منه كان
ألمه أشد ونكاية قرحه أعظم ومن خامر قلبه استشعار زوال ملكه وتوهم تطاع
النلوب الى دماره وهلاكه كان جديرا به بمجانبة الرقاد ومخالفة السهاد وبمجانبة جنبيه
عن المهاد واحمال فكره وتخليه في اصلاح ما عرا أمره من الفساد فأدت فكرة المنصور
الى أمر دبره وفكر كتمه عن جميع حاشيته وسيره واستحضرا بن عمه عيسى بن موسى
وأجراه على عادة اكرامه وأخرج من كان بمحضرتة ثم قال له ما معناه يا ابن عم اني
مطلبك على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا سواك مسعدا لي على حل ثقله فهل أنت
في موضع ظني بان وعامل على ما فيه بقضاء نجتك التي هي منوطة ببقاء ملكي
فقال له عيسى بن موسى أنا عبد أمير المؤمنين ونفسي طوع أمره ونهيه فقال ان عي
وعلمك تبتدأ الله قد فسدت بطائفة وأعتقد ما في بعضه ما يبيع دمه وفي قتله صلاح

ملكاً فنه اليك واقتله سرا ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضر ان ابن عمه
عيسى اذا قتل عمه عبد الله الزمه القصاص وسلمه الى اعماسه اخوة عبد الله
ليقيدوه به ويقتلوه قصاصاً فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال
عيسى فلما أخذت عمي وأفسكرت في قتله رأيت من الرأي ان أشاور في قضيتي من
له رأي عسى ان أصيب الصواب فيها فأحضرت يونس بن فروة الكاتب وصكان
لي حسن ظن في رأيه وعقيدة صالحة في معرفته فقلت له ان أمير المؤمنين سلم الي
عمه وأمرني بقتله واخذناه أمره خارا يك فيه وماتير على به فقتل لي يونس أيها
الأمير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فاني أرى لك أن تدخله الى مكان
داخل دارك وتكتم أمره عن كل من عندك وتتولى بنفسك حمل طعامة وشرايه
اليه وتجعل دونه مغالق وأبواباً وتجعل بين كل من هو من بطائك وبين المعرفة بهذه
الحال حجاباً وأظهر لأمير المؤمنين انك أنفذت أمره وانتهيت الى العمل بطاعته
فكأنني به اذا تحقق انك فعلت ما أمرك به وقلت عمه أمرك باحضاره على رؤس
الاشهاد فان اعترفت انك قتلت به أمره أنككر أمره لك وواخذك بقتله وقتلك به
قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها وأدخلت عمي الى خزنة في
داخل داري وأفردت له موضعا وتركت عنده ما يأكله ويشربه أياما
وأغلقت عليه أبوابا وأقفالا وجعلت مغاليقها معي وأظهرت لأمير المؤمنين أنني
نفذت أمره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر في نفسه اني قتلت عمه
عبد الله أتاه أعماسه يهنؤنه ويستوهبوه منه وأطمعهم في اجابتهم فجاء اليه وقد
جاس والناس بين يديه على مراتبهم فسأله في عبد الله فقال نعم حتى ترضى
باسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة ورحم واحسان الى من هو في مقام الوالد ثم أمر
باحضار عيسى بن موسى فأحضر لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل خروجي
الى الحج عبد الله عمي وعمك ليكون عندك في منزلك الى حين رجوعي قال عيسى قد
فعلت يا أمير المؤمنين فقال قد سألتني فيه عمومتك وقد رأيت الصفع عنه وقضاه
حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فأتاه قال عيسى بن موسى فقلت يا أمير
المؤمنين ألم تأمرني بقتله والمبادرة الى ذلك فقال المنصور كذبت ما أمرتك بذلك ولو
أردت قتله لسلته الى من هو بصدد ذلك ثم اظهر الغضب وقال لعومته قد اعترف
واقرب بقتل اخيكم مدعيان الى أمرته بذلك وقد كذب على قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه

الينا لنقتله ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فأخذوني الى الرحبة واجتمع على الناس فقام واحد من عجمتي الى "وسل سيفه ليضربني فقلت له يا عم أفاعل انت قال أي والله كيف لا أقتلك وقد قتلت أخي فقلت لهم لا تجسوا ردوني الى امير المؤمنين فردوني اليه فقلت له يا امير المؤمنين انما اردت قتلي بقتله والذي دبرته على عصمتي الله من فعله وهذا علك باق حي سوى وان أمرتني بدفعه اليهم دفعته فأطرق المنصور وعلم ان ربح فسكره صادفت اعصارا وان انفراده بتدبيره قارف خسارا وقديما قيل من اتبع هواه وشرع فيه ياهواه وقطع نظره عن عواقب ما أتاه واقتنع برأيه عن مشاورة من سواه كان اخفاق مسعاه اقرب اليه مما امله ورجاه فقال المنصور لعيسى اتتنا به فضى عيسى وأني بعبد الله فلما رآه قال لعمرومته اترصوه عندي وانصرفوا حتى اري فيه رأيا قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت روعي وزالت كربتي وكان ذلك بسبكة المشورة ليونس وقبول اشارته والعمل بمشورته ثم ان المنصور اسكن عبد الله في بيت اساسه قد بني على الملح ثم ارسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط البيت فسات عبد الله ودفن في مقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المسكينة ومن سهام مرامها البعيدة وقد وضع من غضون هذه القضية وأرجائها ان ترك الخليفة استعانت به بأنوار الافكار وأرائها قطع عنه مواد مراده وأضعف قوى قصده وأعضاده فلم تظفر نفسه المتألمة بشغائها ولا زال عنها ما خامرها من أدوائها بما اعتمده من طرق دوائها وان استسقاء عيسى ماء المشورة واستنزاه من سخائب سمائها واستضاءت بنوره مشكاتها في دجى الحيرة وظلمائها أروى صدها وأهدى اليه هداه فجرت الاقدار بسلامة نفسه وبقاءها وقبل ما رغبت في المشورة أحد وعمل بها الا غنم ولا زهد فيها وأعرض عن قبولها الا ندم

(حكاية عن فوائد المشورة)

* بلغني ان امير المؤمنين محمد الامين لما قصد عبد الله بن طاهر بعساكر المأمون وحصر ببغداد واشتد عليه الامر وضاق بين يديه المسالك الى النجاة قال من استشار ذارأي ومعرفة وخالفه وقع فيما يكره وندم على التفريط فانه لما حصل عندي من أخي حاله أحضرت الشيخ أبا الحسن القطيفي وكان ذارأي ومعرفة بموارد المحوادث ومصادرها فادته في أخي المأمون وما الذي اعتمده حتى يقع في يدي وأطلعت على حقيقة الحال واستثمرته في كيفية العمل في ذلك فقال لي ان استجبت لم تنتفع

برأى ولا فعل وان غفلت وقيل مشوري وعملت بحسب أقواله فمكنت من أخيك
وبلغت ما تأمله وذلك انك تدعو حجاج خراسان اذا قدموا بغداد وقيل لهم مجلس
عامة وتقول لهم ان اخي كتب الي يمسحكم ويد كرحسن طاعتكم وجميعكم انقيادكم
وجيد مذهبكم وتجزئهم خيرا ثم تقول لهم قد اطلقت عنكم الخراج سنة وأخوك في
خراسان وهي بلاد رجال بلا سال وليس له في رد قولك حيلة رسياله من ذلك دخل
عظيم ثم يمتنع عليه أكثر أمره ثم تقبل في السنة المقبلة مثل ذلك وتستقط عنهم خراج
سنتين فان لم يوت في السنة الثالثة بأخيك في وثاق والا فاضرب عنقك ان كنت حيا
نفا لفته وما قبلت مشورته وعملت الى خلع المأمون وعقدت الامر لابني حتى وقع
ما وقع فن خالف المشير ندم على التقصير (قيل ما معناه) ان بعض صدور العراق
كان له رواعورية ومكانة من ذي الخلافة علية وعلمه من ملابس السباهة حلة
سنية وتحمله من الولاية مطية ومائة ففوقت اليه الايام من حوادئها سبها وأقامت
له من الحاسدين القاصدين خصما فأبرم له حيل احتماله ليسومه باختياره ظلمها
وهضمها وكان قد علم ان التوفيق عهد بالاستشارة لكان ففسي ولم يجد له عزما
فاعرض عن الاستشارة فيمسا عراه استبكارا ولم يرض لنفسه أن يقلد في أمره
مستشارا فأهواه تبه عن مهواة الخيرة عشوا ولم يجد له على دفع ما كاد به الحاسد
القاصد انصارا قال ففسيث ظهور المرامي لاسهم الرامي وضائق عليه في المدافعة
فسحبات المرامي فأغفيت اغفاهة فرأيت في مناعي انسانا واقفا أمانى وهو يقول لي
عليك بشرا الازدي فقلت وما قال الازدي فقال قوله

تسلك بأهداب المشورة واستعن * بحزم نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوا في قوة للمقدام

فاستنظت وقد حفظت البيتين فسألت عنهما من هما فأخبرت انهما اليه جماع
الازدي كما قال لي ذلك القائل فعملت بهما وشاورت فيهما حدث لي واعتمدت العمل
بالمشورة فاندفع عني ما كنت أتوقعه من الازدي المردى والتلف المتوقع فعاهدت
الله تعالى بعد ما أن لا أترك مشاورة أهل الرأي وذوى المعرفة في جميع ما يعرض
لي ولمت ذلك فريحت واسترحت (قيل) لرجل من عبس ما أكثر صوابكم في
مشاورة ما تأتونه ومجانبة ما تعرضون عنه قال نحن ألف رجل وفيما رجل واحد
حازم ذو رأى ومعرفة فنحن نشاوره في الجليل والمحير ونعمل برأيه فكأننا اذا

أصدرنا عن رأيه ومشورته في ألف حازم وجدير بألف حازم أن يصيبوا * وقد عينا
قبل (شعر)

إذا ما عرى خطيب ورمث ووروده * فشاور فكم نفع هده المشاورة
وأنفع من شاورت من كان ناصحا * شقيقا فابصر بعد من تشاوره
خاتمة لهذا الباب في الحكم الموقولة والالفاظ المنقولة *

(منها) لا معين أقوى من المشورة ولا عون أنفع من العقل فالمشورة تقوى العزم وتفتح
الفتح وتوضح الحق وترشد إلى الاصابة وتبسط العذر وترزح عن مواقف الندامة
والعقل يهدي صاحبه إلى اجتناء ثمر المشورة ومنها من استشار ذوي الرأي والمعرفة
في فعل ما عناء فقبل المشورة منهم واقتدى بأرائهم فيما لم يعدل عنها وعن قويم نهجها
قل أن يخفق مسعاه ويفوت مطالبه فإن أعجزه القدر فهو معذور غير ملوم (ومنها)
من ترك المشورة وعدل عنها فلم يظفر بحاجته صار همدافا لسهام الملام ومضغ في
أفواه العاذلين (ومنها) من فضل المشورة أنها تكشف لك طباع الرجال فتبي
اختيار رجل فشاورة في أمر من الأمور يظهر لك من رأيه وفكره وعدله وجوره
وخبره ومرد (ومنها) من أكثر الاستشارة لم يعد عند الاصابة مادحا وعند الخطأ
عاذرا

* الباب الخامس في الانصاف والعدل في الرعية والنظم والاحفاف في البرية *

قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الآية
وقيل الشروع في مقصود هذا الباب وكشف الغطاء عن وجه المطالب
فيه لا بد من الإشارة إلى معنى هذه الآية الجامعة لهذه الصفات الجميلة والخلال
الحميدة * فأقول نقل عن قتادة رضي الله عنه أنه قال ان الله تعالى أمر
عباده في هذه الآية بمكارم الاخلاق ومعاليها ونهاهم عن سفاسف الاخلاق
ومذامها وقال أيضا انه ليس من خالق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به
ويعظمونه إلا امر الله تعالى به وليس من خلق سيئ كانوا يتعاضدون به بينهم إلا نهى
الله عنه * بلغني ان الشعبي قال جاشت ومسروق فقال شتما ما أن تحدث ما سمعت
من عبد الله بن مسعود فأصدقك وأما أن أحدث فتصدقني فتعال مسروق لأبل
حدث فأصدقك قال سمعت عبد الله يقول ان اجتمع آية في القرآن لم خير أو شرفي
الخلل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء

والمسكرو البني قال مسروق صدقت وقال ابن عباس رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء يده بككة جالسا اذ مر به عثمان بن مظعون فمكشرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس فجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبلا فبينما هو يتحدث له اذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره الى السماء فظفر ساعة واخذ يفتح بصره حتى وضعه عن عينه في الارض فتخرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان الى حيث وضع بصره فاخذ يتغص رأسه حتى كأنه يستنقذ ما يقول له ثم شخص رسول الله ببصره الى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى توارى بالسماء فأقبل على عثمان بكلمته الاولى فقال عثمان يا محمد قد كنت أجالسك وآتيك فإرايتك تفعل فعلتك هذه قال وما رأيتني فعلت قال رأيتك قد شخص بصرك الى السماء ثم وضعته عن يمينك فتخرفت اليه وتركتني فأخذت تنغص رأسك كأنك تستنقذ شيئا يقال لك قال أو فطنت الى ذلك قال عثمان نعم قال أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم آتفا وأنت جالس قال عثمان رسول الله أتاك قال نعم قال فما قال لك قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون قال عثمان فذاك حين استقر الایمان في قلبي واذا أصبحت محمدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على الوليد وكان كيترا في قریش فقال له يا ابن أخي أعد على فاعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان له الخلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاء امره وان أسفله لمورق وما هو بقول البشر والمراد بالعدل الانصاف فلا تفعل الا ما هو عدل ونصفة والمراد بالاحسان العفو عن الناس واسداء المعروف والمراد بابتاء ذى القربى صلة الرحم فلا تقطعها والمراد بالنهي عن الفحشاء ما قبح من الافعال والاقوال والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وبالبغى الظلم والعدوان وفي هذه الآية مقتع في فضل العدل وعلو درجته وكمال منقبته والبحث على اجتهد الانسان في التحلي بصفته وقال سبحانه وتعالى واذا قلتم فاعدلوا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عدل السلطان يوما يعدل عند الله تعالى عبادة سبعين سنة وقال صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى الله وأقربهم السلطان العادل وأبغضهم الى الله وأبعدهم السلطان الجائر وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفس محمد بيده انه ليرفع للسلطان العادل الى

السماة مثل عمل جله الزعينة وقال صلى الله عليه وسلم حديثه مقام في الارض خير من
أن تطرأ أربعين صباحا وقال صلى الله عليه وسلم ان المقسطين في الدنيا على منابر
من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا وروى باقظ آخر ان
المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور عن يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم
وأهلهم وما ولوا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من عبد ولاه الله
تعالى أمر رعية فغشهم ولم ينصح لهم ولم يشفق عليهم الا حرم الله عليه الجنة وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلان من أمتي يحرمان شفاعتي ملك ظالم ومبتدع غال
يتعدى الحدود وقد قيل ان الملك يدوم مع العدل وان كان صاحبه كافرا ولا يدوم مع
الظلم وان كان صاحبه مؤمنا وكان كسرى أو ثروان يسمى بالملك العادل ويكفيه
في الشرف والفخر وعلو الذكر والشدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى
بذلك حيث قال ولدت في زمن الملك العادل ولما قيل لكسرى بماذا استحق الملك
هذه الصفة قال لا في جعلت العدل أكبرهمى وحافى عليه قول الحكيم الفاضل
* لا ملك الا بالجد ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا
الا بالعدل فلزمت العدل واعتمدت عليه فأمنت الرعايا وعمرت البلاد * وقد نقل
عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في هذا المقام ما هو أفصح وضعا
وأعظم وقعا وأتم نفعا وأبلغ أنواع البلاغة والفصاحة جمعا وهو قوله العالم حديقة
سياجها الشريعة والشريعة سلطان يجب لها الطاعة والطاعة سياسة يقوم بها الملك
والملك راع يهضمه الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية
والرعية سواد يستعبد لهم العدل والعدل أساس قوام العالم

﴿اعتبار واستبصار في العدل﴾

بلغنى ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما ولي الخلافة كتب الى
الحسن البصرى أن يكتب اليه بصفة الامام العادل فكتب اليه اعلم
يا أمير المؤمنين ان الله تعالى جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل
حائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفرج كل ملهوف
والامام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق الحازم الرفيق الذى يرتادها
أطيس المراعى ويذودها عن غارات الهلكة ويحميها من السباع ويكفيها من أذى
الحمر والقر والامام العادل يا أمير المؤمنين كالاب الحنانى على ولده يسعى لهم

صغاراً ويعلمهم كباراً ويكسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد وفاته والامام العادل
يا أمير المؤمنين كالام الشقيقة البرة الرقيقة تولد لها حلتة كرها ووضعته كرها وربته
طفلاً تسهر لسهره وتسكن لسكونه وترضعه تارده وتقطعه أخرى تفرح لعافيته وتغتم
لشكايته والامام العادل كالقلب بين الجوارح تصلح بصلاحه وتفسد بفساده
والامام العادل هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر
الى الله ويرىهم وينقاد لله ويقودهم اليه ولا تسكن يا أمير المؤمنين في عالم كك الله
كعبداً تشبهه سيده واستخف غلامه وعباله فبدد المال وشرّد العيال فأفقر أهله
وأهلك ماله واعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى أنزل المحمود ليزجر بها عن الخبائث
والفواحش فكيف اذا أناها من يلها وان الله تعالى أنزل التماس حياة
لعباده فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم قال ناقل هذه المغالة فلما قدم كتاب الحسن
البصري على عمر بن عبد العزيز وقع منه موقع وغضله وحمل يقظته

ومن متداول الالسننة * على طول الازمنة *

قولهم عدل السلطان يقوم مقام نصب الزمان زعمت الفرس ان فيروز بن يزيد
بن بهرام جور كان ملكاً عادلاً واتفق ان الناس قعطوا في زمانه سنوات متوالية
حتى غارت الانهار والعيون وقحلت الاشجار والغياض وهلكت جملة من
الوحوش والطيور وصارت الدواب والانعام لا تطيق جمولة لشدة القحط وقلة الثوت
فبسط من أحسانه ونشر من آثار عدله وكف عن جباية المحقوق واستخراج
الخراج والمستحقات وأخرج من ميوت الاموال ما فرقه وأمر بانخراج ما في الاهراء
والمطامير من الغلال والطعام وترك الاستئثار به وسأوى في ذلك بين غنيهم
وفقيرهم وأخبر رعاياه انه متى بلغه ان انساناً مات جوعاً عاقب أهل تلك البقعة
ونكّل بهم فنبهل انه لم يمت في تلك الجماعة العظيمة الا رجل واحد من كورة
ازدشير فقام عدله في الرعية مقام الخصب حتى جاء الخصب وعادت السعة ورعاياه
على ما يؤثرون وقد كان يوصي عماله فقول سوسوا الناس بالمعدلة واجلوهم على
النصف واحذروا ان تلبسونا جلودهم أو تطعمونا لحومهم أو تسقونا دماهم * قيل
ان قيصراً ملك الروم سیر رسولا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ليشاهد أحواله ويكشف أفعاله ويسمع أقواله فلما وصل الرسول الى المدينة قال
لأهله أين ملككم قالوا ليس لنا ملك وانما لنا أمير قد خرج الى ظاهرا المدينة

فخرج الرسول في طلبه فرآه نائماً في الشمس على الأرض فوق الرمل وقد وضع
 درته كالحفلة له والعرق يسقط من جبينه فلما رآه الرسول على هذه الحالة رقع
 الخشوع في قلبه وقال رجل تكون جميع ملوك الأرض لا يقر لهم قرار من هيئته
 وتكون هذه حالته ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فممتهم ولم يكبحوا ولا جرم لا يزال
 خائفاً سامها أشهد أن دينكم لدين الحق ولولا أنني رسول لأسلت ولكنتي سأعود
 بعد هذا وأسلم * وقد قيل من سعادة الملك محبة للعدل ومن علامة محبته للعدل
 مخالطة لاهل العلم ذوى الدين ورغبته في محادثتهم لينذكروه بما يحب عليه من
 العدل الذي هو سعادته في الآخرة ودوام ملكه في الدنيا وحسن سمته في العالم
 وصل القلوب اليه ويرى باللسن بالله عامله كما نقل عن أمير المؤمنين هارون
 الرشيد أنه أحب أن يرى شقيق البلخي رضي الله عنه فلما دخل عليه قال له أنت
 شقيق الزاهد قال أنا شقيق وليست براهد فقال أوصني قال عليك بالعدل فإنه أول
 ما يطلبك الله به واعلم يا أمير المؤمنين إن الله تعالى أجلك في موضع أبي بكر
 الصديق وهو يطلب منك الصدق مثل صدقه وأعطاك موضع عمر بن الخطاب
 الفاروق وهو يطلب منك أن تفرق بين الحق والباطل وأحكك محمل
 عثمان بن عفان وهو يطلب منك مثل قيسامة في الرعية وأعطاك موضع علي
 بن أبي طالب وهو يطلب منك العدل والعمل به كما يطلب منه فانظر لنفسك
 يا أمير المؤمنين قال الرشيد فانتفعت بكلامه ورسخ في نفسه منه ما نفعت الله به
 وقد يحتمل أنه قيل ليزجرك ملك الفرس ما الذي أوجب لك كسكم انتظام الأمور
 ودوام السرور فقال ما معناه أنا استعملنا العدل والإنصاف فمهرت بلادنا واستعملنا
 تأديب الخائن وتقرىب المشفق الأمين فغني ملكنا واستعملنا الاحسان إلى رعايانا
 فلما قلوبهم واستعملنا الصدق فثابت لنا ملوك الطوائف واستعملنا الحكام
 الاخلاق فاكتملنا حسن السمعة وبقاء الذكر ولم يختلف علينا من فكره
 خلافة لنا فاستقامت لذلك أمورنا وتم سرورنا ولقد دل على المعنى البسيط بهذا
 القول الوجيز ومن استعمل ذلك فقد أسعده بتوفيقه وسكن التوفيق عزيز

﴿اعتبار نافع وتذكير جامع﴾

قرع السامع ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما آل أمر الخلافة اليه بذل
 جهده في اقامة العدل واستعمال القسط ودحض الظلم ومعاملة العالم بالانصاف

فكتب اليه عدي بن ارطاة كتابا مختصرا مضمونا أنه أما بعد فإن قبلنا ناسا لا يؤدبون
ما في جهنم من الخراج إلا أن يسهم شيء من العذاب فكتب اليه عمر بن عبد العزيز
أما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب البشر كما في جنة لك من
عذاب الله تعالى أو كأن رضائي ينجيك من سخط الله تعالى فإذا أتاك كفاي
هذا فمن أعطاك ما قبله عفوا فاقبله ومن أنكر ما قبله فاستخلفه فوالله لأن
نلقى الله تعالى بخياناتهم أحب إلي من أن نلقى الله بعداهم

﴿لطيفة عن شراح الجور﴾

ونقلت الرواة الثقات والنقلة الآثبات أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة
رضي الله عنه قال بعث إلى أبو جعفر المنصور وإلى ابن طاوس فدخلنا
عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له وبين يديه انطاع قد بسطت
وجلاد زهم بأيديهم السيوف لضرب رقاب الناس فأومأ اليينا بالجلوس وأطرق
عناطوبلا ثم التفت إلى ابن طاوس فقال له حدثني عن أبيك قال نعم سمعت أبي
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل
أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله قال مالك فضممت ثيابي مخافة
أن يلائي دمه ثم التفت إليه أبو جعفر فقال عظمي يا ابن طاوس قال نعم أما سمعت
الله يقول ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات الحماد التي لم يخلق مثله في البلاد
وثمود الذين جاؤا النضر بالواد إلى قوله لبنا المرصاد قال مالك فضممت ثيابي أيضا
مخافة أن يلائي دمه فأمسك المنصور ساعة ثم قال يا ابن طاوس ناواني الدواة
فأمسك ابن طاوس ولم يسأله أباهما وهي في يده فقال ما يمنعك أن تناولنيها قال
أخشى أن تكتب بهام عصية الله فأكون شريكك فيها فيما سمع ذلك المنصور قال
قوما عني قال ابن طاوس ذلك ما كتبتني قال مالك فبازلت أعرف لابن طاوس
بعدها فضله * وقد عاقل ما نسب إلى سقراط الحكيم ينبوع فرح الإنسان
وحفظ بدنه القلب المعتدل وينبوع فرح العالم وحفظه السلطان العادل وينبوع
خزن الإنسان القلب المختلف المزاج وينبوع خزن العالم وفساده السلطان الجائر

﴿نادرة﴾

روى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبي للاظالم يوما فلما
انقضى المجلس رأى رجلا جالسا فقال ألك حاجة قال نعم تدني أليك فاني مظلوم قد
أعوزني العدل والانصاف قال من ظلمك قال أنت ولست أصل أليك فأذكر حاجتي

قال

قال وما يحجبك وقد ترى مجامعي منذ ولا قال محجبي عنك هيتك وطول لسانك
وفصاحتك واطراد جنتك فقال فقيم ظلمتك قال في ضيعتي الغلالية أخذها وكيلك
غصباني بغير ثمن فاذا وجب عليها سراج أدية باسمي لتلايشت لك اسم في ملكها
فيبطل ما كنتي فوكيلك يأخذ غلتها وأنا أؤدّي سراجها وهذا لم يسمع بمثله في المظالم
فقال له محمد هذا قول يحتاج الى بينة وشهود وأشياء فقال له الرجل أيؤمنني الوزير
من غضبه حتى أجيب قال نعم قد أمنتك قال البينة هم الشهود واذا شهدوا فليس
يحتاج منهم الى شيء آخر فاعني قولك بينة وشهود وأشياء ايش هذه الاشياء الا الي
والحصر والتمطرس وعدوك عن العدل فحكك محمد وقال قد صدقت والبراء
موكل بالمنطق واني لاري فيك مصطنعا ثم وقع له بردي ضيعته وأن يطلق له كرك
وكرك شعير ومائة دينار يستعين به على قيام ضيعته وصيرده من أصحابه وكان قبل أن
يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته يقال له يا فلان كيف الناس فيقول بشر بين
مظلوم لا ينتصر وظالم لا ينصف فلما صار من أصحاب عبد الملك ورد عليه ضيعته
قال له ليله كيف الناس الآن قال بخير قد اعتمد معهم الانصاف ودفع عنهم
الاجحاف وردت عليهم الغصوب وكشفت عنهم الكروب وأنا ارجو لهم بقاءك نيل
كل مرغوب

(قيل) ان يهوديا وقف لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين ان ابن
هرمز نائبك قد ظلمني فأصفني منه وأدفعني خلاوة العدل فلم يقض حاجته ثم عاد
ووقف له مرة ثانية ثم عاد ووقف له مرة ثالثة فلم يلتفت اليه فقال اليهودي يا أمير
المؤمنين انا نجد في التوراة المنزلة على موسى كليم الله ان الامام لا يكون شريكاً في ظلم
أحد ولا جوره حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ولم يغيره شره في الظلم والجور فلما سمع
عبد الملك قوله فزع منه وانفذ في الحال الى هرمز وعزله وأخذ بحق اليهودي منه
ومن الوقائع المستحسنات ما رواه محمد بن صفوان الضبي قال كنت أقوم على رأس
سليمان بن عبد الملك فدخل عليه يوما رجل من حضر موت من عقلائهم فقال له سليمان
تكلم بحاجتك فقال من كان الغالب على كلامه النصيحة وحسن الارادة
أوفى كلامه على السلافة واني أعوذ بالذي استخصني من أهلي حتى أرفدني عليك
أن ينطقني بغير الحق وأن يذل لسانى بما فيه سخط على وان اقصر الخطبة أبلغ
في افئسدة أولى الفهم من الاطالة والتشديق في البلاغة ألا وان من البلاغة يا أمير
المؤمنين ما يفهم وان قل واني مقتصر على الاقتصار بحجابك كثير من الاكثار

أشخصني إليك والعبود ورعية ضائعة وإنك إن تجل تدرك ما فات وإن تقصر
تهلك وعيتك هناك ضياعاً فذهب إليك قصير موجزة فقال سليمان له نادع
رجلاً من الخمرس فاجله على البريد وقل له إذا أتيت البلاد فلا تنزل منزلك حتى تعزله
ومن كانت له ظلامة أخذت له بحقه ثم أمر لذلك الرجل بمال فأبى أن يقبله وقال
أني احتسبت سفري هذا على الله يا أمير المؤمنين وأبى أن أخذه عليه أجراً
من غيره فقال له سليمان انطلق بارك الله فيك وكثر لنا من يوقظني لأقامة
العدل من أمثالك فلما ولي الرجل خارجاً قال سليمان لأصحابه ما أعظم بركة الرحمن
في كل شيء

(رئاسة عن عدل ابن طولون)

ولقد بلغني عن أحمد بن طولون قضية يؤثر في النفس الزكية سمعها ويحسن
عند ذوى المعرفة والتوفيق وقها وكان ابن طولون هذا مبسوط القدرة
على البلاد المصرية تافداً الحكم فيها مهيباً مخوفاً يقوم بسياسة الملك ويعلى كلمة العدل
ويأخذ نفسه بالانصاف مع ما هو عليه من الجبروت المفرط والقتل المسرف وكان
يجلس للنظام ويحضر مجلسه القاضي بكار بن قتيبة وجساعة من الفقهاء وأهل العلم
مثل الريس بن سليمان صاحب الامام الشافعي وكان ابن طولون إذا جلس للنظام
يمكن المظلوم من الكلام ويسمع كلامه إلى آخره يكشف ظلامته ويخلصه بين يديه
مقر باليه قال أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الفقيه اعترضت لنا ضيعة بالصعيد
من ضياع جدى سلامة فاحتجبت إلى الدخول اليه والتظلم بما جرى لي وأنا يومئذ
شاب إلا أن العلم والمعرفة بالحاضر بن بسطنى على الكلام والتمسكن من الحجة
نقاطبته في أمر الضيعة فاحتج على بحجج كثيرة وأجبتة عنها بما زعمه الرجوع اليه
ثم ناظرني مناظرة المحصوم بغيرانتهار ولا سطوة على وأنا أجيبه وأهل حججه إلى
أن وقت ولم يبق له حجة فأمسك عنى ساعة ثم قال لي إلى هذا الموضع انتهت كلامي
وكلامك والحجة قد ظهرت لك ولكن أجلسنا ثلاثة أيام فإن ظهرت له حجة والاسلمت
الضيعة إليك فقمتم منصرفاً فلما خرجت قال ابن طولون بعد خروجي للحاضرين
ما أقيم ما شهدتكم على نفسي أقول لرجل من ريعتي ظهرت لك حجة أجلسنا ثلاثة
أيام إلى أن أطلب حجة وأبطل الحكم الذى قد أوجبته حجته من يمنعني إذا وجبت لي
حجة أن أحضره وأزعمه أياها هذا والله الغصب وأنتم رسل اليه باني قد أزمتم

بحته وأزالت الاعتراض عن الضيعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان الله لا يقدر أن يؤمن بهذا الحق اضعفها من قوتها وتقدم بالكتاب
 له وعرف الطحاوي الحال من المحاضرين فذهب الى الديوان وأخذ الكتاب
 بإزالة الاعتراض وتسليم الضيعة وصارت هذه تتلى من مناقب أجدين طولون
 وعمله بالعدل وإقامة ميزان القسط وكان من محبته للعدل وإقامته وتأنيده الحق
 وسلوك طريقته يميل الى كل من كان ذلك من صفته ويقرب اليه من علم
 التحقيق من خلقه حتى انه في بعض الايام أراد أن يحمل ما اجتمع من المال الى
 حضرة الخليفة فأحضر القاضي ومعه العدل بحيث يشهدون على القاضي
 فكتب الشهود خطوطهم وقد عاينوا المال وكان مبلغه ألف ألف دينار ومائتي
 ألف دينار فلما بلغ الكتاب الى سليم وهو بعض الشهود ألقاه الى الخادم من
 يده وقال أيها الأمير لست أشهد حتى يوزن المال بحضوري فغاضه ذلك منه لتأخر
 الانفاذ ثم قال للوزارين زوهه فلما فرغوا من وزنه قالوا أشهد قال بقي لي النقد فدعا
 بالنقد فنقده وسليم جالس معهم حتى فرغ وعلمت الأكاس وتسلها حامها
 فكتب شهادته وانصرف فقال ابن طولون مثل هذا ينبغي أن يعتمد عليه ويعال
 اليه فان من لا دين له لا أمانة له ومن لا أمانة فيه جدير بالاعتماد أن لا يولي شيئاً من
 أمور المسلمين وكانت هذه الحالة سيد التقرية لسليم واعتماده عليه وتقوى بعض
 أموره اليه

(بجيلة عن عدل عمر بن الخطاب)

ومما تضمنه أخبار الأخبار ما رواه أنس قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه قاعد إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام
 العائذ بك فقال عمر لقد عدت بحبيب فاشأ بك قال سأقت على فرسي ابناً
 لعمر بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعني بسطوه ويقول أنا ابن
 الأكرمين فبلغ ذلك عمر أباه فغشى أن آتيك فخبسني في السجن فأنقذت منه
 وهذا حين أتيتك فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص إذا أتاك ككالي هذا
 فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصري أقم حتى يأتيك فقدم عمرو فشهد
 الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمر بن العاص وابنه الى جانبه قام
 المصري فرمى اليه عمر رضي الله عنه بالدرة قال أنس ولقد ضربته ونحن نشتهج

أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول اضرب ابن
الكرمين قال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واستغفرت قال ضعها على صلصلة عمرو
فقال يا أمير المؤمنين قد ضربت الذي ضربني قال أما والله لو فعلت ما منعك أحد
حتى تكون أنت الذي تنزع ثم قال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم
أمراراً فجعل يقتدروا يقول اني لم أشعر بهذا فقتعن على كل عاقل أن يكف يده عن
الظلم وأن يسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويرأى الله تعالى في السر والعلانية
ويعلم أن الله سبحانه وتعالى يجازي على الخير والشر ويعاقب الظالم

﴿حكاية عن عواقب الظلم الوسيمة﴾

وفيما نقل من الآثار الإسرائيلية في زمن موسى عليه السلام أن رجلاً من ضعفاء بني
إسرائيل كانت له عائلة وكان صياداً يصطاد السمك ويقت منه أطفاله وزوجته
فخرج يوماً للصيد فوقع في شباكته سمكة كبيرة فقوىح بها فأخذها ومضى إلى السوق
ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلقيه بعض العوانسة فرأى السمكة معه
فأخذها منه ففجعه الصياد فرفع خشبة كانت في يده فضرب بها على رأس الصياد
ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غضباً بلائاً فدعا الصياد عليه فقال الهي
تحقتي ضعيفاً وشغلته قوياً عني فافضل حقى منه عاجلاً فقد ظلمني ولا صبر لي إلى
الآخرة ثم إن الخاصية انطقت بالسمكة إلى زوجته وأمرها أن تشويها فلما شويتها
ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها فتفتت السمكة فهاها ونسكت أن أصعبه
نكزة أطارت بها قراره فتقام وشكا إلى الطبيب ألم يده وما حصل به فقرأها فقال
دواؤها أن تقطع الأصبع لئلا يسرى إلى بقية الكف فقطع أصبعه فانتقل الوجع
الشديد إلى اليد وزاد الألم وارتعدت من خوفه فرائيه فتسال له الطبيب ينبغي أن
تقطع اليمين المعصم لئلا يسرى إلى الساعد فقطعهما فانتقل الألم إلى الساعد فما
زال هكذا كلما قطع عضواً انتقل الألم إلى الذي يليه فخرج هائماً على وجهه
مستغيثاً إلى ربه ليكشف عنه ما قد نزل به فرأى شجرة فقصدتها فأخذها النوم فنام
تحتها فقرأ في منامه قائلاً يقول له يا مسكين أي كم تنقطع أعضائك أمضى إلى
خصمك الذي ظلمه وأرضه فانتبه من النوم وفكر في أمره فغالب ضربت الصياد
وأخذت السمكة منه غضباً وظلماً وهي التي نسكت يدي فصاحبها خصمي قد فعل
المدية وسأل عنه فوجدته فوق بين يديه والشمس منه الأقالمة مما جناه ودفع إليه شيئاً

من ماله وتاب من فعله فرضى عنه خصمه الصبياد فسكن في الحال الله وبات على فراشه تلك الليلة وأقبح عن خطيئته ونام على توبة خالصة في اليوم الثاني تداركه الله بلطفه ورجته فرد يده كما كانت ونزل الوحي على موسى عليه السلام يا موسى وعزني وبسلاي لولا أن ذلك الرجل أرحمني خصمه لعدت به متهما امتدت به حسنة

(تذكرة وتبصرة)

من استمسك بحبل حب العدل ومال إليه سهل الله سبحانه سلوك سببه عليه وأوضح بدليل التوفيق والهداية مناهجه لديه وجعل من عباده يوم القيامة نورا يسعى بين يديه وأكفاه عناية ربانية تسدد في أحكامه وتبصره بمرامى العدل لأصايب سهامه حتى يبلغ به إلى أن يرى الوقائع في منامه ويؤمر بأقامة شريعة العدل والانصاف في أحلامه ثم أقام قراع الاسماع وكما اشتهر وذاع من قصة الخليفة المعتمد على الله أبي العباس أحمد بن المتوكل رضي الله عنه فإنه كان يحب الارتداء بحجاب الانصاف وياخذ بنفسه بذكر شعار العدل في الجهات والأطراف فاطلع الله عنه على صفاء سريرته وصديق قلبه إلى العدالة في ولايته فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه فأمره بأقامة شريعة محمديته وحذره من تأخره فيها وغفلته

(غريبة عن عدل المعتمد على الله)

وهو ما نقله الثقات ورواه الثقات الإثبات عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمدون قال انصرف جالس المعتمد على الله ليلة عنه فأنصرف إلى حجرة مرسومة في الدار فلما انصف الليل إذا أنا بالخدم يدقون باب حجري فأنزعحت فقمنا وأجب أمير المؤمنين فقمنا فلما صرت بحضرة قال علي بصاحب الشرطة الساعة فلما حضر قال في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الجمال قال نعم قال أحضره الساعة فحضر فقال له من أنت قال فلان ابن فلان الجمال قال منذ كم حبست قال منذ كذا وكذا سنة قال في أي شيء قال مفاوم لأجرم لي قال فاشرح لي قصتك قال أنا رجل من أهل الجبل وكان يتهادنا فلان الأمير فمخترجنا إلى فتظلمت إليه فلم ينفع فخرجت أمشي خلف الجمال إلى قرية من حلوان فاستل الأكراد من الجمال جلا مجلا فضرمني وقيدني وقال أنت سرقت الجمل وما عليه فقلت غلامك يعلمون أن الأكراد أخذوه قال ذلك بمواطأة منك ثم قيدني وطرحني في الحبس وأخذ الجمال

فقال لبعض الخدم امض الساعة الى فلان الامير فاقعد على دماغه ولا تبرح الى أن
ترجع الى هذا أوقعتها وقال للخدام ادفع الى هذا كذا وكذا ديناراً وكسوة جميلة
وأدخله الحمام وأطعمه ثم قال لصاحب الشرطة في حبسك فلان بن فلان الحداد قال
نعم قال هاتيه فأخضره فقال ما قصتك قال حبست ظمأً وقص عليه قصة طويلة فقال
للخدام خذه وغير من حاله وادخل به الحمام وأطعمه وأكسبه وأعطه كذا وكذا ديناراً
ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذي وفقني لهذا الفعل قال أحدين حمدون فقالت
وكيف تسكف أمير المؤمنين النظر في هذه الساعة بنفسه في مثل هذا الامر وانزعج
من نومه فقال لي ويحك رأيت الساعة رجلاً من صفته كذا وكذا فقال في حبسك
رجلان مظاومان يقال لأحدهما فلان بن فلان الجمال وللآخر فلان بن فلان الحداد
فأطبقتهما وأنصفهما من خصومهما وأحسن إليهما فانتبهت مدعورا فلعنت
ابليس وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم وتعوذت الى الجانب الآخر وغمت
فما استلقيت حتى رأيت الشخص بعينه فقال أمرك أن تطلق رجلا من مظاومين
في حبسك ولا تفعل وكاد يده الى ثققت من أنت قال أنا محمد رسول الله وكأني قد
قبلت يده وقلت يا رسول الله ما عرفتك فقال قم فبجعل في أمرهم الساعة فانتبهت
وفعلت ما رأيت وكان هذا ببركة حبه العدل وقيامه بإقامة الحق والحكم والفصل
وكذلك ابن أخيه المعتضد لما ولي من بعده بذل في العدل غاية جهده وقصدي
سأوك هذا لانصاف أيمن قصده فأيده الله تعالى في كشف القضايا بإقامة الحق
فهيأ بعناية من عنده فقدر سجن في الأذهان ما سطره الرواة في منقولاتهم ورواه
الثقات في مقولاتهم

بوتادرة وهو ما أخبر به أبو محمد الحسين بن محمد الصلحي قال أخبرني أحد خدام
الخليفة المعتصم بالله المختصين به قال كنت حوا إلى سريره ذات يوم نصف النهار وقد
نام بعد أن أكل فانتبه منزعجا وقال يا خدام فأسرعنا الجواب فقالوا يا سيدي أعيوننا
والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا في سفينة فارغة فاقبضوا عليه وجؤني به
ووكلوا بالسفينة من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحا في سميرية منحدرا وهي فارغة
فقبضنا عليه ووكلنا بالسميرية وأصعدناه إليه فلما رآه الملاح كاد يناف فصاح عليه
المعتصم صيحة عظيمة كادت روحه تذهب معها وقال أصدقني يا ملعون عن قضيتك
مع المرأة التي قتلها اليوم والاضربت عنقك قال قبلتكم وقال نعم كنت اليوم في

الشرعة الغلانية فنزلت امرأته لم أر مثلها وعليها ثياب فائز ورجل كثير وجوه
فطمعت فيه واختلت عليها حتى سددت فها وغرقها وأخذت جميع ما كان عليها
وطرحتها في الماء ولم أجسر على حمل سبيلها إلى بيتي لئلا يفسوا الخبر على فعملت على
الهرب والاختدار إلى واسط وصبرت إلى أن خلا الشيطان في هذه الساعة من الملاحين
وأخذت في الاختدار فعلق بي هؤلاء الخدم وجلوني فقالوا إن الحلي والسلب قال
في صدر السفينة تحت البوارى فقال المعتصم على به الساعة فوضوا وأحضروه فقال
خذوا الملاح الساعة وغرقوه ففعل به ذلك ثم أمر أن ينادى بجمع من كان على امرأة
خرجت إلى الشرعة الغلانية سحرا وعليها ثياب ورجل ففحص من يعرفها ويعطي
صفة ما كان عليها ويأخذهم فقد تلفت المرأة ففحص في اليوم الثاني أهلها فاعطوا
صفته وصفة ما كان عليها فاسلم ذلك إليهم بعد أن علم استحقاقهم قال فقلت يا مولاي
أوحى إليك بهذه الحالة فقال رأيت في منامي رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب
وهو ينادى يا أحمد خذ أول ملاح فخذوا الساعة فاقبض عليه وقرره عن المرأة التي
قتلها اليوم وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يقتل فكان ما شاهدتم

﴿حكاية عجيبه عن عدل الخليفة المعتصم بالله﴾

وله قصة مع بعض أترك الامراء شهد له برغبته في العدل والانصاف وانتقامه من
ذوي الظلم والاعتساف وهو ما حدثه القاضي أبو الحسين محمد بن عبيد الواحد
المشامي أن شيخا من التجار كان له على بعض القواد مال جليل فظلم به مدة وجده
واستخف به قال وجلت على الظلم منه إلى المعتضد بالله لاني كنت استشفعت إليه
وتظلمت إلى الوزير فأنفعتي فقال لي بعض اخواني أنا أدلك على من يأخذك المال ولا
وتحتاج إلى ان تتظلم إلى المعتضد فقم معي فقمتم معهما إلى رجل خياط في سوق
الثلاثاء وهو جالس في مسجد يخط ويقرأ القرآن فقص عليه صاحبي قصتي فقام
معنا فلما صار بباب الرجل وكنت قد تأخرت عنه وقلت لصديقي أنك قد عرضتنا
ونفسك وهذا الشيخ إلى مكروه فقال لا تخف وامش على بركة الله تعالى قلت انه لم
يفكر في شفاعته احد من الكبراء ولا في كلام الوزراء فحك الرجل وقال لا عليك
امش واسكت فلما رأونا غلمان الرجل تلقوا الشيخ فقبلوا يده والارض فنعهم فقالوا
ما جاء به الشيخ فساء لهم عن صاحبهم فقالوا هو راكب فان كنت آمرأنا بفعله
نبادر اليه والا فادخل واجلس إلى حين ورودهم فدخل ودخلنا وجاء الرجل فلما رأى

الخياط أعظمه اعظاما تاما وقال لا أنزع ثيابي أو تأمرني بأمرك فخطبته في أمري
 فقال والله ما عندي الا خمسة آلاف درهم فسله أخذها وأخذ من علي ما يبقى
 له الى شهر واحد فقلت السمع والطاعة فأحضر الدراهم وأحضر خليا قيمته زائدة
 على الباقي فقبضت ذلك وأشهدت عليه الخياط وصديق بأن الزهن على البقية الى
 شهر واحد فان جاوز الاجل فأنا وكيل في بيع المحلى لا يفاه الباقي فشهدا عليه بذلك
 ونحرا فلما بلغنا الى موضع الخياط طرحت المال بين يديه وقلت له أيها الشيخ ان الله
 قد رد علي هذا المال ببركتك وأحب أن تأخذ منه ربعة أو ثمانية ويطييب قلبي فقال
 لي يا هذا ما أسرع ما كفتنا بالقبج انصرف بمالك ما احتاج الى شيء فقلت قد بقيت
 لي حاجة قال قل قلت تخبرني بسبب طاعة هذا الرجل لك معتمونه بأكثر الدولة قال
 يا هذا قد بلغت مرادك فلا تقطعني عن شغلي وما أعيش منه فألححت عليه فقال
 اعلم اني رجل أؤذن وأؤم الناس من سنين كثيرة ومعاشي هذه الخياطة لا أعرف
 غيرها فكنت من مدة قد صليت المغرب وخرجت أريد بيتي فاجترت بتركي كان في
 هذه الدار وأما الى دار تجاه المسجد وامرأة جميلة مجتازة فتعلق بها وهو سكران
 ليدخلها الى داره وهي تستغيث وليس أحد يغيثها ولا يمنعها منها وتقول في جملة
 كلامها ان زوجي حلف علي بالطلاق أن لا أبيت الا عنده فان عوقفتي هذا خرب
 بيتي مع ما ارتكبه من المعصية فحئت الى التركي ووقفت عنده وسألته تركها
 فضرب رأسي بدبوس كان في يده فشجنني وأدخل المرأة داره فقصرت الى منزلي
 وغسلت الدم وشددت الشجيرة وأسرتحت وخرجت أصلي العشاء فلما فرغت منها
 قلت لمن حضر قوموا معي الى عدو الله هذا التركي نهجم عليه ولا تبرح حتى تخرج
 المرأة فحضانة فخرج في عدة من غلمانة فأوقع بنا وقصدي من بين الجماعة وضربني
 ضربا شديدا كدت أتلغ معه فحملني الجيران الى منزلي كالتلف فحملني أهلي
 ونمت قليلا وأفقت قبل نصف الليل وما جئني النوم من شدة الألم والفكر في
 القضية وقلت هذا قد شرب الى الان ولا يعرف الاوقات فلو قت وأذنت سمع فظن
 أنه قد طلع الفجر فأطلق المرأة ومضت الى بيتها في الليل فخرجت الى المسجد
 متحسلا وصعدت الى المنارة وأذنت وجلست أطلع الى الطريق أرتقب خروج
 المرأة فان خرجت والاقت الصلاة ليشك في الصباح فيخرجها فامضت الساعة
 والمرأة عنده واذا بالشارع قد امتلاء رجلا ونحلا ومشاغل وهم يقولون من هذا

الذي قد أذن الساعة ففزعته وسكت ثم قلت أكلهم اعمل أستعين بهم على خروج المرأة ففهمت من المنارة أنا أذنت فقموا والنزل وأجب أمير المؤمنين فقلت جاء الفرج ونزلت فاذا ببدر المحرمي وعدة من الغلمان معه فملى وأدخلني على المعتض بالله فلما سار آ في ورأيت هبته وارتعدت فلما سكن روعي قال ما جئتك على أن تغر المسلمين بأذا لك في غير وقته فتخرج ذوو الحساجة في غير حينهم ويسلك المريد للصوم في وقت أبج له فيه الأكل وينقطع العسس على المحرس فقلت يؤمنني أمير المؤمنين لاصدقه قال أنت آمن فقصصت عليه قصتي وقصة التركي وأريته الآثار في فقال يا بدر على بالغلام التركي والمرأة الساعة فجاء بهما فسأل المرأة فأخبرته بمثل ما قلت فقال يا بدر يا بدر بها الساعة إلى زوجها مع ثمة يدخلها عليه ويشرح زوجها الفضة ويأمره عني بالتمسك بها والاحسان اليها ثم استدعاني وجعل يخاطب الغلام التركي وأنا أسمع فقال له كم جراتك قال كذا وكذا قال كم صلتك قال كذا وكذا فقال كم لك من جارية قال كذا وكذا قال ما كان لك من صبر وأنت في هذه النعمة عن ارتكاب القبيح ومعاصي الله عز وجل وهيبة سلطاننا واعتماد الظلم والعدوان حتى استعملت ما استعملت ثم تجاوزت إلى التوب على من أمرتك بالمعروف قال فسقط في يد الغلام ولم يدرك ما يقول فقالوا هاتوا جوالقي ومداد الجبس وقودا فقيدهوه وأدخلوه الجوالقي وأمر القراشيين أن يدقوه بالمداق وهو يصبح حتى مات فأمر به فغرق في الدجلة وتقدم إلى بدر بحمل ما في داره ثم قال أي شيء رأيت من أجناس المنكر فأنا نكره صغيرا كان أو كبيرا ولوعلى هذا وأما بيده إلى بدر وان جرى عليك شيء ولم يقبل منك فالعلامة بيننا الأذان في ذلك الوقت فدعوت له وانصرف فانتشر الخبر في الغلمان والاولياء والبلد فخطبت أحدا بعد ما جرى ذلك في انصاف أحد أو كف عن قبيح الاطاعة وكف خوفا من المعتضد وما احتجت إلى الآن أن أؤذن في ذلك الوقت

﴿شفاء وموعظة وأشياء موقظة﴾

قد قيل من لم يصن نفسه عن اتباع هواها ولا يخوفها عاقبة رداها ولا يصرف زمامها بيد تقواها ساقته إلى قرارة عطب لا نجاة لمن رآها وزينت له ارتكاب ما ينظم به هسه فكيف لا ينظم سواها فسئل من أيقظه الله من رقدته هواه وأفاض عليه من أنوار هداه أن يعتبر بعاقبة من أوثقه الظلم فأرداه ويعلم أن الظالم يؤخذ بظلمه

يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فان أدلة الشرع وقضايا العقل متطابقة على أن مرتع
الظلم وخيم والنجس به سقيم والغنى منه عديم والسالم فيه سالم والمساهم عليه ملهم
وقد ورد فيه من قوارع الآيات ومجيب الاخبار ما في بعضه أعظم باعث على الانزعاج
وأقوى صارف عن الظلم لذوى الاستبداد فان الله سبحانه وتعالى قطع عن الظالمين
طريق الانتذار وجعل جزاءهم ان لم يتوبوا عذاب دار البوار فقال عز من قائل يوم
لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقيل ان الظلم على شقاوة
متعاليه أوضح علامة ويسم وجهه عاقبته يسمة الخسارة والندامة ويسلكه لنقم
النقم ويعدل به عن نهج السلامة وهو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات
يوم القيامة وكيف يفلح ظالم والدعاء عليه مستجاب أو يأمن وثبات البلاء وتأخير
عطبه شيء عجيب أو يطمع في النجاة وعليه بما جتره شاهد وكاب وقد حذر
رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً وهو من أجل الصحابة حين بعثه الى اليمن فقال
اتق دعوة المظلوم فانه ليس بيننا وبين الله حجاب وقد ورد في الاحاديث النبوية التي
أخرجها الامامان مسلم والبخاري رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله يلى للظالم حتى اذا أخذه لم يكديف نفسه ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ
القرى وهي ظالمة ان أخذها ليم شديداً

ومما نظم في عقد العبر وزين بذكره تيجان السير وجوى به قلم القضاء والقدر
مما نقله وهب بن منبه عن جبار من الجبابرة ممن غير وذر فقال ما معناه ان جبار بنى
قصرا فشيده في أرضه وأعداه وجعله قيد القلوب ولناظر فصار آراءه الاستهواء
بغيات مجوز من السائحات الى ظهر القصر فعمت كوخا في مكان مباح تعبد الله
تعالى فيه فركب الجبار يوما من الايام وطاف بغناء القصر فرأى الكوخ فقال
ما هذا فقيل له امرأة ها هنا تأوى اليه وتسوح فأمر به فهدم ولم تكن المجوز
حاضرة فجاءت فرأته قد هدم فنالت من هدم هذا فتمسأوا لها الملك ركب فرآه
فهدمه فرفعت طرفها الى السماء وقالت يا رب أنا لم أكن هنا فأين كنت أنت
قال وهب بن منبه فأمر الله عز وجل جبريل أن يقلب القصر على من فيه فأصبح عبرة
لناظرين

نادرة فضمة عبد الله بن مروان مع ملك النوبة
ومساحوته بطون الاوراق وأوصيته الرواة في الاتفاق من القضايا التي فيها معتبر

ومر دجوا بالاتفاق قضية عبد الله بن مروان مع ملك النوبة على ما ذكره سليمان بن أبي
جعفر قال كنت واقفا على رأس المنصور ليلة وعنده جماعة فتذا كروا زوال ملك
بنى أمية فقال بعضهم يا أمير المؤمنين في حبسك عبد الله بن مروان بن محمد وقد كانت
له قضية بحجية مع ملك النوبة فابعث اليه وأما له عنها فقال المنصور يا مسيب على به
فأخرج الرجل وهو مقيد بقيد ثقيل وغل ثقبيل فخل بين يديه وقال السلام عليك
يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال له يا عبد الله رد السلام أمن ولم تسمع نفسي
لك بذلك بعد ذلك كن أقعد فجاؤا بوسادة فثبنت وقعد عليها فقال له بلغني أنه كان لك
قصة بحجية مع ملك النوبة فهاهي قال يا أمير المؤمنين والذي أكرمك بالخلافة
ما أقدر على النفس من ثقل الحديد ولقد صدق قدي من رشاش البول وصب الماء
عليه في أوقات الصلوات فقال المنصور يا مسيب أطلق عنه قمده ثم قال نعم يا أمير
المؤمنين لما قصد عبد الله بن علي عم أمير المؤمنين المينا كنت أنا المطلوب أكثر من
الجماعة لاني كنت ولي عهد أبي من بعده فدخلت الى خزنة لنا فاستخرجت منها عشرة
آلاف دينار ثم دعوت عشرة من غلمانى وجمعت كل واحد على دابة ودفعت اليه
ألف دينار وأوقرت خمسة أبعال مما يحتاجه وشددت على وسطى جوهر آله
قيمة مع شيء من الذهب وخرجت هاربا الى بلاد النوبة فسمرت فيها ثلاثا فوقعت
الى مدينة نواب فأمرت الغلمان فعذبوا اليها فكسحوا منها ما كان قنوا ثم
فرشوا بعض تلك الفرش ودعوت غلاما الى كنت أتق به وبعثه فقلت انطابق الى
الملك وأقره عنى السلام وخذلى منه الامان وايسع لي ميرة قال نضى وأبطأ عنى
حتى أسأت الظن به ثم أقبل ومعه رجل آخر فلما دخل كبر ثم قعد بين يدي وقال لي
الملك يقرئك السلام ويقول لك من أنت وما جاء بك الى بلادى أم محارب لي أم
راغب لي أم مستجير فقامت ترد على الملك السلام وتقول له أما محارب لك فعساذا الله
وأما راغب في دينك فما كنت لا بغى بدينى بدلا وأما مستجير بك فنعم قال فذهب
ثم رجع الى وقال ان الملك يقرأ عليك السلام ويقول لك أنا صائر اليك غدا فلا
تحدثن في نفسك حدثنا ولا تتحدثنا من ميرة فانها تأتيك وما تحتاج اليه فأقبلت
الميرة فأمرت غلمانى يفرشون ذلك الفرش كله وأمرت بفرش نصب له ولى بمشاه
وأقيمت من غدا رقب مجيئه فيمينا أنا كذلك اذا قبل غلمانى يحضرون وقالوا ان
الملك قد أقبل فقامت بين شرفتين من شرف القصر أنظر اليه فاذا برجل قد لبس

بردين اترز باحدهما واردي الا خرطاف راجل واذا عمرة معهم الخراب ثلاثة
 يقدمونه وسبعة خلفه واذا الرجل الموجه الى جنبه فاستصرفت امره وسولت الى
 نفسي قتله فلما قرب من الدار اذا أنا بسواد عظيم فقلت ما هذا السواد قيل الخيل
 فوافي يا أمير المؤمنين وها عمرة آلاف عسان فكان موافاة الخيل الى الدار
 وقت دخولها فأخذت بها فدخل الى وقال لترجانه أين الرجل فلما نظر الى وثبت
 فيه فاعظم ذلك وأخذ يدي فقبها وجعلها على صدره وجعل يدفع البساط برجله
 فشوش البساط فظننت ان ذلك شيء يجلو به أن يعضوا على مثله حتى انتهى الى
 الفرش فقلت لترجانه سبحان الله لم لا يقعد على الموضع الذي وطئ له فقال قل
 له اني ملك وحق الملك أن يكون متواضعا لله سبحانه وتعالى اذ رفعه الله ثم أقبل
 ينكت في الارض طويلا يصعده ثم رفع رأسه فقال لي كيف سلبتم نعمتيكم وزال
 عنكم هذا الملك وأخذ منكم وأنتم أقرب الى نبيكم من الناس جميعا فقلت جاء من
 هو أقرب الى نبينا قرابة منا فسلمنا وطردهنا وقتلنا فخرجت اليك مستجيبرا بالله
 تعالى ثم بك قال فلم كنتم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت فعل
 ذلك عبيدوا تباع وأعاجم دخلوا في ملكك فغير رأينا قال فلم كنتم تتركون عبدا
 دوابكم بحرا كب الذهب والفضة والديابج وقد حرمت عليكم فقلت فعل ذلك عبيدوا تباع
 قال لم كنتم اذا خرجتم الى صيدكم تقبضون على القرى وكفتم أهلها ما لا طاعة لهم
 به بالضرب بالرجل حتى لا يتنعكم ذلك حتى تشربوا في زروعهم فتفسدوها في طلب
 دراج قيمته نصف درهم أو عصفور قيمته لاشئ والفساد محرمت عليكم في دينكم قلت
 فعل ذلك عبيدوا تباع قال لا ولكنكم استحلتم ما حرمت الله عليكم وفعلتم ما نهاكم
 الله عنه وأحببت الظلم وكرهتم العدل فسلبك الله العز والملك الذل والله فيكم نقمة لم
 تأت غايتها بعدوا في أن تخوف أن تنزل النقمة بك اذ كنت من الظلمة فتشتمني معك
 فان النقمة اذا نزلت عمت والبلية اذا حلت شملت فانخرج بعد ثلاث من أرضي فاني
 ان وجدتلك فقتلتك وقتلت من معك وأخذت جميع ما معك ثم وثبت وخرج فمكنت
 ثلاثا ثم خرجت الى مصر فأخذني واليسك فبعث في اليك وها أنا الا أن بين يديك
 والموت أحب الى من الحياة فهم المنصور باطلاقه فقال له اسماعيل بن علي
 في عنقي سبعة قال فاذا ترى قال يترك في دار من دورنا ويجري عليه ما يليق به
 ففعل به ذلك

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ في المحكم الواردة والالفاظ المحاكاة بحصول الفائدة
(منها) العدل يزيد في الملك فيرجح السر ويذهب الخوف ويرضى الرب ويعمر ما أخربه
المجور (ومنها) اذا جاز الملك في رعاياه كثر اجاف الناس بزوال ملكه واحبوا
ظهور أعدائه عليه (ومنها) أعظم أسباب العدل أن لا يغفل الملك على التطلع الى
أحوال أعوانه مع رعاياه وقضايا نوابه في اطراف بلاده (ومنها) زمان الجائر من
الملوك أقصر من زمان العادل لأن الجائر مفسد والعادل مصلح وفساد الشيء أسرع
من اصلاحه (ومنها) لا يزال الجائر مفعلاً في جوره الى أن يتخطى أركان العمارة من
مباني الشريعة فاذا قصدها قرب دماره وشاؤفت الزوال مدته

﴿الباب السادس في الاتفاق والائتلاف وضم الشقاق والخلاف﴾

من أوضح الدلائل السالمة من الاعتراض المحاسبة أبواب المنع والانتقاض
المحاكمة لدى العظماء ان الاتفاق والائتلاف من أكمل الاغراض ماورد
في الكتاب العزيز في آيات متصلة بالاحكام مختلفة الالفاظ متفقة الاحكام
متعددة في مواضع من التنزيل المتلو بلسان الخاص والعام كقوله تعالى في
القرآن الكريم والذكر الحكيم مخاطب النبي المصطفى من الدرجة الهاشمية
المستخرجة في الشرف من الصميم المرسل داعياً الى الدين القويم وهادياً الى
الصراط المستقيم هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت
ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم وقوله
عز وعلا وأطيعوا الله وأطيعوا رسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وكقوله تبارك
وتعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذ كرر وانعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء
فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة الله اخواناً والمراد بحبل الله تعالى المذكور في الآية
المعصية به هو القرآن الكريم وهو اختيار جماعة من أئمة التفسير واستدلوا عليه
بما روي في الحارث قال دخلت المسجد فاذا الناس قد وقعوا في الاحاديث وأخذوا في
الاختلاف فأتيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى
الناس قد وقعوا في الاحاديث وأخذوا في الاختلاف قال وقد فعلوا فقلت نعم
فقال أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انهم استسكنون فتنة فقلت
يا رسول الله فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم
ما بينكم هو الفصل الذي ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى

الهدى في غيره أضله الله وهو جبل الله المتين وهو الذكرا الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا ترينه الا هو ولا تلبس به الا لسننة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم يمت البتة المجن اذا سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشدا فآمننا به ولن نشارك بربنا أحدا من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى رضى لكم ثلاثا وكره لكم ثلاثا رضى لكم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واسمعوا وأطيعوا لمن ولاء الله تعالى أمركم وكره لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال فقد وضع بذلك ان الحبل المعتصم به هو القرآن الكريم والتمسك به يوجب الاتفاق والاتلاف ويصد عن الشقاق والاختلاف وذكريصة ابن جابر قال لما قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى دمشق نزل بباب الحامية وقام خطيبا وقال للناس لقد قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاحي فيكم وقال من سرته محبوبه الجنة فليأزم الجماعة وهذا صريح في التمسك بعروة الموافقة والتجنب لمعرة المخالفة وقديما قيل ما من قوم وان قل عددهم وضعف مدددهم فارتضوا رحيق أفلا يرق الاتفاق وأشر بواقي قلوبهم بحبة حبسة الاتلاف وقابلوا بعددهم القليل قوما كثيرين قد نشأ بينهم الخلاف وعمهم التنازع الأظهرهم الله تعالى مع قلتهم ومكنهم منهم وان كانوا أكثر عددا وأشد قوة ومددا

﴿حكاية عن اضرار الخلاف وفوائد الاتلاف﴾

وفي قصة الخليفة الراشد بالله أبي جعفر المنصور بن المسترشد لما قتل وهو في معسكر السلطان مسعود وأراد الرشد وقد وقع له بالخلافة وهو ببغداد أن يأخذ بثأر أبيه ويقصد السلطان مسعود وأخذ في جمع العساكر وحشد الجيوش فأرسل الحاشرين واستدعى الناصرين واستحضر القادرين وسير فأحضر زندي بن آق سنة ثمان من الشام وداود بن محمد من اذربيجان وبورله من بلاد فارس فأنت اليه العساكر واجتمعت الجيوش عليه وتكامل له ما يزيد على ثلاثين ألف فارس بين يديه فلما عرف السلطان مسعود ذلك ولم يكن عنده الا سبعة آلاف فارس فسير السلطان في الباطن أشخاصا شقي يعرفهم ويعتمد على حسن توصلهم فدخلوا بين عساكر الراشد ومقدميهم وقد حووا بينهم نارا للتنازع فذهب احراقها

وسرى وشخذوا أسياف الاختلاف والتباين حتى قطع عرى الائتلاف وبرى فلما
أحسن السلطان مسعود بتلج نصح سعيه المسفر من أساريه وتأرجح ربا إصابة صنعه
بنفحات الرياح تدبيره وتخرج مخدرات رأيه الصائب في حلى الملابس الموشاة بتدبيره
أماط عن عجزه من قنابله وناط بصائب عزمه نهج صوابه واستعذب من
نيل مراده وطلابه من مشاق أوصابه مستكروه صوابه واستعجب في انصاره وأعوانه
اتفاق أصحابه فأركبهم وقد ضرب الليل سراق ظلماته بجمته أطنا به وزيتهم ترتيب
من قضت له التجربة من الاستيقاظ تسكميل نصابه وعرفته الوقائع والحروب
كيفية ترتيب اطلابه وساق وقد جعت قلوب جنده في سالك المسارعة المتسقى نظامها
والتابعة المتفق بسدا لافسة التثامها والطاعة المفوقة لاهمابه الاغراض سهامها
والضراعة اليه في ابتداء وهم الى نفوس أعدائه فقد استجلاهم جامها فأجاب بسرعة
داعى البدار وأصاب بمبادرة مواقع الاقدار وصاب بذلك سحاب صوابه المردار
واستجاب له كمين الانتصار وضمن الاستظهار وساق مجددا سوقا حثيثا واتخذ من
اتحاد كلمة جنده واتفاقهم بعد توفيق الله سبحانه معينا ومغيثا فقتل من ذلك
الجمع الجهم والعسكر الذي طم وعتم اضطر بوااضطراب أهواج اليم وأشر بوا
الخوف ولكن لم ينزل عليهم أمة من الغم فأكثر والخلاف وأظهروا الانصراف
واستبصروا الانصراف فولى زبكى ابن آق سنقر طابا طريق الشام مسرعا في
ذهابه واقفى داود بن مجدرا بك طريق اذربيجان راكضا فرقه خيله وسبق ركابه
واتبعهم ما بوره سالكا سنن السلامة الى بلاد فارس في زمرة وأصحابه ولم يبق عند
الخليفة الراشد سوى ثلاثة آلاف من خواص حضرته وخدمته فمضى بعد هؤلاء
المتفرقين أشدنا المتفرقين بيد الخفاقة رفاتا المعدادين في حبال خنوفهم لاختلافهم
أمواتا الشاربين من الملام لفشلهم مع كثرتهم ماء أجاجا لأماء فراتا ويات تلك الليلة
راكبا طابا حيرة اعترته لتفرق الانصار طابا وطاة قدرة يخدم بها ضرام هذه النار
فلم يجد له أخرم من مجانية المقام والاستقرار ولا أسلم من الاقتداء لتنازعهم بموسى
صلى الله عليه وسلم فيما أعده عند الخفاقة من الخروج والفرار فلم يبت سوى ليلته
واحدة بعد الجمع المفرق والجند الممزق ثم رحل متوجها الى الموصل فركب متن
طريقها فدخل السلطان مسعود بغداد واستحوذ على البلاد وأجرى الناس على
السنن المعتاد وشجع الى أشد نفسه من الخلافة فخلع على طريقه وشدد اليه نفوذه

وأخرج أباعبد الله محمد بن المستظهر بالله أمير المؤمنين وبأبيه بالخلافة وجعل
الناس لبيته وشده وسطه بنطاق اخلاص عبودية وقام بين يديه بفرص طاعته
وواجب خدمته ولازم نصرته وهو المقتضى لأمير المؤمنين والد الامام المستنجد
بالله أمير المؤمنين والد الامام المستضيء بأمير المؤمنين والد الامام الناصر
لدين الله أمير المؤمنين والد الامام الظاهر بأمير المؤمنين والد الامام
المستنصر بالله أمير المؤمنين والد الامام المستعصم بالله أمير المؤمنين وآل أمر الراشد
الى قضا بالاصحى شرحها في مضمير مقصود هذا الكتاب ولا حاجة الى استيفائها
واستقصائها مخافة الاطالة والاطناب كان آخرها انه قتل بباب أصفهان بعد ثقلبه
في يد الاقدار في أطوار الزمان وفي ظهور سبعة آلاف متفقين على ثلاثين ألفا مختلفين
أقوى دليل على أن الاتفاق ناصر لا يخذل والاختلاف خاذل لا ينصر وان طالب
الموافقة أبدا لا يعذل وطالب المخالفة أبدا لا يعتذر

﴿زيادة ايضاح وبيان وافادة ملح حسان﴾

مما يشنف الاسماع من جواهر القول المرغوب ومحاسن منشور الفضل
المرهوب أن نور التألف ينسخ ظلمة العداوة من القلوب ويكون سترامن هجوم
المحادثات وسدا في وجه الخطوب وقد عاشت نار العداوة في القبائل والفضائل
فأحرقت وانفسطت يد المنازعة والمخالفة بينهم ففرقت واستلت فيهم سيوف الاحن
والبعضاء وفترت ومزقت وأسليت عليهم سيمول الشكناه فلمعت بروقها بالتقابل
والتمقاتل فتألفت فهبت عليها رياح التألف فأطغأت ضرامها وصرفت غرامها
وشقت سقامها ونفت عنهما ملامها وآلامها فتبدلوا بالاساءة احسانا وبالمخالفة امانا
وبالمنافرة اذنانا وبالنقيصة رجائنا فعدوا بعد التباين صنوانا وأصبحوا بتعمد الله
اخوانا ومن ارتاب في صواب هذه المقالة ورغب في اجتماعنا هذه الحالة وأحب
أن يسمع شرح حقيقتها بلسان الدلالة فليتنظر في سير السلف الغابرين ويعتبر
أحوال الغائبين والمحاضرين وما آل الواردين والصادرين يجد في وقائعهم أنجع
سبيل وأتبع دليل لا سيما في أظهر الوقائع شئنا واكبرها اعتبارا وأعظمها اعتوا
واقفارا وأقدمها تنازعنا غارا وأدومها علوا واستكبارا حتى بلغ الشيطان بهم
ومنهم أغراضا وأوطارا وأنار باثارة الفتن والاحن بينهم أحقادا وأوتارا وأوقد
من شواظ رخاء حرمهم المدارة عليهم نارا الى أن نظمهم الاتفاق في سلك التساعد

والتعاصدا علانا واسرارا فأصارهم ذلك التآلف لله ولرسوله أعوانا وأنصارا وهي
قضية الاوس والخزرج

قصة الاوس والخزرج

(وتلخيص كتبها) بخندق اسنادها وشرح ما أتبعه الائتلاف من صلاحها بعد
ما أطلعته الاختلاف من فسادها أن هاتين القبيلتين قبيلة الاوس والخزرج كانت
سوق الحرب بينهما جامعة لا تشاب بكسادها وتروق الصوارم فيها لامة لا تحجب
بأغمارها ودمائها في لوامع الاسنة تكمر العصائب على رؤس صعادها ووحوش
الدو وطيور الجوارح تتبعها الاعتقادها انها كفلاء أقوات الاعتقادها تناول ذلك من
جثث أجسادها ودام هذا التقابل والتقاتل بينهما مائة وعشرين سنة حتى صار
أثر في وجه الدهر وخبرنا الى يوم الحشر ولم يسمع بقوم بينهم ما كان بين هؤلاء من
الضغن والوتر حتى أوال الله عنهم ذلك ونسخ تلك الاحقاد وذلك العناد منهم وكان
سبب تألفهم وارتفاع عدواوتهم ان سويدين الصامت قدم مكة تحرسها الله تعالى
وكان رجلا شريفا في قومه شاعرا جادا يسميه قومه الكامل لاجل ذلك وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم أول ما بعث وأمر بالدعوة الى الله سبحانه وتعالى سمع بسويد
فتصدى له ودعاه الى الله سبحانه والاسلام فقال له سويد فلعن الذي معك مثل الذي
معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معك قال حكمة لقمان فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم أعرضها علي فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن
والذي معي أفضل من هذا كلام أنزله الله عز وجل على نورا وهدى فتلا عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الله عز وجل والاسلام فلم يبعد عنه وقال
ان هذا القول حسن ثم انصرف عنه و قدم سويد المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج
في حربهم يوم بعث وكان رجال من قومه يقولون انا انراه قتل مسلما ثم قدم أنس
بن رافع ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ الى مكة يلتمسون الخلف
من قريش على قوم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اناهم
فجلس اليهم فقال هل لكم في خير مما جئتم له فقالوا وما ذاك قال انا رسول الله الى
العباد أدعوهم ان لا يشركوا به شيئا وأنزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا
عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حسدا أي قوم والله هذا خير مما
جئتم له فأخذ أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ فقال

دعائهم فلقد جئنا لغير هذا فقصت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم
 وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعثت بين الاوس والخزرج ثم لم يلبث اياس بن
 معاذ أن هلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة في الموسم كل من لقيه من
 قبائل العرب يعرض عليه نفسه ويدعوه الى الله سبحانه فيبينا هو عند العقبة في الموسم
 اذا بقي رهطاً من الخزرج قال أمن موالي يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلكم
 قالوا نعم فجلسوا معه فدعاهم الى الله تعالى وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن
 وكان من صنع الله تعالى أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكان
 هؤلاء أهل أوثان وشرك فكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا ان نبيا مبعوثا الا ان قد
 أطل زمانه نتيجه ونقتلكم معه قتلة عاد وادم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أولئك النفور ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله أنه النبي الذي
 توقعه كم يهود فلا يسيقنكم اليه فأجابوه وصدة قوه وأسلموا وقالوا اننا تركنا قومنا ولا
 قوم بينهم من العداوة والشرا ما بينهم وعسى أن يجمع بينهم بك وسنقدم عليهم
 ويدعوهم الى أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وقد آمنوا فلما قدموا المدينة
 ذكروا لقومهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوههم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم
 يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام
 المقبل واتي الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا عشرة من الخزرج أسعد بن زرار
 وعوف ومعاذ بناعفرا عوراف بن مالك وذكوان بن عبد قيس وعباد بن الصامت
 ويزيد بن خارجه وعبيدة بن عامر وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر ورجلان من الاوس
 أبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة فلحقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة
 وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة النساء أن
 لا يشركوا بالله شيئا ولا ينزوا الى آخر الآية المعروفة ببيعة النساء في سورة الممتحنة
 ثم قال لهم ان وفيتكم فلسكم الجنة وان غشيتكم شيئا من ذلك فأخذتم بحجته في الدنيا فهو
 كفارة له وان ستر عليكم فأمركم الى الله ان شاء عندكم وان شاء غفر لكم وذلك قبل
 أن يعرض عليه الجهاد فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مصعب بن عمير بن هاشم وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم وكان
 مصعب يسمى في المدينة المقرئ وكان أول مقرئ بالمدينة وكان نزله على أسعد

ابن زرار بن مسعود المذكور أو لا فقال سعد بن معاذ لا سيد بن حضير انطلق الى
هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفا عنا فارجوهم فان أسعد بن خالتي
ولو لا ذلك لم أقتلك وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدى قومهما من بنى
هذيل الأشهل وكلاهما مشركان فأخذ أسيد بن حضير حربة ثم أقبل الى أسعد
ومصعب وهما جالسان في حائط فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا سيد قومك قد جاءك
فاصدق الله فيه قال مصعب أن يجلس أكله قال فوقف عليهما متشمتا فقال ما جاء
بكما الينا تسفهان ضعفا عنا اعترلا ان كانت لكما بأنفسكما حاجة قال له مصعب أو
تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت
ثم ركز حربة وجلس اليهما فكلما كلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن قال والله
لقد عرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتسكلم في اشراقه وتسهله فقال ما أحسن هذا
وأجله كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالوا لا تغتسل وتطهر ثوبك
وتشهد بشهادة الحق ثم قام وركع ركعتين ثم قال لهما ان ورائي رجلان أتبعكما لم
يختلف عنكما أحدا من قومه وسأرسل اليكما الآن فقام أسيد بن حضير ثم أخذ حربة
وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقيلا قال أحلف
بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى
قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما وجدت بهما بأسا وقد نهيتهما ففعلوا
نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بنى حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك
انهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغاضبا مبادرا فأخذ الحربة منه
وقال والله ما أراك أغيت شيئا فجاءهما فلما رآهما مطمئنين عرف ان أسيدا انما
أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشمتا ثم قال لا سعد بن زرارة أبأمامة لولا ما بيني
وبينك من القرابة ما رمت هذا منى تنفسانا في ديارنا بما نكره وقد قال أسعد
لمصعب جاءك والله سيد قومك أن يتبعك لم يخالفك منهم أحد فقال له مصعب أو تعد
فتسمع فان رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك قال سعد أنصفت
ثم ركز حربة فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن قال لا فعرفنا والله في وجهه
الاسلام قبل أن يتسكلم في اشراقه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا أسلمتم ودخلتم
في هذا الدين قالوا لا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد بشهادة الحق وتصلى ركعتين قال
فقام فاغتسل وطهر ثوبه وشهد بشهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربة وأقبل

عائدا الى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رأوه مقبلا قالوا انقسم بالله لقد رجع
سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد
الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا أسيدنا وأفضلنا رأيا وأتمنا عقلا فقال فان
كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى يؤمنوا بالله ورسوله قال فما أعمى في دار من
دور بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلما ورجع مصعب وأسعد بن
زُرارة الى منزل سعد فأقاما يدعوان الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور
الانصار الا وفيها رجال مسلمون فخلافا لغيرهم تأخر واتهم أسيد واتهم ان مصعب رجع الى
مكة ومعه سبعون رجلا مع حجاج من قومه من أهل الشرك حتى قدموا مكة
فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أواسط أيام التشريق وهي بيعة
العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان شهيد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة
التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن جهم بن حوام بن جابر
أخبرنا به وكانكم من معنا من المشركين من قومنا أمرنا وكلنا يا جابر نراك سيدا
من ساداتنا وشريفا من أشرفنا واننا نريد بلبث عسا أنت فيه ان تسكون غدا حطبا
لنار ودعونا الى الاسلام فأسلم وأخبرنا به بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد
معنا العقبة وكان نعيمنا من النعيم فبينا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى
ثلث الليل خرجنا ليعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا لنا مستحقين تسلي القطا حتى
اذا اجتمعنا في الشعب نهتض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس
ابن عبد المطلب معه وهو يومئذ على دين قومه غير انه أحب أن يجلس مع ابن أخيه
ويتوثق له فلما جلس كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر
الجزير وكانت العرب انما تسمى هذا الحي من الانصار الجزير خرج خزرجها وأوسها
ان محمد انا حيث علمتم وقد منعنا من قومنا من هو علي مثل رأينا وهو في عز من قومه
ومنه في بلدنا وانه قد أتى الا الانقطاع اليكم والبعوث بكم فان كنتم ترون انكم
وافون له بما دعوا اليه وما دعوه من خالفه فأنتم وما نعمتم من ذلك وان كنتم
ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فن الان فدعوه فانه في عز ومنعة قال
فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله ونحو ذلك لربك ولنفسك ما شئت قال فتكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام
ثم قال يا ايها الذين آمنوا ان تمنعوني عما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فأخذ البراء بن معمر

يده وقال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما تمنع منه أزرنا فبايعنا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فخرج أهل الحرب ونحن أهل الحاجة ورثناها كآباء عن صكناهم قال
 فاعترض القوم والبراء يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال
 يا رسول الله ان بيننا وبين الناس جبالا يعني اليهود ونحن قاطعوها فهل عسيت
 ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترسلنا على قومك ونذعننا فتم رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ثم قال اللهم اللهم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم
 وأسألم من سألمتم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا من دينكم اثني عشر
 نقيما تسعة من الخنزرج وثلاثة من الأوس كفلاء على قومهم بساقيهم كفالة الحواريين
 لعيسى بن مريم فأخرجنا اثني عشر نقيما * وقال العباس بن عباد الانصاري
 يا عشم الخنزرج هل تدرون على ما تباعون هذا الرجل انكم تباعونه على حرب
 الأبييض والأسود فان كنتم ترون انكم اذا نسكت أموالكم مصيبة وأشرفكم قتل
 أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له
 بما دعوه اليه على نسكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير في الدنيا
 والآخرة قالوا فانا تأخذنه على مصيبة الأموال وقتل الأولاد والأشراف فما لنا بذلك
 يا رسول الله ان نحن وديننا قال الجنة قال ابسط يدك فيسقط يده فبايعوه وأول من
 ضرب على يده البراء بن معرور ثم تباع القوم فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأفند صوت ما سمعته قط يا أهل الجبا جبا هل
 لكم في مدمم والصلابة قدا جتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 هذا عدو الله ساء ما رأى منكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمع أي عدو
 الله والله لا فرغت لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعوا الى رجالكم فقال
 سعد بن عباد والذي بعثك بالحق نبيا لئن شئت لتميلن غد على أهل مني بأسا فبنا
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تؤمر بذلك ولكن ارفضوا الى رجالكم قال
 فارجعنا الى مضا جعنا فمنا عليها حتى اذا أصبحنا عادت علينا أجلة قريش فباؤنا
 فقالوا يا عشم الخنزرج بلهنا انكم جئتم اني صاحبنا هذا تستخرجوه من بين أظهرنا
 وتبايعوه على حربنا والله ما من حي من العرب أبغض اليها أن يشب الحرب
 وينتار بينهم منكم قال فانبعث هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما هذا من
 شيء وما علمنا وصدقوا فانهم لم يعلموا وبعضنا ينظر الى بعض ثم انصرف الانصار

الى المدينة وقدموا للعقد فلما قدموا اظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا
فاذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا وجارا ومنزلا وبادئا آمنون به فأمرهم
بالهجرة الى المدينة والحقوا باخوانهم من الانصار فأخذوا في الهجرة الى
المدينة وتبعوا اليها وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظرا أن يؤذن له
في الهجرة الى أن أذن الله تعالى له فقدم المدينة وأقام بجمع الله تعالى اهل المدينة
أوسها وخرجها بالاسلام وأصلح ذات بينهم وألف بين قلوبهم ورفع من بينهم
العداوة والبغضاء ونسخ من صدورهم الاحن والشحناء فذلك قوله جل وعلا
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء معاها فاجتمعتم بالانصار اذ كنتم أعداء
فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وفي هذه القصة مقنع وبلاغ عن الاطالة
بذكر غيرهما من وقائع العالم وحوادث الايام

﴿خاتمة لهذا الباب﴾

ما قيل في الاتفاق من الحكم وما ورد فيه من جواهر الحكم (منها) اتفاق
الايدي سلاح عتيق ودعون حاضر وقوة تصول بها النفوس على المخالف لها (ومنها)
عليكم بالاتفاق والتعاقد فان العز والانتصار مع الاتحاد والاجتماع واجتنبوا
المخلاف والتباين فان الذل والخذلان في التنارع والافتراق (ومنها) كم من قوم
عزوا باتفاقهم فلم يطمع فيهم فلما اختلفوا سلبوا وعزهم وهى ركنهم وكل حذهم
وذاقوا وبال امرهم

﴿الباب السابع في مدح الوفاء وذم الغدر﴾

ان ارجح دليل يتمسك الانسان به لمبتغاه وأوضح سبيل يهتدي سالكه الى بلوغ مناه
كتاب الله الذي من تمسك به هتاه ومن استدل به أرشده هتاه وقد دل بمنطوقه
أن الوفاء يجب على كل عاقل أن يراعه ويحرم عليه أن ينقض عهده وينقض عراه
فقال عز وجل يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل وعلا وبعهد الله أوفوا
وقال تقيّدس اسمه الذين يوفون بعهده الله ولا ينقضون الميثاق وقال علا وتقدّس اسمه
وأوفوا بعهده الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال تعالى
وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا فهذه الايات مع اختلاف محالها وتعدد
أسباب انزالها متفقة على وجوب الوفاء بالعهود والتمسك بمجالها والتجنب مهمما

امكن من نقضها وابطالها ولولم يكن في الوفاء فضيلة الا أن المصنف به يستدل في
 زمرة الصادقين وينزه نفسه عن التحمل بسمة المنافقين فان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم سأل عن صفات المنافق قال اذا عاهد غدر فالوفاء من شيم النفوس
 الشريفة والاعلاق السكرية والخلال الحميدة يعظم صاحبها في العيون وتصدق
 فيه خطرات الظنون ويحل بين الناس في رتبة أهل الكرامة ويجعل أن يعرف
 مواقف الندامة وأن ينصب له لواء الغدر يوم القيامة ومن نظر بعين الاعتبار
 وأبصر بنور الاستبصار وأصاخ سمعاً إلى ما ورد من الاخبار عن السلف
 الاخبار وجد ملائس المحامد والثناء مفاضلة على من سلك سبيل الوفاء ورأى
 ذكرهم محمداً في الأحياء بعد ذكرهم مطايا الفناء والعفاء

نادرة في الوفاء

وقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع ما قرع أبواب المسامع وتحقق
 به كل سامع أن الوفاء في اكتساب المكارم من أنفع الوسائل وأنجع الذرائع كقصّة
 الطائي وشريك نديم النعمان بن المنذر وتلخيص معناها أن النعمان كان قد
 جعل له يومين يوم يؤس من صاذه فيه قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن إليه
 وأغناه وكان هذا الطائي قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره وأبلاه القدر
 من قرب عسره وبديد سره بما أنساه جيل صبره وأغراه بشكوى ضره هذا إلى
 أطفال وعيال صبيهم من القله ستم وجباهم عليها من أثر الطوى أقبح وسم
 وقدودهم كالقسي من الضعف وماله في شبعه سهم ولا فيسا يستبه الأجوفان
 قسم ولا قسم فأوحته الحاجة إلى زيادة قواره وأخرجته الغاقة من محل استقراره
 فخرج يرتاد نجعة لصغاره ويحاول محادب ودرج شبعة يخمد بها من المجموع شعله
 نارهم فيبديهم ما هو في اضطراب تطوافه واعترا بمرتبس الانتجاع ومصطافه وقد فتح له
 من القوت ما هو حامله في جرابه على أكافه إذا وقع القدر في شرك النهمان في يوم
 أهلا كه من رآه وأتلافه فلما بصره الطائي علم أنه مقتول وإن دمه لم يطول فقال
 حي الله الملك ان لي صبية صغاراً وأهلاً جاعاً وقد أرقّت ماء وجهي في طلب هذه
 البلغة المتعسرة لهم وأعلم أن سوء الحظ أقدمني على الملك في هذا اليوم العبوس
 وقد قربت من مقر الصبية والأهل وهم على شفا ئلف من الطوى ولن يتفاوت
 الحال في قتلي بين أول النهار وآخره فان رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل إليهم

يا شريك ابن عدى * مامن الموت انهزامي
بل لاطفال ضعاف * عدم مواعظ الهوام
بين جوع وانتظار * واقف قار وسقام
يا أخا كل كريم * أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جدي * بضمان وال التزام
ولك الله بأني * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدى أصحح الله الملك على نعمانه فخر الطائي مسرعا والنعمان
يقول لشريك أن صدرا النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك على سبيل
حتى يأتي المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك جاء وقتك فتأهب للقتل فقتل
شريك هذا شخص قد لاج مقبلا وأرجوا أن يكون الطائي فان لم يكن فأمر الملك بمثل
فيمنعاهم كذلك واذا الطائي قد أقبل يستدني عدوه مسرعا فقدم وقال خشيت
أن ينقضى النهار قبل وصولي فعدوت ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بأمرك
فأغرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منك أما أنت يا طائي فما
تركت لأحد في الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفخر به وأما أنت يا شريك فما
تركت لكريم سماحة يذكرك به في الكرماء فلا أكون أنا الأمام الثلاثة الأواني
قد رفعت يوم يؤسى عن الناس وتقتضت يوم عادتني كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك
فقال الطائي

ولقد مددني للخلاف عشرين * فعددت قولهم من الاضلال
اني امرؤ مني الوفاء خلة * وفعال كل مهذب مفضل

فقال له النعمان ما لك على الوفاء وفيه تف نفسك قال ديني فمن لادين له لا وفاء له
فأحسن إليه النعمان ووصله وأعادته إلى أهله **وتتبيه** يعني لذي الوفاء بغرضه ويكفي
عمله به في القيام بفترضه ويشفي فؤاده باستعماله من تماميا مرضه قيل في قلائد

الحامد المنطوية في أجياد الاجواد وفراثد الفواثد الموسومة بانتقاد النقاد أن صفة الارتداء برداء الوفاء واقية باقية على الابد وحسنة مستحسنة الآماد بلا فناء ولا نفاد وطريقة هادية الى ادراك كل مرام ونيل كل مراد وجنة مجنة من الاتصاف بأحد القبيحين اما بدناءة الهمة واما بفساد الاعتقاد وسجية تسهيل الى صاحبها قلوب العباد بالوداد وتستطيع له أرباب الفصاحة واللسن بالاجساد وقد تبلى فجر الاسناد الى السلف فأسفر وتأرجح زهر النقل الى الخلف فعطر بورود ما قدره القلم ووسطر وتحقيق ما شرح من ذلك وذكر ما خط وزير

﴿ غريبة وما جزاء الاحسان الامثلة ﴾

أن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت الى مجلس المأمون ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فقال لي يا عباس خذ هذا اليك واستوثق منه واحفظه ولا يفك ويكر به الى واحد وعليه كل الحذر قال العباس فدعوت جماعة جلوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب إلا أن يكون معي في بيتي فلما تركوه في مجلس لي في داري أخذت أسأله عن قصته وحالته ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيراً فمن أنت من أهلها قال لا تريد أن تسألني فقلت له أتعرف فلانا فقال ومن أين تعرف ذلك الرجل قلت كانت لي معه قصة قال ما أنا من يعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقلت ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فغضب أهلها وخرجوا علي ما حتى أن الولى تدني في زنبيل من قصر حجاج وهرب هو وأصحابه وهربت في الجملة فاني في بعض الدروب اذا أنا ببأس يعدون خلفي فصار لي أعدو قد أمهم وفهم ففررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثنى أغناك الله فقال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقلت امرأته ادخل الجملة فدخلتها وثبت الرجل على باب الدار فاشعرت الابه وقد دخل الرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار فمقتسوا الدار حتى لم يبق سوى الجملة وامرأته فيها فاعتالوا ههنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرخف في الجملة خائف فقلت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك

شرفهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت جزاك الله خيرا ثم عازال
يعاشرفي أحسن معايشة وأجملها يطعمني معه وأفردي مكانا من داره ولم يجر جني
الى شيء وما تغير عن تفقد حالي فدمت عنده في أتم عيشة أربعين شهرا لا أظهر
الى ان من حكايا الفتنة وعبدات ووال شرفا وأثرها فقلت له تأذن لي في
الخروج حتى أتعرف بعلمه اني نلت على اقف منهم على خبر اولهم على اثر فأخذ على
المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلمانا فلم أر لهم أثرا فرجعت اليه
واعلمت أنه الخبير وهو مع ذلك لا يعرفني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني الا بالكنية
فتسأل في سلام تعزم فقلت قد عزمت على الشخصوس الى بغداد فان القافلة
هي ثلاث ايام تخرج وقد تفضلت هذه المدة ذلك على عهد الله اني لا أنسى
لك هذه البدة على ولا أكافئك بها مهما استطعت وأسألك أن تتم فعلك بأن
تعطيني ما أنفقته الى بغداد وألبسه الى أن أصل الى موضعي فقال يصنع الله خيرا
ثم قال الغلام له أسودا نعل الفرس الفلاني وتقدم الى من في داره بأعداد سفرة
فقلت في نفسي ما أشك أنه يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فوقعوا يومهم
ذلك الى غدي كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السحر وقال يا فلان
قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تفرد عنها فقلت في نفسي ما أعطاني وما وثق
بي ثم قلت فإذا هو امرأته يحملان لي خفين جديدين ورائات معمولة وآلات السفر ثم
جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطى ثم قدم بغلا يحمل عليه صندوقين
وقومهم ما فرش ودفع الى نسخة ما في الصندوقين وفيها خمسة آلاف درهم وقدّم
الى الفرس الذي أعله بسرجه ولجسامه وقال أركب وهذا الغلام الاسود يخدمك
وبسوق خيلك وأقبل هو وامرأته يعتذران من التقصير في أمري وركب معي من
يشبهني وانصرفتا الى بغداد وأنا أتوقع خبره لآ في بيده لي في محاراته ومكافاته
وتواصلت خدمة باب أمير المؤمنين وأسفاره فلم أتفرغ لسكرة التنقل مع أمير
المؤمنين من مكان الى مكان فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال قد
أمكنت الله تعالى من الوفاء له ومحاراته على فعله ومكافاته بصنعه بلا كلفة عليك
ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وإنما الضم الذي أنا فيه غير
عليك ما عرفته مني ثم لم يزل يذكر لي تفاصيل الاسباب وما يتعرف به الى حتى أثبت
معرفة فيما تكلمت أن قت وقت وأسه وقت له فبالذي أصارك الى ما أرى

فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في أيامك فنسبت الي وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وأخذت وضربت الي أن أشرفت على الموت وقبضت وبعث بي الي أمير المؤمنين وأمرني عنده غليظ وهو قاتل لا محالة وقد أخرجت من أهلي بلا وصية وقد تبعتني من غلمان من ينصرف الي أهلي بخبري وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تحصل من مكافأتي أن تبعث تحضره لي حتى أوصيه بما أريده وأتقدم اليه بما يكون وصية مني لاهلي فان فعلت ذلك فقد جاوزت حدك كافأه وقت بوفائك بعهدك فقال العباس يصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا في الليل وأمره فقل قيوده وأزال ما كان عليه من أنواع الانكال وأدخله الي الحمام وألبسه من ثيابه ما يحتاج اليه ثم سير وأحضر غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه فاستدعي العباس نائبه وقال علي "بفرسي الفلاني والفرس الفلاني والغنم الفلاني والمغلة الفلانية حتى عند عشرة ثم من الصناديق عشرة والكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لي بدرة عشرة آلاف درهم وكيسافيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه في الشرطة بين يديه خذوه واعبر الي حد الانبار فقلت له ان أمرى عظيم وذنب عند أمير المؤمنين غليظ وان أنت احتجبت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلب كل من في بابيه فأرد وأقتل فقال لي اخرج بنفسك ودعني أدير أمري فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجبت الي حضوري حضرت فنال لصاحب امره ان كان الامر على ما يقول فليكن في موضع كذا فان اناسلت في غداة غد أعلمه وان أنا قتلت كنت قد وقفته بنفسك كما وقاني بنفسه وانشدك الله ان لا يذهب من ماله ما قيمته درهم وتجهدي في اخراجه من بغداد قال الرجل فأخذني صاحب الشرطة وصبرني في مكان أثق به وتفزع العباس لنفسه فاغتسل وتحنط وتكفن قال العباس فلم افرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون في طاي يقولون أمير المؤمنين يقول لك هات الرجل معك وقم قال فأتيت الدار واذا أمير المؤمنين جالس وعليه ثيابه امام فراشه فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني فقال أعطى الله عهدا لئن ذكرت أنه هرب لاضرر من عنقك فقلت يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثي وحديثه ثم أنت اعلم وما تفعله في أمري قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كذا وكذا وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته أني أريد أن أفي له واكافئه على ما فعل معي واعبر به الي جهة الانبار وقلت أنا وسيدى أمير

المؤمنين بين امرين اما ان يصفح عني فما كرت قد وفيت وكافيت ووقيته بنفسى كما
وقاني يتبعوا ما ان يقتلنى فقد تحنطت وها كفتى فلما سمع المأمون الحديث قال
ويلك لا يزال الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما قبل من غير معرفة وتسكافته بعد
المعرفة والعهد بهذا لا غير الا عرفتني خبره فسكان كافته عندك ولا تقصر في وفائك
له فقلت يا امير المؤمنين انه هاهنا قد حلف انه لا يبرح حتى يعرف سلامتى فان احتجج
الى حضوره حضر فقال المأمون هذه مئة اعظم من الاولى اذهب الا ان اليه حتى
تصيب نفسه وتسكن روعه وتعيبه الى شقى اتولى مكافأته فصرت اليه وقلت له
ليزل خوفك ان امير المؤمنين قال كتب وكتب فقال الحمد لله الذى لا يعمد على
السراى والضراء سواء ثم قام وصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدي امير
المؤمنين اقبل عليه وادناه من مجلسه وحده حتى حضر الغداة فأكل معه وخرج عليه
وعرض عليه اعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة افراس بسر وجها وبجها
وعشرة ابغال بالاتم وعشر بدر وعشر نخوت وعشر مماليك بدوا بهم وكتب الى
الناحل بدمشق بالوصية به واطلق خواجه و امره بمكاتبته بأحوال دمشق فصار
كتبه تصل الى المأمون وكما وصلت خريطة البريد فيها كتابه يقول لى يا عباس
هذا كتاب صديقك

في نادرة تغريب بيان وقصر ير برهان

كان الخليفة المأمون المتقدم ذكره قد لوى عبد الله بن طاهر بن الحسين دهر
والشام واطلق حاكمه فدخل على المأمون يوما بعض اخوته فقال يا امير
المؤمنين ان عبد الله بن طاهر عميل الى ولد ابي طالب وهو مع العاويين
وكذا كان أبوه قبله فحصل عند المأمون من كلام اخيه شئ من جهة عبد الله بن
طاهر فتشوش فذكره وضاق صدره فاستدعى شخصاً ووضعه في زى الفسالك الزهاد
العراة ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال تقضى الى مصر وتفعل جماعة من
الكبراء فى السراى وتسميهم الى القاسم بن محمد بن طباطبا العاوى وتذكر مناقبه ثم بعد
ذلك تجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر وادعه الى
القاسم بن محمد العاوى واكشف باطنه وابحث عن دفين نيتيه واتقنى بما سمع ففعل
ذلك الرجل ما امر به المأمون ووجهه الى مصر ودعا جماعة من اهلها ثم كتب ورقة
اطبقها الى عبد الله بن طاهر ودفعها اليه وقت ركوبه فلما انصرف الناس خرج

الحاجب اليه فأدخله عليه وهو قائم وحده فقال له قد فهمت ما قصدته فهات
ما عندك قال ولي الأمان وثقة الله تعالى قال نعم لك ذلك فأظهر ما أراد ودعا إلى
القاسم بن محمد فقال له عبد الله انصفني قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم
لبعض عند الاحسان والمنسة قال نعم قال فمجيءي إلى وأنا في هذه الحال التي تراها إلى
خاتم في الشرق وخاتم في الغرب وما بينهما امرى مطاع وقولي مقبول ثم اني التفت عن
يمنى وشمالى فأجد نعمة هذا الرجل عامرة لي قد ختم بها رقبتي فتدعوني إلى الكفر
بهذه النعمة وتقول لي اغدر وجانب الوفاء والله اودعوني إلى الجنة عيانا لما عذرت
ولما كنت بعبته وتركك الوفاء له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف
الاعلى نفسك فارحل من هذا البلد فلما أيس الرجل وكشف باطنه وسمع كلامه
جاء إلى المأمون فأخبره بصورة الحال فسر ذلك وادف احسانه اليه وضاعف انعامه
عليه وفي هذه القضية بيان شاف ويزهان كاف في أن الوفاء يحسن السمعة ويؤمن
الصرعة

غريبة تأكيد اصباح وتبديد افتتاح

مما بعد من محاسن الشيم ومكارم أخلاق أهل السكرم ويحث على الوفاء
بالعهود والذمم ما رواه حمزة بن الحسين القنبر في تاريخه قال قال أبو الفتح
المنطقي كما جالوسا عند كافور الانشيدى وهو يومئذ صاحب مصر
والشام وله من البسطة والمكة ونفاذ الامر وعالو القدر وشهرة الذكرا يتجاوز
الوصف والحضر فحضرت المسائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا فلما
انتهى من نوم طلب جماعة منا وقال امضوا إلى عقبة التجارين واسألوا عن شيخ منكم
أعور كان يقعد هناك فان كان حيا فأحضروه وان كان توفي اسألوا عن أولاده
واكشفوا أمره قال فضينا إلى هناك وسألنا عنه وكشفنا فوجدناه قد مات وترك بنتين
احدهما من زوجة والآخرى عاتق فعدنا إلى كافور وأخبرناه بذلك فسير في الحال
واشتري لكل واحدة منهما ما دارا وأعطى لكل واحدة منهما ثيابا وكسوة وذهب
كثيرا وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا وأشهر أنهما من المتعلقين
بذل غاية أمورهما فافعل ذلك وبالغ فيه فمهلك وقال أتعمون سبب هذا فلا تعلم
فقالا اعلموا أني مروت يوما والدم المجمع وأنا في ملك ابن عباس السكاتب بمسالة
رثة فوقت عليه فنظر إلى واستجاسني وقال أنته نصير إلى رجل جليل وتبلغ معه

مبلغا كبيرا وتنازل خيرا كثيرا وطلب مني شيئا فأعطيته درهمين كانا معي ولم يكن معي غيرهما فرمى بهما وقال أشرك به هذه البشارة وتعطيتني درهمين ثم قال وأزيدك أنت والله تلك هذا البلد أو كثر منه فأذكرني إذا ما صرت إلى ما وعدتك به ولا تنسى فبذلت له ذلك وقلت نعم فقال عاهدني أنك تأتي لي ولا يشغلك الملك عن افتقادي فعاهدته ولم يأخذ الدرهمين ثم إنني شغلت عنه بما تجدد لي من الأمور والأحوال وصرت إلى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما أكلنا اليوم وغت رأيتني في المنام قد دخل على "وقال أين الوفاء بعهدك وإتمام وعدك لا تغدر في غدوبك فاستيقظت وفعلت ما رأيت فتمت هذه القضية بمصر وأشهر أحسانه إلى بنات المنجم وفاء لوالدهما ففضاض الدعاء له والثناء عليه

﴿تنبية واستبصار وتذكير واعتبار﴾

الوفاء للكريم شعار ولصاحبه في مقام الاقتدار شهارة والعذر لمن اعتمد عار وشعار ونقض العهد عاقبة نار وبوار وما أسفرت عنه وجوه الأوراق وأخبرت به الثقات في الأفاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضربت به الأمثال في الوفاء بالاتفاق

﴿جوهرة حديث السموأل ابن عادي﴾

ولخص معنى ان امرئ القيس السكندى لما أراد المضي إلى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا تساوى جملة كثيرة فلما مات امرؤ القيس سهر ملك كندة يطلب الدروع والسلاح المودع من السموأل فتمال السموأل لأدفعه إلا إلى مستحقه وأني أن يدفع إليه منه شيئا فعاوده فأني وقال لا أغدر بذمتي ولا أخون أمانتي ولا أترك الوفاء الواجب على "فتصدده ذلك الملك من كندة بمسكرة فدخل السموأل حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموأل خارج الحصن فظفر ذلك الملك به فأخذه أسيرا فلما جد في الحصار وطاف حول الحصن صاح بالسموأل فلما أشرف عليه من أعلا الحصن قال له إن ولدك قد أسرته وها هو معي فان سلمت إلى الدروع والسلاح الذي لامرئ القيس عنده رحلت عنك وسلمت السك ولدك وإن امتنعت وأصررت على أباتك ذبحت ولدك هذا فاجتر منه ما شئت فقال السموأل ما كنت لا أخفر ذمائي وأبطل وفائي فاصنع ما شئت فذبح ولده وهو يتظلم لما عجز عن الحصن وجع خائبا واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر محافظا على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم إليهم

الدروع والسلاح ورأى حقا ذمامه ورعاية وفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه
فصارت الامثال بالوفاء تضرب بالسهم والواذام من أجل الذمام بين الانام ذكر
السهم والواذام (وقد قيل) رب قادر لم ينظر فيما عند رقيه بدله الخادروضاقت
عليه من موارد الهلكة فسيجات المصادر وطرقه غشوه طوق خزي فهو على فسكه
غير قادر وأوقعه خطة خسف وورطة خسف فساله من قوة ولا ناصر ويشهد الجمعية
هذه الاسباب ويحكم بها عند أولى الالباب وينتج منها قولي محمد بن الاختلاف
والاضطراب الممتد من هذا الباب

هو غريبة قضية تعلية بن حاطب الانصاري

وتلخيص معناها ان تعلية هذا كان من انصار النبي صلى الله عليه وسلم
فبما يوما فقال يا رسول الله ادع لي ان يرزقني الله مالا فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويحك يا تعلية قليل تؤذي شكره خبير من كثير لا تطيقه
ثم اتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله لي ان يرزقني مالا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي
بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول
الله ادع الله لي أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل
ذي حق حقه وعاهد الله على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أرزق
تعلية مالا قال ياخذ تعلية غنما فتمت كما ينبغي الدود فضاقت عليه المدينة فتسحق عنها
ونزل واديا من أوديتها وهي تهي كما ينبغي الدود وكان يصلي مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الظهر والعصر ولا يصلي باقي الصلوات الا في غنمه فكثر وضاعت حتى
بعدت عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثر أضياعه حتى كان لا يشهد الجمعة
ولا جماعة فساكن اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل تعلية فقالوا يا رسول الله اتخذ
غنما لا يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح تعلية فأمر الله أن يزل الله آية
الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من رجلا من بني سليم ورجلا من
بني جهينة وكتب لهما أسباب الصدقة كيف يأخذانها وقال لهما مرا يا تعلية بن
حاطب وبرجل آخر من بني سليم فخذوا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا تعلية فبألاه
الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الاخرية ما هذا الا

أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى قانطرا وسمع بهما السلي فنظرا الى خيسار
أسنان ابله فعزلهما للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالاهما هذا قال خذاه فان
نفسى به طيبة فخر على الناس وأخذ الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فزال أروى
كأبكم فقرأه ثم قال ماهذه الجزية ماهذه الأخت الجزية اذهبيا حتى أرى رأيي
قال فأقبل فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتكلمما قال يا رب
ثعلبة فأنزل الله عز وجل قوله ومنهم من جاءه الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوأ به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم
نفاقا فأتوا بهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن
الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله
عز وجل فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن
يقبل منه صدقة فقال ان الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقة ففعل ثعلبة يحيى
التراب على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك
فلم تطعني فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقة رجع الى منزله
وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ثم أتى الى أبي بكر رضي الله
عنه حين استخاف فقال قد علمت منزلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي
من الانصار فاقبل مني صدقة فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى
الله عليه وسلم منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم لما ولي
عمر رضي الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقة فقال لم يقبلها منك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فأنا لا أقبلها وقبض عمر ولم يقبلها ثم ولي عثمان
رضي الله عنه فأتاه فسأله أن يقبل صدقة فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا أبو بكر ولا عمر فأنا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان فهذا تلخيص
قضية بقصها وشرح زبدها بنصها فانظر الى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال
أمره ووسمه بسمه عار قضا عليه بخسره وأعقبه نفاقا يخزيه يوم فاقتة وفقره فأى
خزى أرجح من ترك الوفاء بالميثاق وأى سوء أقبح من غدر يسوق الى النفاق وأى
عار أفضح من نقض العهد اذا عدت مكارم الاخلاق

﴿افادة تهذيب وزيادة تعريب﴾

كم أعلى الوفاء رتبة من اعتلق بيديه وأعلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق

الافواه لفاعله بالثناء عليه واستطلق الايدي المقبوضة عنها بالا احسان اليه فانه
بلغ من وافدات المجالس ونادرات المجالس وواردات المؤانس ونادرات
العرائس وسافرات العوايس

﴿الحقيقة عن وفاء الجبل﴾

﴿ان الخليفة﴾ المنصور كان متطعاً الى الاطاعة بأمر الناس عموماً الى معرفة
أحوال بني أمية خصوصاً ببلغه أن من مشايخ أهل الشام شيخاً معروفاً وكان بطانة
لهشام بن عبد الملك ابن مروان فأرسل اليه المنصور وأحضره بين يديه وسأله عن تدبير
هشام في حربه مع الخوارج فوصف له الشيخ ما دبر وقال فعل رجه الله كذا وكذا
ودبر كذا وكذا فقال له المنصور قم عليك لعنة الله تطأ بساطي وترحم على عدوي
فقال الرجل وهو مولد بريء الخروج ان نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها
الا غاسل فلما سمعه المنصور قال ردوه فلما رجع قال يا أمير المؤمنين ان أكثر الناس
لؤثماً من لم يجعل دعاءه لمن أحسن اليه وثناءه عليه وجسده المعروفه عنده وفاء له
ولو أمكنتي القدر وأقدرني القضاء على الوفاء لهشام بأكثر من ذلك لو جسدني أمير
المؤمنين وافياله به فقال له المنصور ارجع يا شيخ الى مقام حديثك أشهدك انك
نبيض حرّ وولد رشدة ثم أقبل المنصور على حديثه الى أن فرغ فدعا المنصور
بمال وكسوة وقال خذ هذا صلة منك فأخذ ذلك وقال والله يا أمير المؤمنين مالي
من حاجة ولقد مدت عني من كنت في ذكره فساأحوجني الى وقوفي على باب أحد
بعده ولولا جلالة أمير المؤمنين ولزوم طاعته وإيثاري أمره لما لبست نعمة أحد
بعده فقال المنصور لله أنت ولم يكن لقومك غيرك لكنت أبقيت لهم ذكر الخلد
ومجدنا بما يوفائك من أحسن اليك ثم أوصى المنصور برعاية أموره وقضاء حوائجه
وصار يذكرك في خلواته ويستحسن ما صدر منه

﴿نادرة عن عدم نسيان احسان البرامكة﴾

﴿وعما أجنته بطون الدفاتر﴾ واستحسنه عيون البصائر ونقلته الأصاغر عن
الأكابر وتداولته الألسن من الأوائل والآخر وعد من جواهر الجواهر وصوادر
المصادر ونوادير النوادر ما رواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبني أمير المؤمنين
ليلة وقدمت من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلاناً وفلاناً وسماهما أحدهما على
بن محمد والآخر ديناراً الخادم وذهب مسرعاً لما أقوله لك فان أصحاب الأخبار

قد أكرهوا في أن شيخا يحضر ليلا إلى آثار ما كن البرامكة وينشد شعرا
ويذكرهم ذكرا جيل ويندبهم ويكي عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى
ودينار حتى تروا هذه الخرابات فاستروا خاف جندار من هذه الخدوفاذا رأيتم الشيخ
قد جاءه وبكى ونذب وأشد شيئا فأتوني به قال فأخذتهم ومضينا حتى وردنا الخرابات
واذا نحن بسلام قد أتى ومعه بساط وكسي حديد واذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة
وصلف فجلس بيكي ويتحجب ويقول

ولما رأيت السيف جلي جعفر * ونادي مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وايقنت أنه * قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا
أجفرا ان تم لك قرب عطية * كشفت ونعمي قد وصلت بها نهي

مع أبيات ردها وأطالها قال فتراينا له سافر وقبضناه فخرج وفزع وقال من
أنتم قال فقلت له أنا من خواص أمير المؤمنين وهذا فلان وفلان قال وما تر بدون منى
قال فاعلمته ما امر به أمير المؤمنين من أخذه إلى مجلسه فتمسك ذرى أوص وصية فاني
لا آمن العطب ثم تقدم إلى بعض الدكاكين واستفتح ودفع خاتمه وأخذ ورقة
وكتب فيها وصية وسلمها إلى غلامه ثم سرباه فلما دخل إلى المجلس ومثل بين يدي
أمير المؤمنين فبره وقال له من أنت وبماذا استوجب منك البرامكة أن تفعل في
خرباب دورهم ما تفعله قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا أمير المؤمنين البرامكة
معدى أباد خضرة أفتأذن لي أن أحدثك حالي معهم قال قل أنا يا أمير المؤمنين
المنذر من المغيرة من أولاد الملوك فزال عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما وكتبتني
الديون واحتجبت إلى بسج مسقط رأسي ورؤس أهلي أشاروا علي بالخروج إلى
البرامكة فخرجت من دمشق وعبي سيف وثلاثون امرأة وصديا وصبية وليس معنا
ما يباع ولا يترهن حتى دخلنا إلى بغداد ونزلنا بباب الشام في بعض المساجد
فدعوت بنو بنيات لي كنت قد أعددتها لاستمخ بها الناس فليستوا خرجت وتركهم
جياعا لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد أسأل عن دور البرامكة فإذا أنا بمسجد
منسرف وفيه مائة رجل شيخ بأحسن زينة وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل مني
في النجوم ووجئت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل مني
لأنهم لم تكن صناعتني وإذا بخادم قد أقبل فحدث الخادم من قد خلوا وأزججوا القوم
فقاموا وأنامهم فأدخلونا دار يحيى بن خالد فاذا يحيى جالس على دكة وسط

بستان فسلما وهو بعد ثمانمائة وواحد و بين يدي يحيى عشرة من ولده واذا غلام أمر د
 حين عذر خذاه قبل من بعض المقاصير بين يديه خدام مقرطعون في وسط كل
 خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم حجرة من ذهب
 في كل حجرة قطعة من عود كهيشة الفهر قد قرن به مثله من العنبر السلطاني
 فوضعوه بين يدي الغلام وجلس الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم
 وزوج بنى عائشة من ابن عمي هذا فخطب القاضي وزوج وشهدت أولئك
 الجماعة وأقبلوا على النار بنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين
 مليء كمي ونظرت واذا نحن في الدكة ما بين المشايخ ويحيى وولده والغلام مائة واثنا
 عشر رجلا فخرج مائة خادم واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية فضة عليها ألف
 دينار شامية فوضع بين يدي كل رجل مناصيفية فرأيت القاضي والمشايخ
 يصبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت أباطهم ويقوم الاول فالاول
 حتى بقيت بين يدي يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغزني الخادم فحسرت
 وأخذتها وجعلت الذهب في كمي وأخذت الصينية في يدي وقت فجعلت التفت
 الى ورائي مخافة ان أمنع من الذهب بها فبينما أنا كذلك في عمن الدار ويحيى
 يلحظني فقال للخادم اتني بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بسكب الدنانير والصينية
 وما كان في كمي ثم أمرني بالجلوس فجلست فقال من الرجل فقصصت عليه قصتي
 فقال للخادم أحضر موسى فأني به فقال يا بني هذا الرجل غريب فخذ اليك
 واحفظه بنفسك ونعمتك فقبض موسى على يدي وأخذني الى دار من دور
 فأكرمني وعاشرني يومى وليمتي أكلا وشربا فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال
 ان الوزير أمرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين
 فاقبضه اليك وأكرمه ففعل فلما كان من الغد تسلمني أخوه أجد ثم أزل في أيدي
 القوم يتداولوني عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبيانى أنى الاموات هم أم
 في الاحياء فلما كان في اليوم العاشر دفعت الى يدا الفضل فعطف على وزاد
 في الكرامة فلما كان في اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم
 فقالوا قم فانخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلمت الدنانير والصينية
 وقد هلكت ثيابي وأخرج الى عيالي على هذه الحالة ان الله واناله راجعون
 فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخر قال

الى مهمار آيت قد سبق من عوانجك فمتقدم الى به فانا أمور يتضاء جميع ما نأمر
 به فلما رفع الستر رأيت بحجرة كالشمس حسنا وورا استقبلتني منها راحة النذر
 والعود ونجات المسك واذا بصياني يتقبلون في الحري والدياج واذا قد حمل
 الى ألف ألف درهم مبدوة وعشرة آلاف دينار وقبالتين بضعتين وتلك الضمنية
 التي خرجت معي فيها الدنانير والبنادق فبقيت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في
 دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطفتوني
 فلما جاءت القوم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد لما نزل قصدني عمرو بن
 مسعدة وأزمتني في هاتين الضميتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تعامل
 على الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خرابات القوم فأندبهم وأذكركم حسن صنعهم
 الى وفاءهم على احسانهم فقال المأمون على يسمروا من مسعدة فلما ألقى به قال
 له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال
 كم أزمته في ضميتي قال كذا وكذا فقال رد عليه كل ما استأديته منه في مدته
 وأجر واضيعته تكونان له واعقبه من بعده فعلا فحسب الرجل وبكاؤه فلما طال
 قال له المأمون أحسنه اليك فلم تبكي فقال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنيع
 البرامكة أرايتك يا أمير المؤمنين لو لم آت خراباتهم فابذكهم وأندبهم حتى اتصل
 بخبري يا أمير المؤمنين ففعل ما فعل من أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم
 ابن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دعت عيناه وظهر عليه حزنه على القوم وقال
 هذا لعمري من صنائع البرامكة فعلمهم فابكوا وياهم فاشكروا لهم فأوقف ولا احسانهم
 فاذا كروا جعل نائمة هذا الباب من القضاء اأجلها اختاما وأخرجها كلاما وأحزها
 مراما وأحسها نظاما وأبينها حكما وأحكمها وهي قضية جدت لأمري وفاء وغدرا
 وعرفا ونكرا وخيرا وشرا ونفعا وضرا واطلاقا وجرا واشتات على حال شخصين
 وفي أحدهما بهمة ففاز ونجسا وهاز من مقترحات مناهما أمل ورجا واستشقى
 من نسيم الاسعاف بمقتضاها لشر وأرجا وساعفه التوفيق فعمل أن من يثق بالله يجعل
 له فرجا وغرضا لا تخاف غري به غدره من أعوان العطب هجمها وأخاضه
 من أضر التلغ والهلاك ليجبا ولم يجعله من جزاء غدره الى النجاة فرجا
 (لطيفة في ان الوفاء يحمي من المعاطب)

وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطالعا على أجساد بن طولون عارفا

بأموره عالميا وورده وصدره فتعال ما معناه ان أحمد كان يرى من طرح على
الطرقات ويقيم لهم الكوافل ويدر عليهم النفقات رغبة في الثواب وتقربا إلى
الله تعالى بهذه الأسباب فوجد عند سقائه عند الماء فطرطرا فالتقطه
وربا وسماه باسمه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء
ووقفة وأحسنهم راء وصورة فصار يرعاه وبعاء وهو يعرف بأحمد اليتيم فلما
حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيوش خنارويه به فأخذاه إليه
فبعد موت ابن طولون أحضره الأمير أبو الجيوش وقال له أنت عندى بمكانة أركانك
بهاول كن عادى أن أخذ العهد على كل من أصرفه في شئ من أموري أنه لا يهونى
فعا هذه ثم حكمه في أمواله وقدمه في أشغاله فصار أحمد اليتيم مستمرا على المهام
حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والأمير أبو الجيوش بن أحمد بن طولون
يحسن إليه كلار أى خدمته متصفية بالنصح ومسانده متبعة بالنصح فركن إليه
واعتقد في أسباب بيوتة عليه فقال له يوما يا أحمد امض إلى الحجرة القلانية في المجلس
بجانب مجلس سبعة جوهر ففى بها فضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جار يهمن
مغنيات الأمير وحظايا مع حدث من الفرائين من هو الأمير بجمل قريب فلما
رأياه خرج الفقى فبسات الجارية إلى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته إلى قضاء
وطره فتعال لها معاذ الله أن أخون الأمير وقد أحسن إلى وأخذ العهد على ثم
تركها وأخذ السبعة وانصرف إلى الأمير وسلم إليه السبعة وبقيت الجارية شديدة
الخوف من أحمد لئلا يذكر حالها الأمير فبقيت أياما ولم تجد من الأمير ما تسكره من
أقبله ولا ظهر لها ما توهمته في أحمد من تسرعته في مقالها وانها طاله فاتفق أن
الأمير اشترى جارية وقدمها على حظاياها وغمرها بعطايا واشتغل بها عن سواها
وأعرض لبقية بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان
أول ما شغف فبسات الجارية الخاتنة الخاترة الفاشة الغادرة العائبة القاهرة
الفاسقة الفاجرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالمجسدة المجسدة المسعدة السعدة
المواودة المودودة الخادمة المحمودودة الوصيفة الموصوفة الأليفة المألوفة الرشوفة
الرشوفة العارفة المعروفة وصرفت لبقية محاسنها وآدابها وجهه عن ملاعبة
أترابها وشغلته بمسئوبة رضائها عن ارتشاف ضرب أضرابها فمهر حظايا
مناصيره واقتصر عليها إلى طويل نعمة وقصيره وكانت تلك الأولة محسنة متأمرة

على تأميره مطرحة حكم أمره لا تخاف من وليه ولا نصيره فكبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى اطلاع أحمد اليتيم اياه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من الكآبة يجلباب مكرها وركبت وجهها في صورة حزن اقتادها بزم ففكرها وأجهشت بالبكاء بين يديه لانتقام كيدها ونكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الامير ذلك استشاط غيظا وهم في الحال بقتله ثم عاوده كما عقبله فتأني في فعله واستحضر خادما يعتمده عليه وقال له اذا ارسلت اليك انسانا ومعه طبق ذهب وقلت لك على لسانه املا هذا الطبق مسكا فاقبل ذلك الانسان واعمل رأسه في الطبق واحضره مغطى ثم ان الامير ابا الجيش جالس لشربه وحضر عنده ندماء مؤه الخواص من شربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمنا في شربه جاريا على عادته في اجتماعي قربه لم يخطر بخاطره ولا تقرب في قلبه شيء مما نسب اليه وقذف به فلما مثل الامير وأخذ منه ما كان يتناول له قال له يا أحمد خذ هذا الطبق وادض به الى فلان الخادم وقل له املا مسكا فأخذ أحمد اليتيم ومضى واجتاز في دضيه بالمغنين وباقي الندما والخواص فقاموا اليه وسألوه الجالوس معهم ساعة فقال أنا ماض في حاجة الامير امرني باحضارها في هذا الطبق فقلوا أرسل من ينوب عنك في احضارها واخذها وأدخلها الى الامير فأدركه فورا اي الفنى الفراش الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املا مسكا فضى ذلك الفراش الى الخادم وذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغسله وجعله في الطبق وغطاه وأقبل به فناول له أحمد اليتيم وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره مع الندماء وعوده مع المغنين وسؤالهم له الجالوس معهم وما كان من انفاذ الطبق والرسل مع الفراش وانه لا علم له غير ما ذكره قال أفترى لهذا الفراش ذنبا يستوجب به ما قد جرى عليه فقال أيها الامير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من خيانتك وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك وأخذ أحمد يصدئه بما شاهدته وما جرى له وحديث الجارية من أوله الى آخره لما أنفذه لاحضار السجدة فدعا الامير تلك الجارية واستقررها فأقربت بهجة ما ذكره أحمد فأعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وأوردت مكانه عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احتسانه اليه وجعل أزمه جميع ما يتعاق به يديه ولم يجعل لاحد من عظماء تلك الدولة حكما

يتسلط به عليه فانظر الى آثام الوفاء كيف تحبس من المعاطيب وتنجي من قبضة
التناف بفساد نقضاء القواضب ويقضي بصاحبه الى ارتقاء غوارب المراتب
ويقضي على مرير داه بسعيه الخائب وأمله السكاذب وترى شيطان حليته
ومقتل نفسه في انتقام الله تعالى بشهاب قديره الثاقب وسهم قضائه الصائب
فهذا الغلام لما وقى مولاه جهده وهو بشر وليس في الحقيقة بسده وأطلع الله
جل وعلا على صدق نيته وصحة قصده دفع عنه هذه القنالة الشنيعة بلطف من
عنده فكيف اذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافي في طاعته بعهده بالذلا في
واجب عبادته واجتناب معصيته مستطاع جهده فالله تعالى وتقدس يفيض
عنا به من ألطافه وراحمته ويرفده وينجيه من رافتهم ما يتجمل به انجا وعده ويقم
له من أنواع رحمته وأقسام نعمته ما لا يحصى له من بعده

وخاتمة لهذا الباب في الحكم المشورة في الوفاء والالفاظ المذكورة بين انوعان
الصفا (منها) الوفاء من كرم السجاياء والندم من اثم الطباع فمن عرف بالوفاء خصته
القلوب بصدق الوداد وكنته الالسن مطارف الاحساد ومن عرف بالغير عومل
بالمقتد والابعاد واتسم بأقبح المعاصات بين العباد (ومنها) من اتخذ الوفاء شعارا
آمنه عقوبة الغادرين ومن ارتدى برداء الغدر أبقى له سوءه كفي الاكثرين ومن
عامل الناس بالوفاء قولاً وفعلاً فقد استخدم السنة الشاكرين (ومنها) من غدر
في عهده وأخلف في وعده ونقض عرى عهده ففقد قضي على نفسه بخسة
أرومته وسوء عقيدته وقلة شروعه وترك له بين الناس ذكراً قبيحاً وسيرة سيئة
وزهد الناس فيه ونفوت القلوب عنه

باب الثامن في التيقظ وانتهاز الفرصة وذم التواني والغفلة

لما كانت اليقظة في الامور والمسارعة الى اسواق قصباتها والمسابقة الى نيل المقاصد
بانتهاز فرصها قبل فواتها ومحاسبة أسباب الغفلة والتخلف عن آياتها من
أكل مزاي النفس المؤيية وأحسن صفاتها أمر الله سبحانه وتعالى عباده في
السور المنزلة بحكم آياتها فقال جل وعلا تارة وسارعوا وتارة وسابقوا أنفسكم
على ان يقظة النفس وعبادتها الى مصالحها من حسناتها ونفطها وتوانيتها عن
واجب ذلك من شقاوتها وسفائاتها فمن سمعت نفسه الى جسيم رتبة المعالي وترامت
هسته الى استخدام بعض الايام وسود الليالي وأحب انتقام الامور اليه في

سلك مطلوب به الدائم ومرغوبه المتوالى تسربل بملايس اليقظة المثنية عن استعمال قواخى القواضب وعوامل العوالى ليكشف له بها مواردا الخطل والخلل ومقاصد أهل الزيف والزائل ويعلم المفسد من المصلح في القول والعمل فتتوون لديه عظام الامور وتعظم مهايتها في الصدور ويتحاشى الناس أن يعاملوه بشئ من المحذور والمحذور ومتى آثر على تعب التيقظ راحة الالهمال وركن الى دعة التواني الداعية الى الاغفال وسكن في مساكن الغافلين عما يؤل اليه حال المغترين بالجمال في الاستقبال كان جديرا باتتفاض مبرم ما ركن اليه واعراض الناس عنه بعد اقبالهم عليه ويؤل أمره الى ندامة بعض منها على يديه ويكفي في نقصة الغفلة وذم المتصف بها ان الخسارة لازمة له فيما غفل عنه بسببها فان كان في أمر ملك أو دنيا خسر خسارة لا يجد على دفعها مبعنا وان كان في حال الآخرة فقد خسر والله خسر انما دنا وقد أنفذ الله عز وجل حكمته في ذلك وأبرمه وقصه في كتابه العزيز الذي أنزله وأحكمه فقال عز من قائل في حق من سبق قضاؤه فهم بدمارهم وجى القلم في القسدم ببنوارهم اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ثم صرح بخساراتهم معللة بغفلتهم فقال تعالى أولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون وكما أن الخساروة من لوازم الغفلة فكذا الربح من لوازم اليقظة ومن هذا قال أبو سعيد الحسن البصري التواني رأس خسران الدنيا والآخرة وقال عبد الله بن المقفع حفظت من الحكمة ما هو ضياع يهتدى المتسلك به نهج النجاة ان أعانت به العناية الالهية بالتوفيق انتهر الفرصة فانها خلسة وتب عند رأس الامر ولا تنب عند آخره وإياك والبجز فانه أوضع مركب واحذر التواني فانه يجلب أنواعا من البلاء

(وقد قيل) من افترع مطية اليقظة في جلباب العزم ووضعها واذرع جنة الخزم التي مانفها عنه ذو دراية ولا خلعها وأحرز قصبات السبق في انتهاز الفرض عند إمكانها بجمعها وزجج عن المسارعة الى ارتياد المرامد مواد الغفلة وقطعها كان جديرا بأن يحجب بمقترحات الاماني مجنوبة له برامها وتجيبي اليه ثمرات المطالب مستخرجة من اكمامها وتدل لديه صعب الدول وجوامع أيامها وتحل له عقائل العقائل فيما كها بعد استعظامها هذا كسرى عظيم الفرس خص ببقاء الذكر واشتهار السمعة وانتشار الصيت واستقامة الحال وحراسة الملك وحفظ الرعايا وحماية

البلاد وانقياد الناس له وميل القلوب بحبها اليه ومخافة الاعداء منه كل ذلك
يسره الله تعالى بما الهمة اياه من كمال التيقظ الذي لم يسبقه أحد بمثله ولم يخطئه
غيره بما يقرب منه حتى نقل انه كان أشد الناس تطلعا الى غنايا الامور وأعظم
خلق الله تعالى تفحصا وبصفا عن أسرار الصدور وكان يثبت العيون على الرعايا
والجواسيس في البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا
فيعلم المفسد فيقالبه بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقول مامعنه متى
غفل الملك عن معرف ذلك فليس له من الملك لاسمه وسقطت من القلوب هيئته
ولا يأمن دخول خال عليه في ملكه فانبسط أيدي حاشيته وغاشيته باتباع
هواها وتسلطت عمال أعماله على اقطاع أمواله وافنائهم وصارت رعاياه ذفوضي
لا رتبكها النهج غلوائهم افلا جرم علم كسرى أن سلوك سبيل اليقظة يسدى الى
الصالح فصالح ملكه باتباعه وانتهج وجه وفهم ان اقتراب التواني والغفلة ينتج الفساد
فساد على العالم باجتنابه مخافة اتناجه وهكذا كل من اقتفى في اليقظة طريقة واثرة
وارتقى في نهج معراجها يأمن دلي نظام ملكه من اختلاله وعلى خال حاله من اعوجاجه

﴿تيقظ ازديشير وعمر بن الخطاب﴾

وعما أدركته أبصار البصائر وأهدته السنة الاوائل الى اسماع
الواخر وحلت به بطون الدفاتر من نطف مياه الحاسر أنه لم يكن في ملوك
الام ومقدميها من ملائقوب رعاياه فرقا ووجلا وبسط في ايام ابائته لسكل محق
يؤمله أملا وضبط أقسام دولته بيقظته حتى أمن من جنده فشلا وفي ملكه خلا
وفتح من المعازل ما صار الحال يضرب للاستقبال به مثلا وسلط عيون رواده على
عمال البلاد وأجلاد أجناده ليعلم أيهم أحسن عملا ﴿مثل ازديشير﴾ ابن بابك
ابن ساسان من ملوك الاعاجم قبل الاسلام ومثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أما ازديشير بن بابك فانه مدة ملكه وأيام دولته وهي أربع عشرة سنة وعشرة أشهر
أظهر من آثار يقظته ما هو مذكور في سيرته ومشهور بين الاعاجم مفصلا ومجمل
﴿وأما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب﴾ رضي الله عنه فانه بذل جهده في تسديد
الامور وسد الثغور وسباسة الجمهور واعتمد بعد الله تعالى على يقظته التي فيها
شغلا في الصدور حتى قيل ان علمه كان بمن نأى من عماله ورعيته كعلمه بمن بات
معه على مهاده فلم يكن له في قطر من الاقطار ولا مصر من الامصار ولا ناحية من
النواحي والولا عامل ولا أمير الا وله عين عليه لا يفارقه فكانت أخبار الجهات

كلها عنده كل صباح ومساء حتى ان العامل سكان يتوهم في اقرب الخلق اليه
واخصهم به انه عين عليه فساس سياسة ازديت والتطلع الى حقائق الاخبار
وسيرته في تفاصيل هذا الباب حتى كان يطوف في كثير من الليالي سكاك المدينة
ليقف على قضايا الرعايا فان تجد حالة لا تصل اليه فيؤخذ بالتمصير فيها
بحكاية عن فقد عمر من الخطاب لاجوال وعيته

ولقد قال انس بن مالك رضي الله عنه خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في ليلة من الليالي في الظلمة يطوف لاقتتاد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشجر
مضروبا لم يكن قد رآه بالأمس فدنأ منه فسمع منه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا
منه وقال له من الرجل فتعال من أهل البادية قدمت الى أمير المؤمنين أصيب من
فضله قال فها هذا الانين قال امرأة تتخص قد أخذها الطلق قال فهل عندها
أحد قال لا فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فتعال لامرأته أم كلثوم بنت
علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل لك في اجر قد ساقه الله اليك فتعال وما هو قال
امرأة تتخص ليس عندها أحد قالت ان شئت قال عدلي بما يصلح المرأتين المحرق
والدهن وجيئي بقدر وشحم وجبوب فساءت فعمل القدر ومشت خلفه حتى
أقرب البيت فتعال ادخلي الى المرأة وجاء حتى فعد الى الرجل فقالت هات لي نارافق لي
فجعل حجر رضي الله عنه ينفخ النار ويضرمها تحت القدر حتى أنجها وولدت
المرأة نفسا أم كلثوم رضي الله عنها يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بعلام فلبس اسمع
الرجل يا أمير المؤمنين كأنه ارتاع لذلك وقال يا أمير المؤمنين وأجملته منك أهكذا
ستفعل بنفسك فتعال يا أخا العرب من ولي شيئا من أمور المسلمين ينبغي أن يتطلع على
صغير أمرهم وكبيره فانه مسؤول عنه ومتى غفل عنهم خسر الدنيا والآخرة ثم قام
عمر وأخذ القدر من النار وجعلها الى باب البيت فأخذتها أم كلثوم وأطمت
المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فتعال للرجل قم الى بيتك وكل ما بقي
في البرمة وفي غداك المينا فلما أصبح جاءه جهازه بما أغناه وانصرف وكان من شدة
حرصه على تعرف الأحوال واقامة فسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح
الامور بنفسه ويأمر أمور العية سرافي كثير من الليالي

(الطيفة أخرى عنه)

حتى انه في ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا

فوقته على الباب فجلس فرأى عبداً أسود قد دامه اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول فلم يقدر من الباب فندسور على السطح فنزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فطسار أود قاموا وافتتحوا الباب وانهم زموافاً مسك الاسود فقال له يا امير المؤمنين اني قد اخطأت فاقبل توبتي فقال أريد أن أضربك على خطائك فقال يا امير المؤمنين ان كنت قد اخطأت فأنت أيضاً قد اخطأت في ثلاثة أشياء أولها قال الله تعالى ولا تجسسوا وانت تجسست وقال تعالى واثقوا البيوت من أبوابها وانت آتينا من السطح وقال لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذوا وتسلموا على أهلها وانت دخلت ومناسبت فهب هذه لهنه وأنا تائب الى الله تعالى أني لا أعود فتوبه واستحسن كلامه وله رضى الله عنه وقائع كثيرة تمثل هذه تشهد على حرصه على معرفته بالامور

﴿تطلع معاوية لاهوال رعيته﴾

وكان معاوية بن أبي سفيان قد أخذ نفسه بالتطلع الى استعمال بواطن الامور والرايا وسلك طريق امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية في ذلك حتى انه فعل عنه ان رجلاً كلفه في حاجة وجعل يتعرف اليه ويظن أن زياداً لا يعرفه فقال أنا فلان بن فلان فقبس زياداً وقال له أنت تعرف الى وأنا أعرف منك بنفسك والله اني لا أعرفك وأعرف اباك وأمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذا البرد الذي عليك وهو فلان وقد أعارك يا فبهت الرجل وأرعدت حتى كاد يغشى عليه ثم جاء من بعدهم من اقتدى بهم عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك أحد بعدهم ذلك الى أن ولي المنصور فنصيب العيون وأقام المتطلعين ورصد الخبيرين وبث في البلاد الزواحي من يكشف حقائق الامور والرايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولقد ابتلى في أيام خلافته بأقوام لا يبرئ شرارهم ولا ترد شرارهم ولا تنقل شرفارهم ولا تنقل أنصارهم ولولا أن الله تعالى أعانه ليقطع لانه جمع جفن سداداً ولا يقطع عزائم امدادها ولا يثبت له في الخلافة قدم ولا رفع له مع بعض قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى على خلافه فعاجله باللافه وأطلع على عزائم المعاندين فقط رؤس عنادهم بأسيافه وصار بكل يقظته يتلقى المخدور بدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتفريق شممه قبل جمعه فذلت له الرقاب ودانت لخلافته الصعاب وقرقوا عداها وأحكمها بأوثق الأسباب فن آتار يقظته وفعلته مارواه

(غير يتقن يتقن المنصور)

يؤيدك ابن حبيب قال دخلت يوما على المنصور للسلام عليه فأمرني بيده إلى
فعلتم أفوض في يدي شيئا طيبا فقبضته بيدي وخرجت وأنا ملتة فاذا ورقة لطيفة
مطوية ففشرتها واذا فيها اذا قرأت كافي هذا ودخل الناس غدا فادخل معهم
وامتلب متى ادنا في سفرك الى ضياعك بالري وقل قد اختلفت احوالها ولي حاجة
الى اصلاحها قال بيدك قد دخلت مع الناس وقت يا امير المؤمنين ضياعي بالري قد
اختلفت احوالها وفسدت امورها ولي حاجة الى مطالعتها فقال لا كرامة لك في ذلك
ولا ادنا فخرجت ثم دخلت اليوم الثاني وعادته فقال ذلك الجواب واخطأ القول
فقلت يا امير المؤمنين انما اريد اصلاحها لا تقوى بها على خذتك فقال مبارك
اذا شئت فاذهب فقلت يا امير المؤمنين ولي حاجة قال قل قلت احتاج الى خلوة
فنهض القوم الجالوس وخرج الوقوف وبقي الربيع وحده فقلت اخاني قال ومن
الربيع قالت نعم قال فنهض الربيع فلما لم يبق احدهم بك سواه قال يا بيدك ان
جئت بمالك ونفسك كنت في موضع ظني بك قلت يا امير المؤمنين هل انا ومالي
الامن نعمتك فاذك حقت دمي ورددت على مالي واشترتني بجهتك فانا واقف مع
أمرك قال يا بيدك قد حدثت في نفسي ان مرارا قد تزم على خلعي وترك طاعتي
وليس لي من يكشف باطن امره غيرك لما بينكم من الاف فاذا صرت اليه الى الري
فأظهر الوقعة في التفتق حتى تعرف ما عنده فاكتب الي به ولا تسكتب على
يد يري ولا مع رسول ولا تركن الى من لا عهد لك عليه ولا يفوتني خبرك في كل يوم
وقد نصبت لك فلانا القطان في دار القطن بالري في الدكان الفلانية فهو يوصل
كتبك على أيدي من ربتهم عنده قال بيدك فضيت حتى دخلت الى قد دخلت
على مرارة قال اذلت وخلصت قالت نعم والحمد لله ثم اقبلت عليه وانسه بالوقعة
في المنصور واظهار المرور بالخلاص منه حتى اظهر ما كان المنصور قد ظنه به
فكتبته الى المنصور بذلك فلما وصلت الى ما أردت من معرفة ما عنده خرجت الى
ضياعي ثم رجعت اليه بعد ايام فقال فيجاءك الله من الغابر فقلت نعم وارجو
أن لا تقع عينه على ابد او كنت اعرض به في يدي مما عنده ثم قال هل لك الى منتره
طيب قلت نعم فخرجت انا وهو تسار حتى وصلنا الى موضع مشرف ببنت له عليه
قبة فأخذني فمرا الى ما هناك ثم قال يا بيدك ان ترى القاهر يظن اني اعطيه طاعة
ابدا ما عشت اشهد على اني قد خدعته كما خدعت خفي هذا من رجلي قال بيدك

فرجعت الى منزلي وأنا في كل يوم أكتب بخبره وكنت قد أعددت عشرة أنفس من الفرسان الاجلاء تسعة من بني يربوع وواحد من بني أسد وواطأتهم على ان تطش به وكنت الى المنصور بذلك ثم ان مراوا حصل له حاجة الى شرب دواء في ذلك اليوم فسبق اليه ذلك الرجل الاسدي وقال له خذ حذرك من يديك فقد عزم على قتلك قال يديك قد خلت عليك فعرفت الشر في وجهه والمنحكر في نظره فقال فيه يا يديك مع اكرامى لك تريد ان تقتلني قال يديك قد ضا حكت ثم قالت باع من مكر الخبيث انه دس اليك هذا الاسدي يغريك في لما فته فقد علمت حياته فيك ثم ان بطنه حركه فتمسك بالخلع وقال لا تبرح فلما ولي وقت وخرجت سرعا فقال لي الحجاب أسرع فقلت نعم في حاجة الامر ثم ركبت فرسي فرأيت البر يوعيين فأخذتهم وانصرفنا ولم أر الاسدي فعلمت انه صاحب السعاية في اليه فلما خرج لم يجدني فوجه خيلا في طلبي فقال اليهم البر يوعيون فدفعوهم وأسرعتم الى المنصور ان فكنت عنده وكنت كتابا ظاهرا الى المنصور فسير حازم بن خزيمه يحنود فأخذوا سرا

﴿نادية عن تيقظ المنصور﴾

ومما نظمته يقطعه في عقدها وشهداها بمضاة عجلها ما نقله عقبة بن سالم الازدي قال دخلت مع الجنيد على المنصور فلما خرج الجنيد دني وقال من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جنود امير المؤمنين قدمت الان مع عمر بن حفصة فقال اني ارى لك هيئة ونجاسة وأريدك لأمرا أنا به معنى فان كفتته رفعتك فقال اني لا رجوا أن يصدق ظن امير المؤمنين في فقال أخف نفسك واحضري يوم كذا وكذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحدا وقال ان بني عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيدا لكوا وغتالا له وإلهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكابونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم والطف بلادهم فاخرج بكنتي والطف من عندي وعين حتى تأتي عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب وتقدم عليه متحشدا والكتب عن السنة تلك القرية والالطف والعين من عندهم اليه فيجيبك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر له وعادته رقل قد سرفني سرا وسيروا معي الطافا وعنا كل اجهك وأنكر فاصبر له وعادته واكشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين والالطف وتوجهت الى جهة المجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم فلنيت به بالكتب

فأتى كرها ونهرني وقال ما أعرف هؤلاء التوم قال عقبه فلم أنصرف وعاودته
 وذكرت له اسم القرية واسماء أولئك وان معي منهم ألسافا وعينا فأنا نسي وأخذ
 الكتاب وما كان معي قال عقبه فتركت ذلك اليوم ثم سألتها الجواب فقال أما كتاب
 فلا أكتب إلى أحد ولكن أنت كافي اليهم فأقرهم السلام وخبرهم أن ابني محمد
 وإبراهيم خاوجان لهذا الأمر وقت كذا وكذا قال عقبه فشخصت من عنده وسرت حتى
 قدمت على المنصور فأخبرته الخبر وبأشياء كان ينتظرها منه فقال لي المنصور اني
 أريد الحج فإذا صرت بمكان كذا وكذا فتلقاني بنو الحسن وفيهم بنو عبد الله فاني
 أعظمه وأرفعه وأحضر الطعام فإذا فرغت من أكله ونظرت إليك فامتلئ بين يديه
 وقف قدماه فإنه سيصرف وجهه عنك فدرحتي تنفد وراه وأغمر ظهري بأهسام
 رجلك حتى لا أعينه منك ثم أنصرف عنه وياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج
 المنصور يريد الحج حتى إذا قاب البلاء تنفاه بنو حسن فأجلس عبد الله إلى جانبه
 وحادثه وطاب الطعام الغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على
 عبد الله ابن حسن وقال يا أبا محمد قد علمت ما أعطيتني من العهود والمواثيق لا تبغيني
 بسوء ولا تكيد لي سلطانا قال فأننا على ذلك يا أمير المؤمنين قال فلحظني المنصور فقممت
 حتى وقعت بين يدي عبد الله بن حسن فأعرض عني فدرت من خلفه وغمرت ظهره
 بأهسامي فرفع رأسه وملا عينه مني ثم وثب حتى جثا بين يدي المنصور وقال ألقني
 يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالني الله إن لم أقتلك وأمر بجسده
 وجعل يتقلب ولديه محمد وإبراهيم ويستعلم أخبارهما قال علي الهاشمي صاحب
 عذابه دعاني المنصور يوما وإذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بأشياء العذاب
 وهو يقول أيا ويلك أصدقتني فوالله ما أريد إلا الالفة ولئن صدقتني لأصلن
 رجلي ولا تابعتن البر إليه وإذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن
 علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهي تقول لا أعرف مكانه فأمر به فذابها فلبا بلغ
 العذاب وأغنى عليها قال كفوا عنها فلما رأى أن نسمها كادت تتلف قال مادواها
 مثلها فقالوا له شمس الطيب وصب المساء البارد على وجهها وتسق السويق ففعلوا بها
 ذلك وما لج المنصور بغيره فلما أفاقا فحدثها عاود المسألة عنه فقالت لا أعلم
 فلما رأى أصرارها على الجحود قال لها تعرفين فلانة المجامة فلما سمعت ذلك منه
 تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله أمي

ابتغى إلى ورقي بحري عليها في كل شهر وكسوة ثيابها وصيفة هان عندي
 سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتخدمكم وتتعرف أحوالكم وأخباركم
 ثم قال لها أنعرفين فلانا البقال قالت نعم هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلاحي
 ومشاربي ودنانيري عنده أمرته أن يتناع بهما يحتاج اليه من الامتعة وأخبرني
 ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوايح فقال
 لها ما تصنعين به فقالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بساحية
 البقيع وهو يدخل الليلة وردها هذا لتخدمه النساء ما يحب اليه عند دخول
 أزواجه من الخيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور أرعدت خوفا
 وأذنت له بالحديث وعذته كلما أراد وكان المنصور يشتهي صلاح حال محمد بن
 عبد الله بن الحسن ويؤدله أن لا يشر فتنه ولا يخرج عن طاعته فأبى الاقدار الا ان
 محمد اجمع خلقا وقصد المدينة ودخل السوق وقصد السجن وكسره وأخرج من
 فيه من المسجونين وأخرج عن الطاعة وسب المنصور ودعا إلى خلعه فلما أسرع
 الخبر إلى المنصور كتب كتابا إليه يلاطفه فيه ويعده بكل ما فيه صلاح حاله ويحذره
 من الفتنة وسفك الدماء فأعاد عليه الجواب مجاهرا بالشقاق ومظاهرا بادعاء
 الخلافة لنفسه فعاوده بكتاب آخر يحذره ويخوفه فلم يزد الا شقا فبهز المنصور اليه
 ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله
 عنهم وجهز معه جيشا فمضى اليه وحاربه وقتله وجل رأسه إلى المنصور وأخرج ابراهيم
 بالبصرة ومعه جمعه فقصدا دار الامارة وقتل وقتل واستولى على يدت المسال وأخذ
 منه ألفي درهم ودعا إلى نفسه فبهز اليه المنصور عسكرا وعازال يعمل فسكرته
 ويستعمل بقطته ويستحضر قطته حتى قتل ابراهيم وأحضر رأسه اليه قال عبد الله
 ابن راشد دخلت على المنصور في أيام خروج ابراهيم بن عبد الله بالبصرة لاسلم عليه
 وأنا أظن انه لا يقدر يرث السلام لتابع الفتوق والحقوق عليه وكثرة الأعداء
 القاصدين ناله من الخلافه وان بالكوفة مائة ألف سيف كاملة ينتظرون به
 صيحة واحدة فيثبون عليه فلما دخلت عليه رأيت أسدا مشرا قد قام إلى ما نزل به
 من النواذب يعرفها عرك الأديم ويقتها فت الهشيم ونهض بها ولم تقع عليه نفسه
 فيها وسطا عليها يوفيقه وعزمه وكان يغتل في تلك الايام بهذا البيت
 تفرقت الظباء على حراش * فليدري حراش ما يصيد

﴿تهذيب واعتبار وتقرير واستبصار﴾

قبل من استعمله وثمة البقطة فاطر جهار وأهمها واستقبل راحة الغسلة فاستعملها
واستعملها وكل أبصار التحفظ والتحرز بمرد العنى فيها استفتح عليه من
أبواب النصب والعطب مقفله واستطلع من نجوم النخوس في البروج الثوابت
أفلها وقد توقع الغفلة صاحبها في خطة خسف لا يندمل جرسه ويقطع عليه مما
يحاوله سبل سعيه فلا يؤمل نجده فيتعذر ويتوانى عن أحكام أمره فيجمل به حمره
فيقوته ربحه

﴿تجمية عن التواني﴾

وفي قضية أي جعفر محمد المنتصر بن المتوكل على الله ما فيه تبصرة معتبرة وقد كره لزيد
فانه لما واطأ جماعة من مقدمي الدولة على قتل أبيه المتوكل ودخلوا عليه في مجلسه
وقتلوه وبايعوا المنتصر بالخلافة وأجلسوه لم يثبوا إلا ما يسيرة وصار يستترسل
في مجلسه غافلا ويحمل ما يوجب التيقظ والتحفظ قائلًا وفاعلا ويصدر منه
في حق أولئك القتالين أبناء حركات منطوية على انحصار قتلهم ويقول لهم أنتم
قتلتم أبي متجاهرا بانكار فعلهم فلما تكرر منه ذلك مرارا وأظهره في أقواله
وأفعاله جهارا وأهمل التيقظ والاحتراز وأعلن أسرارها وأغفل انتهاز
الفرص تأنيسا لا استبصارا ولم يضع على حركاتهم وسكناتهم من يطالعها أخبارا
أنار عندهم بالتعهد الصادر عنه داعية أعمالهم الحيلة في سرعة الخلاص منه
فاجتمعوا وهم من أعيان دولته واتفقوا على المسارعة إلى اهلاكه ومبادرته وان
يسبقوه قبل أن يسبق اليهم سيوف نومه فاستحضروا طيبية جبريل بن بختيشوع
وتنوا عليه من أمرهم سورة قصته ولما ألغوا عليه من ذلك قولاً ثيلاً وأفضوا إليه
بسرهم ليوضح لهم إلى النجى سعيهم سبيلاً وبذلوا من المال ما أحضروه لديه قدراً
جليلاً ومبلغاً جزيلاً فاجتلب اشهر عطاءهم وأجاب نداهم واستصعب
دأهم واستصوب آراءهم وحقق المال الذي بذلوه والتمز انجاز ما أمروه
وافترقوا واثقين من جبريل بسرعة سعيه فيجاسأله متحققين لما علموه من اغفال
المنتصر التيقظ والتحفظ وعقلوه انهم قد خلاصوا من شركيده وضرأيده فقتلوه
فلم يلبث المنتصر إلا أياماً حتى أحضر جبريل إليه فصدده ففصده بموضع قدسه ففات
من ليلته فانظر إلى عاقبة الاغفال ووبالها وما يجلبه ترك التحفظ والاستيقاظ

من استحالته الاحوال واختلالها ولم يبق المنتصر بعد آية الايام اقيمة فاقصته
الاعدار لتوانيه بشباك حبالها وأشرأك احتيالها
﴿ايقظ واعاظ﴾

هذا جبريل بن جحش شوع المسود وجه أمانته المفسدة عيدة ديارته الخاشن من ائمنه
على مهجته الشائن أبناء جنسه يومه خيائنه القاتل من لم يقصد أذاه الخاتل
من كساه من وارف نعمته وجداه وسقاء عن طارف خلافته وغذاه لما كفر
نعمه مولاه وأقدم على ارتكاب ما حرم الله أبى العدالة الربانية الامتثالته على
ما أتاه ومجازاته على سوء ما قدّمه يداه فعاجله الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة
بعقوبته وسواه من غيراهمال بمثل سيئته وذلك انه بعد أيام ثارت به حرارة أحوته
الى فصد ونقص دم فأحضر تلميذ له ليفصده وأخرج دست المياضع الذى له وقد
نعم الله على قلبه وفهمه لانفاذ قضائه فيه وحكمه فأخرج ذلك المياضع المسموم
الذى فصد به المنتصر معتقدا انه غيره ودفعه الى تلميذه ففصده به ذات من ساعته
فسبحان الحكم العدل الذى لا جور فى حكمه وامضائه ولا ظم فى قدره وقضائه
ولمثل هذه الواقعة قبل اياك وتقرىب من استبد به الشره وملكه الطامع واقتاده
المحوص واستحوذ عليه الشمع فان هذه الخلال ما جمعها الامن فارق الدين وفتد
الامانة وعدم المروءة وتولى بسوء العقيدة وذلك بسعته على اجابة من بذل له محبة
وعمل له من المال مطلوبه الى كل ما يحاوله منه ولو كان كفر بالله تعالى أو سفك
دم أنبيائه فيجب على ذى الالبالة العظيمة والولاية الحاكمة على الخليفة أن يهتبر كل
مقرب ليحيط بخبره ويكون على بصيرة من أمره

﴿تفهيم اهتداء وتعليم اقتداء﴾

قد يشرق نور اليتيمة من مطالع التوفيق ويتألق ضياء الفطنة فيهدى الى سواء
الطريق فيسلكه اليقظ الفطن فيغنيه عن الافتقار الى رفيق في الطريق
ويحميه عن أن تهوى به ريح الغفلة والتواني في مكان سحيق ولهذا يقال
من جرى بجوراد البقطة في حلبات الاعمال أحزق نصبات الآمال ومن اهتدى الى
جواد الفطنة من معامات الاحوال أمن قواطع الضلال ومصارع الاغتيال
فكم من فكرة تناولت يد يقطتها مرامها وطاوت بعزم فطنتها من الافلاك أوج
كيوانها وبهرامها فأدرت غاية سؤلها وبلغت نهاية مأمولها وسحبت على

آثار احتيالها لتعويها مسلكت ذلولها فتم حرامها وكل ووصلت مرادها وحصل
ودام لها ما حاولته واتصل

(الطيفة عن احتيال الحجاج)

كما نقلت السمة السلف الى اسماع الخلف من قصة الحجاج بن عكاظ السلي في
حسن تلافئه واحتياله وكان يقطعه في توصله الى تحصيل ماله وتكفيعها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأعرض بصفقة وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن عكاظ
السلي وكان أول ما قدم أسلم تلك الايام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لي بمكة
مالا عند صاحبي أم شبيهة ولي مال متفرق في تجار مكة فأنذني يا رسول الله في العود
الى مكة عني أسبق خبر اسلامي اليهم فاني أخاف ان علموا بسلامي أن يذهب جميع
مالي بمكة فأنذني لعلني أخلصه فأنذني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اني أحتاج أن أقول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت في حل قال أبو
العباس أحمد بن إبراهيم أحد رواة هذا الخبر ان هذا كلام حسن يقال للاحتيال
والتوصل الى الحق لانه من باب الفساد قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى اثنية
ثنية البيضاء وجدت بها رجلا من قريش يتبعه من الاخبار وقد بلغتهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر وكان قد عرفوا ان خيبر قرية الحجاز ريفها ومنعة
ورجالا فهم يتجسسون الاخبار فلما أبصروني قالوا هذا العمر الله عنده الخبر أخبرنا
يا حجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون النبي صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت
ايه بغني انه قد سار اليها وعندي من الخبر ما يسركم قال فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون
انه يا حجاج قال فقلت هزم هزميتم تسعوا عملها فطروا أسير محمد أسرا وقالوا لا تقتله
حتى نبعث به الى مكة فقتلوه بين أظهرهم من كان اصحاب من رجالهم قال فقتلوه
وصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تقتلوه ان يقدم به عليكم فقتل بين
أظهركم قال فقلت أعينوني على جمع مالي على غرما في بمكة فاني أريد أن أقدم خيبر
فأصيب من نفل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار الى هناك فقاموا همي فجمعوا
مالي كأحب جمع سمعت به قال وحدثت صاحبي فقلت مالي لعل الحق خيبر فأصيب
من فرض اليسع قبل أن يسبقني التجار فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وما
جاءه عني أقبل حتى وقف الى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا
الخبر الذي جئت به قال قلت وهل عندك حفظ لما أضعه عندك قال نعم قلت فاستأجر

عني حتى ألقاك على خلاء فاني في جميع مالي كاتري فانصرف عني حتى أفرغ قال
حتى اذا فرغت من جميع كل شيء كان لي عكة وأجعت على الخروج لغيت العباس
فقلت احفظ على حديثي يا أبا الفضل فاني أخشى الطالب واكنتم على ثلاثا ثم قل
ما شئت قال افعل فقلت والله اني تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملسكهم يعني
صفية ولقد افشع خير وانفعل ما فيها صاوت له ولا عابه قال ما تقول يا حجاج قلت
اي والله فاكنتم عني ولقد أسلمت وما جئت الا لأخذ مالي فراق من ان اغاب
عليه فاذا مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال حتى اذا كان اليوم
الثالث لبس العباس حلة له وتخلق واخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة وطاف بها
فلما رآوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجادل المصيبة قال كلا والذي حلفتم به لقد
اقتنع محمد خير وترك عروسا على ابنة ملسكهم واحرز أموالهم وما فيها فأصعبت له
ولا عابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم
مسلم وأخذ ماله وأطلق ليستلحق بمحمد وأصحابه ليكون معهم قالوا انزلت عدو الله
أما والله لو علمنا السكبان لنا وله شأن قال ولم ينشئوا ان جاءهم الخبر بذلك فتوصل
بينة فنته واحتياله الى مخلصه وتخلص ماله

﴿وطائفة تشديد بيان وتأكيد برهان﴾

لما جعت الاغراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحندق وقصدوا المدينة
وتظاهروا بهم في جمع كبير وجمع غفير من قريش وخطافان وقبائل العرب وبني
النضير و بني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من
المسلمين واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ما وصفه الله تعالى في قوله اذ جاءكم
من فوقكم ومن اسطفل منكم واذ زاعفت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
وتقطعون بالله الظنون هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلا شديدا فجاء نعيم بن
مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني
قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فرفني بما شئت ففعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم اما أنت فرجل واحد فذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة ففرج نعيم بن
مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديعيا لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد عرفتم
وذي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا
وغطفان ليسوا كانوا البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساءكم لا تقدر ان على

ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وعطفان قد جاؤا بحرب محمد وأصحابه وقد
 ظاهرتموهم عليه وبلادهم وأموالهم ونسأؤهم وأولادهم بغيره وأيسوا مثلكم
 فانهم رأوا نهزة أصابوها وان كان غير ذلك لم يتوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل
 ببلادكم ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم يكون
 بأيديكم نقة لكم على أن تقاتلوا محمد حتى يسأخروه قالوا أشرت بالرأي ثم أتى
 قريشا فقال لابي سفيان بن حرب وكان قائد المشركين من قريش ولمن معه من كبراء
 قريش قد عرفتم ودي لكم وفراق محمد وان قد بلغني أمر قد رأيته على حقان
 أبلغكموه فهاكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على
 ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه ان قد ندمنا على نقض العهد الذي
 بيننا وبينك فهل يرضيك أن تأخذنا من القبيلى من قريش وعطفان رجلا من
 أشرفهم فنسلهم اليك فتضرب رقابهم ثم تكون معك على ما بقي حتى نستأصلهم
 فأرسل اليهم نعم فان بعث اليكم يهود يلقسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعن
 منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى عطفان قال يا معشر عطفان انكم أصلي
 وعشيري وأحب الناس الي ولا أراكم تهملوني قالوا صدقت ما أنت عندنا بجهنم
 قال فاكتموا على ما أقول لكم قالوا نفعل ثم قال لهم ما قال لقريش وحذرهم ممثما
 حذرهم فلما كان ليلة السبت وكان من صنع الله تعالى رسوله أرسل أبو سفيان
 ورؤس عطفان الى بني قريظة ففعلوا بهم نال السناد ارمقام قد هلك الخيف والمحافر
 فأعدوا القتال حتى تسأخروا ونفرغ ما بيننا وبينه فأرسلوا اليهم في جوابهم ان
 اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ولا سنامع ذلك بالذين تسائل معكم محمد
 حتى تعطونا رهنا من رجالكم تكون بأيدينا نقة لنا حتى تسأخروا محمد افانا نخشى ان
 ضرمت الحرب واشتد عليكم القتال أن تشعروا الى بلادكم وتتركونا والرجل
 في بلدنا ولا مائة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش
 وعطفان والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لمحق فأرسلوا الى بني قريظة انا
 لا ندفع اليكم والله رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فأخرجوا فقاتلوا
 فقال بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل هذا الكلام الذي ذكره نعيم لمحق ما يريد
 القوم الا أن يقاتلوا فان رأوا فرصة انتزعوها وان كان غير ذلك انشعروا الى بلادهم
 وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فأرسلوا الى قريش انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا

رهنافأبو عليهم وخذل الله يديهم وأرسل الله عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن ألهم نعيم بن عيسى هذه القطة وهديا إلى القطة التي علمت نفعها وحسن وقعها

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ من الجواهر المشوية ونوادير الحكام المأثورة (منها) من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أيسر عدو ومن كيدته أن وقطع عنه أطماع المساكين (ومنها) من أيقظ (ومنها) القطة حارس لا ينام وحافظ لا يسام وحاكم لا يرتشى فمن تدرج بها أمن فيما استيقظ له من الاختلال والضياح وان يحيا رفيه عليه (ومنها) ما استظهره عبود المرقع عليه بأعظم من توان دائم مجيده فيه وغفلة مستقرقياً نس بها واستقبال اعياء التحرر والتحفظ واهمال الفرص في أوقات انتهازها (ومنها) من احتجب عن وفود القطة اذن في ورود النعم ومن استعذب راحة الغفلة تجرع مرارة الندم ومن استفرش شدة التواني فسيتبطن مشقة الالم ومن استصوب مصاحبة الاهمال فسوف يرث به القندم

﴿الباب التاسع في العفو واصطناع المعروف﴾

العفو عن أرباب الهفوات والتجاوز بأقالة العثرات والحلم عن حقير الزلات والصنيع عن ذرى الهيثات وإسداء الاحسان وفعل الخيرات واصطناع المعروف لا سيما إلى أهل الدرايات كل ذلك معبود من محاسن الحسنات ومكارم الاخلاق التي هي صفة الصفات وقد نطق بذلك القرآن الكريم في كثير من الآيات وصبرحت به السنة النبوية على السنة الرواة الثقات قال الله عز وجل وان تعفوا أقرب للتقوى وقال تعالى والبالكاظمين الغلظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى وليعفوا وليسفهوا لا تحبون أن يسفركم الله الله عفون رحيم وقال تعالى فيما رجعت عن الله انت لهم ولو كنت فظا غليظ الغالب لا نقضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وقال تقيس اسمه بخاطبي نبيه خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون ونقل أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة قلت يا جبريل لمن هذه قال لكاتبان من الغنم والعافين عن الناس وقال أبو هريرة رضي الله عنه يديعاري رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما قال اذخحك حتى يدت ثناياه فغسل له في ذلك ثم تحك يا رسول الله قال

وجلان من أمتي جنباً بين يدي ربي فقال أحدهما يا رب خذني مظلمتي من أمتي فقال
 الله تعالى أعطاك مظلمته فقال يا رب ما بقي من حسناتي شيء فقال يا رب فليحمل
 من أوزاري ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن ذلك اليوم
 ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم أوزارهم ثم قال قال الله تعالى
 للطالب عقه ارفع بصرك إلى الجنة فرفع رأسه فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة
 فقال لمن هذا يا رب فقال لمن أعطاني ثمنه قال ومن ذلك قيمته يا رب قال أنت قال
 بماذا قال بعفوك عن أخيك قال يا رب قد عفوت عنه قال فنيبده وادخل
 به إلى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتقوا الله واعلموا ذات بينكم
 وقال تعالى فن عفي وأصلح فأجره على الله ونقل أيضاً أبو هريرة أن أبا بكر الصديق
 رضي الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقام رجل فوقع في
 أبي بكر رضي الله عنه وهو ساكت والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسّم ثم رد عليه أبو
 بكر رضي الله عنه بعض الذي قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام فلحقه
 أبو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله شتمني وأنت تتبسّم ثم رددت عليه بعض
 الذي قال فغضبت ووقف فقال صلى الله عليه وسلم حين كنت سائلاً ما كان لك برد
 عليه فلما تسكّنت وقع الشيطان ولم أكن لأقعدني مقعد فيه الشيطان يا أبا بكر
 ثلاثة حق أن ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها إلا أعزه الله ونصره وليس عبد يفتح
 باب مسألة يريد كثرة الأزداء الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة إلا زاده
 الله بها كثرة وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه لما سمعني رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إلى اليمن قال ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالعفو فلو لا علمي بالله لظننت
 أنه يوصيني بترك الحدود وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا كان يوم القيامة
 نادى مناد ألا يقم من كان له أجر على الله تعالى فلا يقوم إلا من عفا وروى عنه
 صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العباد أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك
 وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم أتى جبريل عليه السلام بكارم الأخلاق
 في الدنيا والآخرة فلما همى يا رسول الله قال قول الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف
 وأعرض عن الجاهلین * ودخل معن بن زائدة على معاوية فقال له يا معن كيف
 حبك لعلي بن أبي طالب فقال أحبه على وجوه كثيرة على حمله إذا غضب وعلى
 صدقه إذا قال وعلى وفائه إذا وعد وعلى عفوه إذا قدر وأن رضي لا يخرج رضاه إلى

الباطل وان غضب لا يخرج منه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وكان معاوية يقول اني لا تشاء ان يكون في الارض جاهل لا يسمع مني وذنب لا يستغفره عفوئى وماجة لا يسمعها جودى

﴿بداية وعداية﴾

في جواهر الانوار وخبايا الاخبار ما شئت اجمع ذوى الاستبصار ورفقا الى ارتقاء منازل اهل الفخار فانه يقال من اقتدى بعلوم الحكمة في اقتناء الخلاق الرضية واهتدى بنجوم العظمة في اقتفاء المراتب المضيئة كان خليفة ان يوصف بالنفس الزكية والشهنة الاسمية وجديرا ان يعرف بالسيرة النورية والهمة العلية كانه عن المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور في الاتفاق بعفوه وحلمه انه لما خرج معه ابراهيم بن المهدي عليه وياضه العباسيون بالخلافة بعد ادونه المأمون وكان المأمون اذ ذاك بخراسان فلما باعه الخبر قصد العراق فلما دخل بغداد اختفى ابراهيم بن المهدي وهاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المأمون ولم ير المأمون متعلبا لابراهيم حتى اخذته مستقبلا مع نسوة فجلس ثم احضر حتى وقف بين يدي المأمون فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال له المأمون لاسم الله عليك ولا قرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثت نفسك بما تقطع دونه الا وهام فقال له ابراهيم مهلا يا امير المؤمنين فان ولى النار يحكم في القصاص والنه والنفوس اقرب للتقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعلى السياسة ومن تناوله الاغترار بما مثله من اسباب الرجا امن عادية الله على نفسه وهيمته به الايام على التلف وقد جعلك الله فوق كل ذنب كما جعل كل ذنب دونك فان اخذت فيعتك وان عفوت فبفضلك والفضل اولى بك يا امير المؤمنين ثم قال

ذنبى اليس لك عظيم * وانت اعظم منه
نفسك بحقك أولا * فاصف بعفوك عنه
ان لم اكن في فعلى * من الكرام فكأنه

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع في عينه وقال يا ابراهيم القدرة تذهب بالحفيظة والندم توبة ويذهب ما عفو الله وهو اعظم مما يحاول واكثر مما يؤمل ولقد حسب انى العفو حتى خفت ان لا اوجر عليه لا تريب عايتك ورد أمواله جميعها اليه فقال فيه غنا طبا

رددت مالي ولم تمن علي به * وقبل ردك مالي قد حقت دمي
فان جددت مالي اوليت من كرم * اني لباللوم اولى منك بالكرم
﴿تأ كيديسان وتجد يد برهان﴾

من قابل المكروه بالعفو والزلة بالحلم والاساءة بالاحسان والسيئة بالغفران فقد
أوطأ أخص قدمه قة أوج السيادة وأعطى نفسه بشرها بأن لها الحسنى وزيادة
وكان في أول جريدة الاعتبار إذا عُد أهل السعادة وقد صدع لسان النقل فأسمع
وفرع فن الرواية تأنيع وطلع نجم الاستاد فطلع وتابع طريق الاخبار فالتقط
﴿ان معاوية﴾ لما ولي الخلافة وتفق حطب اخلافها وتفق نصب انصارها
ومرق سرب اخلافها وفرق عصب اسرافها وانتظمت لديه الامور وامتلأت منه
الصدور وأذن امره الجمهور وساعفه في مراده القدر المقدور استخضر لديه
خواص أصحابه المنتظمين في سلك مساعدته على محابه وذاكرهم وقائع أيام صفين
ومن كان يتولى كبر الكرم ففهم من المعروفين وانهم كوا في القول الصحيح والمريض
وسلكوا شعبة في اليفاع والمضيض وآل حديثهم بعد التصريح والتعريض الى
من كان يجتهد في ايقاد نار الحرب عليهم زيادة التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة
تسمى الزرقاء بنت عدى كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة
بأصحاب على سمعة اياهم كلاما كالصوارم لوسمعه الجبان لقاتل والمدير لا قبل
والمسلم محارب والفارس كروا بالترزول لاستقر فقال لهم معاوية بدأ يكيف حفظ كلامها
فقالوا كلنا نحفظه قال ما تشيرون على فيها قالوا نشير بقتلها فانهم أهل لذلك فقال
معاوية بسمما أشرتم به وقبحا لما قلتم أحسن أن يشترعني اني بعد ما طربت وقد رت
أقتل امرأة وقت لصاحبها اني اذ اللئيم لا والله لا فعلت ذلك ثم دعا بكتابه فكتب
كتابا الى واليه بالكوفة أن أوفد الى الزرقاء بنت عدى مع نفر من عشيرتها وفرسان
من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبها كاذولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها
وأقرأها الكتاب فقالت ما أنا بزاينة عن الطاعة فان كان أمير المؤمنين جعل
الاختيار الى لم أبرح من مكاني وان كان حتم الامر فالسمع والطاعة ففعلها
في هودج وجعل غشاءه خوام بطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية
قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك يا خاله وكيف مسيرك
قالت خير مسير كاني كنت ربيبة بيت أوطفلا في مهد فقتل بذلك أمرتهم فهل

تعليمين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله قال ألتست الراكبة الجبل الا جريوم
صغين وأنت بين الصغين توقدين الحرب وتحضين على القتال قالت بلى قال فما
جلك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين أنه قد مات الرأس وبئر الذنب والدمر ذو غير
ومن تفكر أبصر والامر يحدث بعده الامر فقال صدقت فهل تحفظين شيئا
من كلامك قالت لا والله قال لله أبوك لقد سمعتك تقولين أيها الناس انكم
في فتنة غشتكم جلايب الظلم وجارت بكم عن قصد الحجة في الهافتة عجماء صماء
لا يسمع لقائلها ولا يتقادلسا نفعها أيها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس وان
الكوكب لا يبرق مع القمر وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا بالحديد
الامن استرشد أرسدناه ومن سأل أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالته فأصابها
فصبر يا معاشر المهاجرين والانصار فكان قد التأم شعب الشتات وظهرت كلمة
العدل وغلب الحق باطله فانه لا يستوى الحق والمبطل أخن كان مؤمنا كن كان
فاسقا لا يستوون فنزال النزال والصبر الصبر فعن كتب يدع الاقدام ويذم الاجسام
ولا يجعلن أحدكم يقول كيف ذلك ليقضى الله أمرا كان مفعولا ان خضاب النساء
الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الامور عاقبة أيها الى الحرب غير
نا كصين فهذا يوم له ما بعده يازرقاء أليس هذا قولك وتحريضك قالت قد كان
ذاك قال لقد شاركت عليا في كل دم سفكه فقتلت أحسن الله بشارتك
يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من بشر بخير وسر جليسة فقتل لها وقد
سرتك ذلك قالت نعم والله سرتني قولك وان لي بتصديقه فقال معاوية والله لو فاؤكم
له بعد موته أحب الي من حبكم له في حياته اذ كرى حاجتك لتقضى قالت يا أمير
المؤمنين اني آليت على نفسي أن لا أسأل أحدا أعنت عليه شيئا قال قد أشار
علي بعض من عرفك بقتلك فقتلت لؤم من المشير ولو أطعمته لشركته قال
كلا بل نعوذ عنك ونحسن اليك ونزعاك فقتلت كرم منك يا أمير المؤمنين
قتلك من قدر فعفا وتجاوز عن من أسأ وأعطى من غير مسئلة وجاد من غير طلبه
فقتل صدقت ثم أعطاها كسوة ودرهم وأقطعها ضيعة تغل لها في كل سنة
عشرة آلاف درهم وأعادها الى وطنها وكتب الى والي الكوفة بالوصاة بها
وبعشرتها (وقيل كان) لعبد الله بن الزبير أرض وله فيها عبيد يعملون بها فدخل
عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا الى معاوية يقول

فيه أما بعد يا معاوية فإن عبيدك قد دخلوا في أرضي فأنهم عن ذلك والا كان لي ذلك شأن والسلام فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه دفعه إلى ولده يزيد فلما قرأه قال يا بني ما ترى قال أرى أن تبعث إليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عنده يا بؤس برأسه فقال أخير من ذلك يا بني ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير فقال وقت على كتاب ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله في مسأله والدنيا بأسرها هينة في جنب رضاه وقد كتبت على نفسي صكبا بالارض والعبيد وأشهدت على نفسي بذلك فليستضغهها مع عبيدها إلى أرضه والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب معاوية كتب إليه وقت على كتاب أمير المؤمنين أطل الله بقاءه ولا أعدمه هذا الرأي الذي أحله من قريش هذا الخلل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله وقرأه رعى به إلى ابنه يزيد فلما قرأه أسفر وجهه فقال له يا بني من عفا سادوه من حلم عظم ومن تجاوز استمال القلوب فاذا بليت بشئ من هذه الأدواء فداوه بتدليل هذا الدواء

استبصار مهتد واعتبار مقتد

قد تعظم جريرة المسي في القلوب ويتعاقم ذنبه في النفوس فلا يرجي له عفو ولا يتوقع عنه صفح فاذا أقيم مقام الانتقام منه وتحكمت فيه يد الاقتدار عليه أنطق الله جل وعلا لسانه بما يرغب المتتقم منه في العفو عنه ويرى بما يزيد على العفو والصفع عن جرمه بالأحسان إليه والرعاية له كما جلت بطون الصفائف إلى الخوفا من أخبار من سلك من الخوفا فان الرشيد بن المهدي خرج عليه خارجي رام زوال ملكه وافساد دولته فجهز له جيشا وأنقض الناس والجند للخروج لقتاله فلما توجه الجيش إليه وظفروا به أحضره إلى دار الخلافه فلما دخل على الرشيد قال له ما تريد أن اصنع بك قال له اصنع بي ما تريد ان يصنع الله بك اذا وقت بين يديه وهو قادر عليك منك على فأطرق الرشيد مليا ثم رفع رأسه وأمر بأطلاقه فلما خرج قال بعض الحاضرين يا أمير المؤمنين تقتل رجالك وتقتل أموالك وتظفر بهذا الذي خرج عليك وأفسد في بلادك وتطلقه بكلمة واحدة تأمل يا أمير المؤمنين هذا الأمر فانه تجري عليك أهل الفساد فأمر الرشيد برده فلما عاد ومثل بين يديه علم انه قد سعى به وأشير على الخليفة بقتله فقال يا أمير المؤمنين لا تطع في مشيئتي عفوأتدخر به عند الله يد أو يبعثك على الانتقام الذي ليس

من مكارم الاخلاق واقتدى بالله تعالى فانه لو اطاع فيك مشير الماساختلفك طرفه
عين واحسن كما احسن الله اليك فأمر باطلاقه واحسن اليه وقال لا تعاودوني فيسه

﴿حكاية عن المنصور﴾

ومن قبيل ذلك ما سمي نظم في سلك هذا الاستبصار ويندرج تحت هذا الاعتبار
ما نقل عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رأيت وحلا أربط جاشا ولا أنبت
جنانا من رجل رفع عليه وسعي به الى المنصور ان عنده ودائع واموالا لبني أمية
فأمرني باحضاره اليه فأحضرتة وودعته به عليه فقال له المنصور قد رفع اليك
خبر الودائع والاموال التي لبني أمية عنده فخرج اليها منها واحضرها ولا تكتم
منها شيئا فقال يا أمير المؤمنين أنت واثرت بني أمية قال لا قال فوصي لهم في أموالهم
ورباعهم قال لا قال فما سألتك عما في يدي من ذلك قال فأطرق المنصور يفكر
ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بني أمية ظلموا المسلمين وأنا وكيل المسلمين في حقهم
وأريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فأجعل في بيت المال قال يا أمير المؤمنين فتحتاج
الى اقامة بينة عادلة على أن ما في يدي لبني أمية مما خانوه وظلموه فان بني أمية قد كانت
لهم أموال غير أموال المسلمين قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال
يا ربيع ما أرى الشيخ الا قد صدق وما يحب عليه شيء ولا يسعنا الا أن نعفو عما قيل
عنه ثم قال لي هل لك من حاجة قلت نعم حاجتي أن تنفذ كتابا على البريد الى أهلي
ليسكنوا والسلامتي فانهم راعهم اشخاصي اليك وقد بقي لي حاجة أخرى يا أمير
المؤمنين قال قل لنقضها لك قال تجمع بيني وبين من سعي اليك في فوالله ما لبني أمية
في يدي مال ولا وديعة ولا سكني لما كنت بين يديك وسألتني عما سألتني عنه قايت
بين هذا القول الذي ذكرته الآن وبين ذلك القول الذي قبلته أولا فرأيت ذلك
أقرب للخلاص والنجاة فقال يا ربيع اجتمع بيني وبين من سعي به فجمعت بينهما
فلما رأه قال هذا غلامي ضارب على ثلاثة آلاف دينار من مالي وأبق مني وخاف مني
الطلب له فسعي في فشد المنصور على الغلام وخوفه فأقر بأن غلامه وأنه أخذ
المال الذي ذكره وسعي به كذب عليه خوفا من أن يقع في يده فقال المنصور للشيخ
أشترى أن تعفو عنه قال قد عفوت عنه وأعتقته وقد وهبت له الثلاثة آلاف دينار
التي أخذها وثلاثة آلاف دينار أخرى أدفعها له فقال له المنصور ما على ما فعلت
من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين ان هذا كله لقليل في مقابلة كلامك لي وعفوك عني

يا امير المؤمنين ثم انصرف قال اربيع فسكان المنصور يتعجب منه كما ذكره ويقول
ما رأيت مثلي الشيوخ اربيع

﴿موعظة بليغة لمن الحكام على تطاع احوال رعاياهم﴾

ومما يطرب الفطنة ويهتدب رفضه ويتعين على ذوي الدراية واليقظة حفظه ما يجمع
أشتات من الفوائد ويمرغ آباءا الى المقاصد ويطوق أجياد القدير بقرائد
القلائد ويحقق لذوى الفكر أن نصح أولى الامر من أعظم القواعد وهو ما جرى
للخليفة المنصور المسد كور بمكة حوسه الله تعالى وتفيض ذلك أن المنصور كان
يطوف بالكعبة ليلا إذ سمع قائلا يقول اللهم اني أشكوك اليك ظهور البغي والفساد
في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع نخرج المنصور وجلس في ناحية
المسجد وأرسل الى الرجل يدعو فضلي ركعتين واستلم الركن ثم أقبل مع الرسول
فسلم عليه بالخلافة فقال له المنصور ما الذي سمعتك تقول وتذكر من ظهور البغي
والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فوالله لقد عشت مسامحي
ما أرمضني قال يا امير المؤمنين ان أمتني أنباءك الامور على جليتها وأصولها
والأجادل عن نفسي قال له المنصور أنت آمن على نفسك فقال ان الذي دخله
الطمع حتى حال بينه وبين اصلاح ما ظهر من البغي والفساد أنت قال ويحك وكيف
يدخلني الطمع والبغضاء في قبضي والحواء والحماض عندي قال وهل دخل أحد
من الطمع ما دخلك ان الله تعالى استرعاك المسلمين واموالهم فجعلت بينك وبينهم
حجابا من الجبس والأتربة وأبوابا من الحديد وجبهة معهم الاسلحة وأمرتهم أن لا يدخل
عليك الاقلان وفلان سميتهم ولم تأمر يا بصال الملهوف ولا المجائع ولا العاري
ولا الضعيف ولا الفقير وما أحد الا وله في المال حق فلما رأك هؤلاء النفر الذين
استخلصتهم لنفسك وأمرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يجمعوا عندك تحبي الاموال فلا
تطغيها وتجمعها ولا تقسمها فالوا هذا خان الله خالنا لا نخونه وقد سخر لنا نفسه
فانفقوا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس الا ما أرادوا ولا يخرج لك عامل
فيخالف أمرهم الا أقصوه ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما الله هز ذلك عندك
وعنهم غناهم الناس وها هو هم فسكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال
ليتقوا بها على ظلم رعيتك لينا وابه ظلم من دونهم فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا
وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاؤك في سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم جيل بينه

و بين الدخول عليك فان اراد رفع قصة اليك عند ظهرك و جلدك قد نسيته عن ذلك و وقت رجلا متطرف في مظالمهم فان جاء ذلك المظلوم الى الرجل و بلغ بظلمته سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته فان المتظلم منه له بهم حمة فأجابهم خوفا منهم فلا يزال المظلوم يتخلف اليه ويلوذ به ويستكبر ويستغيث وهو يدافعه ولا يقبل عليه و اذا جهدوا اضطر و اخرج وقت و صرخ بين يديك فيضرب ضربا شديدا عبرجا ليكون نكالا لغيره و أنت تنظر ولا تنكر فبا بقاء الاسلام على هذا و قد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى الصين فقدمت مارة وقد أصيب ملكها بسهمه فمكي بكاء شديدا فعزاه بعض جلسائه فقال اما اني لست ابيكي على ما نزل بي من ذهاب سعي وليكنني ابكي المظلوم يتقف يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال اما ان ذهاب سعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس أن لا يلبس ثوبا احمر الا متظلم ثم صار يركب القيسل طرفي النهار ويستظهر هل يرى مظلوما فهدأ مشرك بالله تعالى غلبت رافقه بالمشركين شمع نفسه و أنت تؤمن بالله واليوم الآخر ثم من يدت رسول الله صلى الله عليه وسلم غلبت شمع نفسك فان كنت اتما جمع المال لولدك فقد اراك الله في الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الارض مال ومال الا و دونه يد شهجة تحويه فما يزال الله جلّ وعلا يلطف بذلك الطفل حتى يعظم رغبة الناس اليه و لست الذي يعطى بل الله يعطى من يشاء بغير حساب وان قلت انما أجمع المال لتشديد السطان وتقويته فقد اراك الله تعالى بنى أمة ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والكرراع والسلاح حين أراد الله بهم ما أرادوا و ان قلت انما أجمعه لطالب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه منزلة الامنزلة لا تنال الا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك بأكثر من القتل أو الصاب قال المنصور لا قال فكيف تصنع يا أمير المؤمنين يوم القيامة عند لقاء الله عز وجل الذي خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه من عبيده وعمل بخلاف ما أمر به في كتابه بالقتل ولكن يعاقبه بالخود في العذاب الاليم وقد ترى ما عقد عليه قلبك وحاته جوارحك ونظر اليه بهرك واجترحتك يدك ومشت اليه قدمك هل يغني ما شحبت عليه من ملك الدنيا اذا انتزعه من يديك ودعائك الى الحساب على ما خولك فلما اتم الرجل كلامه والمنصور يتململ منه بكاء شديدا ثم قال يا ليت المنصور

لم يخلق ثم قال للرجل يا ويحك كنت افسرك في الانتقام منك على ما جئتني به
والآن فقد رأيت العفو عن مقاتلك لصدق مقصدك أولى وشكرك على نهيك
أحمد فكيف احتيالي لنفسى والسلامة مع مؤاخذة الله تعالى على ما أوضحته
فقال الرجل يا أمير المؤمنين ان للناس أعلا ما يفزعون اليهم في دينهم ويرضون
بقولهم فاتخذهم لك بطانة يرشدوك واستعن بأدبهم وأقوالهم يسددوك قال
المنصور قد بعثت اليهم فهرجوا مني قال الرجل خافوا منك ان تجعلهم على طريقتك
فلم يرضوا بها ولكن افتح باب مجلسك وسهل جبابك وانظر في أمور الناس وانصر
المظلوم واقع الظلم وخذ النية والاموال مما حل وطاب واقسم ذلك بالحق والعادل
على أهله وأنا الضامن لك انك اذا فعلت ذلك ان يأتوك ويساعدوك على صلاح
الامة فيمنعها هو والرجل في الحديث دخل المؤذنون فسلموا عليه للصلاة فقام وصلى
فلما فرغ من صلاته وعاد فطلب الرجل فلم يجده فساير المنصور بعد ذلك يذكره
ويقول اذا ذكره كرهت كلامه ثم جددته وانتفعت به

﴿تذليل اشارة وتسهيل عباؤه﴾

اذا اراد الله أمرا هيا أسبابه وفتح أبوابه وأوضح صوابه ومنع اكسابه وقابله
القلوب النافرة عنه فآثرته وجذب اليه النفوس الحاذرة منه فبأثرته حتى يصدر
ذلك المصدور على خلاف طباع مصدرة ويحصل منه ولو فعله غيره لاستحق
الانكار عليه في نظره كل ذلك لانقاذ الله تعالى في عبادته حكم قضائه وقدره

﴿بديعة عن الحجاج﴾

﴿هذا الحجاج﴾ بن يوسف الثقفي كان قد جمع خلاا قبيحة ظاهرة وباطنة من دمامة
الصورة وفتح المنظر وقساوة القلب وشراسة الاخلاق وغلظ الطبع وقلة الدين
والاقدام على انتهاك حرمة الله تعالى حتى حاصر مكة حرسها الله تعالى وهدم
المكعبة وزماها بالمنجنيق وبالنفط والنار وأباح المحرم فسفك وهتك وقد قيل ان في
مدة ولايته قتل ألف ألف وستمائة ألف مسلم ومات في حبوسه ثمانية عشر ألف
انسان وكان لا يرجو عفو الله ولا يتوقع خيره وكانه قد ضرب بينه وبين الرحمة والرأفة
بسور من فظاظه وغلظته وقساوة ومع ذلك فقد رقق الله قلبه وألان عريته
وألهمه ما خالف محييته وباين عادته فانه في واقعة يزيد بن شبيب الشيباني لما خرج
في أيام عبد الملك بن مروان بالعراق فظفر به الحجاج وبأصحابه جعل يقتل كل مقدور

عليه منهم فلما كان آنرا لا مرقدم اليه رجل منهم له سميت ورواء وهشة فلبسهاهم الحجاج
بقائه سمع ضجة بالباب فقال لحاجبه ما هذه الضجة قال نسوة في الباب يسألن الدخول
على الأمير فقال الحجاج ائذن لهن بالدخول فدخلن وهن ثلاث وعشرون امرأة
كلهن أهل بيت هذا الرجل الذي هم الحجاج بقائه فقال لهن الحجاج ما حاجتكن
فتقدمت امرأة منهن فقالت أصلي الله الأمير أن رأيت أن تجود بإسماعيل ما أقول
فقال لها قولي ما أحبت فقالت

أحجاج أما أن عن بستره * علينا واما أن تقتلنا عما
أحجاج لو شئت هدمت ما بناه * وعصاته يندبته الليل أجمع
أحجاج لم تجمع به من نسائه * ثمانا وتسعا وأربعين وأربع
فن رجل دان يقوم مقامه * علينا فهلا لا ترذنا تضعضها

ففرق الحجاج لقولها ووجد رقة عليهن وعقاعته وأطلقه وزاد في عطائه مائة دينار
وكتب كتابا إلى عبد الملك يذكر له خبره وخبر النسوة والمرأة وشعرها وأنه قد رقي لهن
وأطلقه وزاد في عطائه مائة دينار فكتب إلى عبد الملك يبعده على ذلك وأمره أن
يزيده مائة دينار أخرى في عطائه فصارت له زيادة ثمان زيادة الحجاج وزيادة عبد
الملك وصار الحجاج يرعاه ويسأله كل وقت عن النسوة وهذه الحالة الصادرة عن
الحجاج من غرائب أخباره وعجائب آثاره لسكن جذبه الله تعالى إلى فعلها بأزمة
أقداره * وحيث انتهى القول في العفو والحلم والتجاوز والصفح إلى هذا المقام فلا
بد من اتمام وظيفة هذا الباب بذكر نبذة من القول في اصطناع المعروف والدفاع عن
المهوف فإن خبر فعله فأرض وخير وأوبه مستفيض وحوض نفقه مفعم وروض فضله
أريض ومقام مكتسبه من التوفيق يفاع ومقام محبته حضيض وفي الآيات
والاحاديث من الدلائل المرغبة ما فيه باعث وحض وتضرير فان اسداء المعروف
واعانة المهوف من احسن الاحسان وأي عمل خير من خبره يكتب في صحيفة
الانسان وقد قال الله عز وجل وما تعالوا من خير فان تكفروه وقال تعالى ان
احسنتم احسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها وقال تعالى ان الله مع المحسنين وان الله
لا يضيع أجر المحسنين وقال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو
خير وأعظم أجرا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أهل المعروف في
الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأنه قال اصطناع المعروف يقي مصارع السوء

وانه عليه السلام قال من بسط يده بالمعروف اذا وجد خلف الله عليه في دنياه وضاعف له الاجر في الآخرة ونقل عن المسيح بن مريم عليه السلام انه قال لأصحابه استكثروا من شيء لا تأكله النار قالوا وما هو يا روح الله قال المعروف وقد قيل ان كعب الاحبار كان عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو ينشد هذا البيت

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس
فقال له كعب يا أمير المؤمنين ان هذا الذي قمته فيما أنزل الله في التوراة على موسى بن عمران عليه السلام فان في التوراة يقول من يصنع الخير لا يضيع عندي لا يذهب العرف بيني وبين عبدى

﴿تمهيد قاعدة وتحديد فائدة﴾

من مديد تطلعه الى اقتطاف ثمار الاخبار وجد تجديقه في استعراف أسرار الآثار وردد انسان ناظره الى استجلاء ما أسفرت عنه وجهات الاسفار وشدت وسط عزمه لاجتناء الفوائد الملتصقة من جهات الاسفار كان خليفاً أن يحصل منها على غرائب يفتح لها أبواب المسامع وجديراً أن يتغل عنها عجائب يطرب عند ذكرها كل سامع لاسيما فيما يستعبد حراً ويخلد ذكرها ويستجد شكراً ويستدفق رويداً عسراً ويفيد سراً ويمد الى اكتساب مكارم الاخلاق جسراً فن ارتدى بجلبابها واهتدى بأسبابها واقتدى بأربابها ففتح معروفها وأفرح ملهوها وكشف مخوفها وصرف عن أبناء جنسه خوفها فقد أسجل له حاكم فعله بشرف أصله وأدخله المعروف في زمرة أهله وفضله التوفيق على غيره لما أتاه الله من فضله ولا بد لمن احب الارتداء برداء السعداء والاقتران بما اعتمده من الاسداء والاهتداء بنور أفعالهم في الاعادة والابداء من أن يقع لهم على وقائع كرائم اعتمدها وصنائع معروف رقدوها وطرائق خيرات قصدها وحقائق مروآت وجدوها ومن نظمها في قلائد الاعناق وقلدها واحسان استرقوا به رقاب الاحرار فاستعبدوها فانه يقال من نسج على منوال رآه فقد أصاب ومن ابتهج قصده منال خدامه فخاب وهذه نكت صنائع التي القدر الاستدلال بها في هذا الباب وصور وقائع برزت من حجابها ليدكرها اولو الالباب

﴿غريبة عن واقعة يزيد بن المهلب﴾

(فنها) واقعة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة فان المحجاج اخذه وعذبه وقصده

واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تطفه ودخل فيمما جعله الله نجاة
 من تطفه وأرغب السجبان وتحدث عليه واستماله اليه وهرب هو والسجبان وقصد
 الشام الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة ذلك الوقت الوليد بن عبد
 الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه
 عنده فكتب المحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وهو عند سليمان بن
 عبد الملك أخى أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وأمير المؤمنين أشعل رأيا فكتب
 الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يا أمير المؤمنين انى اغنا
 أجرت يزيد بن المهلب لانه هو وأبوه وأخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجروا
 لا أمير المؤمنين وقد كان المحجاج قصده وعذبه وأغرمه أربعة آلاف درهم
 طلبا ثم طاله بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار هذا الرجل الى مستحبرا
 فأجرتة وأنا أغرم عنه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يخزى
 فى ضيفي فعل منعهما فكتب اليه الوليد انه لا بد أن تنفذ الى يزيد مقيدا مغلولا فلما
 ورد ذلك على سليمان بن عبد الملك أحضر ولده أيوب فقيده ودعا يزيد فقيده ثم شد
 قيدهما الى قيدهما بسلسلة وغلما جميعا بغلن وجلهما الى الوليد وكتب اليه
 أما بعد يا أمير المؤمنين فاني قد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد
 هممت أن أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالحق عليك ابدأ
 بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلنى اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد
 ابن المهلب وأيوب بن سليمان عليه في سلسلة واحدة أطرق واستحميا وقال لقساأنا
 الى سليمان اذ بلغنا به هذا المبلغ فأراد يزيد ليتكلم ويخج عن نفسه فقال له الوليد
 ما تحتاج الى كلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم المحجاج ثم أحضر حدادا وأزال عنهما
 الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب بن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن
 المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى المحجاج يقول له
 لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فإياك أن تعاودنى فيه بعد اليوم فصار يزيد الى
 سليمان بن عبد الملك بن مروان فى أعلى المراتب وأفضل المنازل وينظم فى سلك هذه
 الواقعة ويقرب منها واقعة الكوفة مع معن بن زائدة

﴿لطيفة وهي واقعة الكوفة مع معن بن زائدة﴾

وتلخيص معناها ان الخليفة المهدي بلغه عن انسان من أهل الكوفة انه سعى في

فأمددته فأهدر دمه وجعل لمن دل عليه أو جاء به مالا جزيلا وأقام الرجل مدة متوار بالانظر عذابة الهلاك فلما طالت الأيام عليه ظهر يوم بغداد فبينما هو عشي في بعض نواحيها به رجل من أهل الكوفة فصرعه فأخذ بمجامع ثوبه وقال هذه بغية أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحال إذ سمع وقع الخوافر من وراءه فالتفت فإذا من وراءه فقال يا أبا الوليد أخرجني أجازك الله فوقف وقال للرجل الذي دلى به ما شأنك قال بغية أمير المؤمنين فإنه أهدر دمه وجعل لمن دل عليه مالا جزيلا فقال من غلبته أنزل عن دأبك واجل الرجل عليها فصاح الرجل به بالناس أجهل بي وببين طلبه أمير المؤمنين فقال من أذهب وخبره أنه عندي فأنشأ الرجل إلى باب دار المهدي وأخبر الحاجب فأخبر المهدي فأمر بإحضار من فأنشأ الرجل فأحضر أهل بيته وقال لا تخلص إلى هذا الرجل وفيكم عين تطرف ثم ركب وسار إلى المهدي فدخل عليه وسلم فرد سلامه وقال يا معن أخرجني على قال نعم يا أمير المؤمنين قال المهدي ونعم واشتد غضبه فعمال بأمر المؤمنين قتلت في اليمن في يوم واحد في طاعتكم خمسة عشر ألفا إلى أيام كثيرة قد تقدم فيها بلأني وحسن عنائي فسار يتوفي أهلا لأن يوهب لي رجل واحد استجارني فأطرق المهدي طويلا ثم رفع رأسه وقد سري عنه وقال قد أجزأ من أجزت ووهبناه لك فعمال معن إن رأي أمير المؤمنين أن يصله فكون قد أحياه وأغنائه قال قد أمرنا به بخمسين ألف درهم قال فبأمر أمير المؤمنين بتجهيزها فأمر بذلك فأحضرت فأنصرف معن إلى الرجل بالسأل وأضاف من عنده كسوات ودفع الجميع إليه وقال خذ هذا والحق بأهلك وإياك ومخالفة خلفاء الله تعالى

بغربية ومن غرائب هذا المطلوب وعجائب هذا الاسلوب

ما أورده محمد بن القاسم الأنباري رحمه الله تعالى أن سوارا صاحب رجة سوار وهو من المشهورين قال أنه صرقت يوما من دار المهدي فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية لي أحادتها وأشتغل بها فلم تطب نفسي ودخلت وقت القاتلة فلم يأخذني نوم فنهضت وأمرت ببيعتي فأسرجت وأحضرت فركبتها فلما خرجت استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ما هذا فقال ألقاهم جديتها من مستهلك الجديدي قلت أمسكها معك واتبعني قال نفلت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم عبرت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت إلى الجبراء

ثم رجعت الى باب الانبار فانتهيت الى باب دار لطيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فوقفت وقد عطشت فقلت للخادم عندك ماء تسقيني قال نعم وقام فأخرج قلة نظيفة طيبة الرائحة علمها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجداً على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذا أنا بأعشى يتلمس فقلت ما تريد يا هذا قال اياك أريد قلت وما حاجتك فجاء حتى قعد الى وقال شمت منك رائحة طيبة فظننت انك من أهل النعم فأردت أن ألقى اليك شيئاً فقلت قل قال ترى باب هذا العصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عن النعم التي كافها وبعيت فقدمت هذه المدينة فأبقت صاحب هذه الدار لاسأله شيئاً يصلني به وأستوصل به الى سوارفانه كان صديقاً لابي قلت ومن أبوك قال فلان بن فلان قال فاذا هو أصدق الناس كان لي فقلت له يا هذا فان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه النوم والطعام والقرار حتى جاء به فأقعدته بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان غد فصرت الى منزلي ثم مضيت فقلت ما أحدث أمير المؤمنين المهدي بشيء أطرف من هذا فأدبته فاستأذنت عليه فأذن لي فلما دخلت عليه قد نسي فأعجبه فأمر لي بألف دينار وقال ادفعها الى الأعشى فنهضت فقال اجلس أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألف درهم فأمسك وجعل يحادثني ساعة وقال امض الى منزلك واذا بخدماء معك خمسون ألفاً وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض به ساديتك قال فتمضيت ذلك منه فلما كان من الغد أبطأ على الأعشى وأتاني رسول المهدي يدعوني فجئته فقال فذكرت البارحة في أمرك فقلت يقضي دينه ثم يحتاج الى القروض أيضاً ثم أمرت لك بخمسين ألف درهم أخرى قال فتمضيتها ثم أنصرفت فجاءني الأعشى فدفعت اليه الالفين وقالت له قد وزق الله تعالى بكرمه وحسن معاملته باسداء المعروف اليك يا ضعاف ذلك ثم أعطيته شيئاً آخر من مالي وجهزته وانصرف

جوهره قضية عبد الله بن مالك الذي كان ينفذ أوامر الخليفة ويخالف ابنه

ثم تولى ابنه الخلافة فقربه اليه

ومما ياتى مع هذه القصة ويشفعها ويثبتها وثيقها قضية عبد الله بن مالك قال كنت أتولى الشرطة للخليفة المهدي وكان يبعث الى فيندماء ولده الهادي أن أضربهم وأحبسهم صيانة للهادي عنهم فيبعث الى الهادي يسألني الرفق بهم والتخفيف في أمرهم فلا أتفت الى ذلك وأمضى لما يأمر به المهدي فلما تولى

الهادي الخلافة أيقنت بالتلف فبعثت إلى توما فحضرت ودخلت عليه
متحسنا متحننا وإذا هو جالس على كرسي والنطع والسيف بين يديه فسلمت
عليه فقال لا سلم الله عليك نادى يوما بعثت إليك في أمر الجزاى لما أمر أمير المؤمنين
بضربه فلم تجيئني وفي فلان وفلان وجعل يهددني ماء فلم تلتفت إلى قولي قالت ثم
يا أمير المؤمنين أفتأذن أن أتسكلم قال نعم قلت أنشدك الله يا أمير المؤمنين أيسرك
أنك وليتني ما ولا في أبوك وأمرتني بأمر فبعثت إلى بعض ولدك بأمر يخالف أمرك
فاتبعته أمره وعصيت أمرك قال لا قالت فكذلك أنا لك وكذلك كنت لا إليك
فاستدنا في فقبلت بيده فأمر بخلع أقبضت على ونجرت من عنده وصمرت إلى
منزلى مفكرا في أمره وأمرى وقت في أمرى يحدث الغوم بالامر الذي عصيته
فيه وهم يندماؤه ووزراؤه وكاتبه فحكائي بهم حين يغلب عليه الشراب وقد أزالوه
عن رأيه في وجاؤه في أمرى على ما كنت أتخوفه قال فاني جالس وبين يدي تخير
من رقاقي مشطور بكافح وأنا أسخنة وأطعمه الصبية حتى توهمت أن الدنيا قد
انقلبت وزالمت من شدة وقع حوافر الخيل والدواب وكثرة الضوضاء فقلت ها والله
قد جاء الامر وإذا الباب قد فتح وإذا الخدم قد دخلوا وأمر المؤمنين الهادي
في وسطهم فلما رأيتهم وثبت من مجاسي مبادرا فقبلت بيده ورجله وحافرجساوه
فقال لي يا عبد الله اني فكبرت في أمرك بعد انصرافك فقات يسبق إلى قلبك
اني اذا جلست وحولي أعداؤك الذين أسأت إليهم أنهم يزيلون ما حسن في رأبي
فيك فأفلقك ذلك وأوحشك ومنعك القرار فصررت إلى منزلك لا وانسك وأعلمك
أن الوحشة قد زالت عن قاي فهات فأطعمني مما كنت تأكل وافعل فيه ما كنت
تفعل حتى تعلم أن الوحشة قد زالت وقد تحومت بطعامك وأنست بمنزلك فلا
استوحش ليزول خوفك ووحشتك فأدنيته منه ذلك الرقاق والسكرجة التي فيها
السكرج نأكل ثم قال ها توما أحضرتموه لعبد الله من مجاسي فأدخلت به سال كثيرة
موقورة راهم وأطعمته وقال هذه لك فاستعن بها وهذه البغال أيضا وقد وليت
ما سكران ولالك اياه والدي المهدي ثم انصرف فوجدت من النعيم والخيرات
والدراهم والملابس ما لا حصل لي في طول مدة خدمتي المهدي وصرت بعد ذلك أعد
نفسى من صنائه

(وعزبه)

وعما هو أوضح حسنا وأرجح معنى ما قاله القاضي يحيى بن أكرم قال دخلت يوما على

الخليفة الرشيد ولد المهدي وهو هو طرق مفكر فقال أتعرف قائل هذا البيت
الخبر أبقى وإن طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين إن لهذا البيت شأن مع عبيد بن الأبرص فقال علي بن عبيد
فلما حضر بين يديه قال أخبرني عن قصة هذا البيت قال كنت يا أمير المؤمنين
في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سميت بصحبة عظيمة
في القافلة أتجئت أولها أنا آخرها فسألت عن القصة فقال رجل من القوم لي تقدم
تري ما بالناس فتقدمت إلى أول القافلة فإذا أنا بشجاع أسود فاعرفه فاه كالجذع
يخور كخوار الثور ويرغو كغذاء الأبل فها أنا في أمره وبقيت لا اهتدي إلى ما أعمل
في أمره فعدلتنا عن الطريق في ناحية أخرى فصار ضنا ثانيا فعلمت أنه ليس ب
ولم يحضر أحد من القوم يقربه وأدارني بسهم نفاعه ولم يعمل فيه فقلت في نفسي
أفدى هذا العالم بنفسي أتقرب إلى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا
فأخذت قربة من الماء فقلبتا وسالت سيفي وتقدمت فلما رأيت قربت منه
سكن وأنا متوقع منه وثبته ترددت في فيها فلما رأيت القربة من الماء ففتح فاه فجعلت
فم القربة في فيه وصبت الماء كما يصب في إناء فلما فرغت القربة تسبب
في الرمل ومضى ففجئت من تعرضه لنساء نصرافه عنا من غير سوء لئلا نمانه
ومضنا نحنا وعدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلة تلك في ليلة مظلمة مدهمة
فأخذت سطحي من ماء وعدلت عن الطريق ناحية فقصيت حاجتي وفرغت من
صلاحي وجلست مكاني والقافلة على حالها فأخذتني عيني فمتمم مكاني فلما
استيقظت من النوم لم أجد القافلة حسا وقد ارتحلووا وبقيت منفردا فلما لم أرا أحدا
ولم أهتد إلى ما أعمل أخذتني حيرة وبقيت أضطرب وإذا بصوت هاتف يقول
ولم أر شخصا

يا أيها الشخص المفضل مركبه * دونك هذا البكر من أركبه
وبكره الميمون أيضا فاجنبه * حتى إذا الليل أزال غيبه

فطاعته رجلاه وسيله

فمنظرت فإذا أنا ببكر قائم عندي وبكرى إلى جانبه فأفقتته وركبت فلما سرت
قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة وانقبر الفجر وودع البكر ففعلت أنه قد حان
نزولي فمضت إلى بكرى وقت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن فيافي تضل المدج الهادي
ألا تخبرنا بالله خالقنا * من ذا الذي جاد بالمعروف في الوادي
وارجع جيداً فقد بلغت ما أمنا * يوركس من ذي سنام راجع غادي
فالتفت إلى البكر وسمعت منه الصوت يقول

أنا الشجاع الذي ألغيتني رمضا * والله يكشف ضرب الحشاثر الصادي
فقدت بالماء لما ضنّ حامله * تكروما منك لم تمن بانه كادي
فالتحير أبقى وإن طال الزمان به * والشر أحييت ما أوعيت من زاد
هذا جواؤك مني لأمن به * فاذهب جيداً رعاك الخالق الهادي
فجذب الرشيد من قوله وأمر بالقضية والايات فكنت عنه وقال لا يصيح المعروف
أين وضع

﴿خاتمة لهذا الباب﴾

في كلمات من الحكم مرقومة براءة الفصاحة وإشارات من السكلم المنظومة من
براعة الملاحسة (منها) ليس من عادة السكرام اسراع الانتقام فلا تأخذ بالثميمة
ولا تفتقم مع القدرة ولا ترهّد في العقور وارحم من دونك برحمتك من فوقك
(ومنها) أولى الناس بالعتو أقدرهم على العقوبة وأحق الناس بالاحسان من
أحسن الله اليه (ومنها) من أحب أن يعفو الله عن سيئاته ويتجاوز عنه فليعف عن
هفوات المذنبين ويتجاوز عن سيئاتهم ما لم يكن فيه إسقاط حد من حدود الاسلام
ويجاوز إلى الوقوع في حى الحرام (ومنها) الانتقام من المذنب عدل والعفو عنه
فضل ومحل الفضل أعلى والتحلّ به أولى وذو الهمة العلية والنفس الزكية يرغب
في الخصال الوافرة والنصيب الاوفر (ومنها) اصطناع المعروف يقي مصارع السوء ويرزق
الحبة في القلوب ويكتب الشكر على الالمنة وينشر حسن السمعة في الدنيا
ويستميل الناس إلى مدح فاعله عند استغاثته عنهم وإلى تلبية دعائه واجابة نداءه
عند استغاثته بهم وإلى الاخذ بيده ان أحوجته حوادث الايام اليهم ويورث جليل
الاجر ويخلد جليل الذكر

﴿الباب العاشر في مدح الصدق وذم الكذب﴾

مراتب المزايا في مقام التفضيل بمقدار آثارها ومناقب السجيا عند ذوي
التحصيل بتفاوت مقدارها ومواهب العطايا بين أهل الرغبات تختلف بأقدارها

وذكر كما أسندته إليهم بد الصدق من حسناتها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر من كان قبلكم يمشون اذا صابهم مطر فأووا الى غار فانطبق عليهم الغار فقال بعضهم لبعض يا هؤلاء لا ينجيكم الا الصدق فلم يدع كل واحد منكم بما يعلم انه صدق الله فيه فقال أحدهم اللهم انه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأعقب قبليهما أهلاً وتأتيت مرة فلم أرح عليهما حتى ناما فلبت لهما ما غبوقهما فوجدتهما نائمين فذكرت أن أعقب قبليهما أهلاً وما لفلئت والندح على يدي أرقب استيقاظهما حتى أشرق الفجر والصبي يتضاوون عند قدعي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الحفرة فانفجرت شيئا لا يستطيعون الخروج منها قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الا نوالهم كانت لي ابنة عم أحب الناس الى راودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا يحل لك أن تؤمن الخاتم الابحثة فتخرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس الى وتركت لها الذهب الذي أعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الحفرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الثالث اللهم اني استأجرت أجراً فأعطيتهم أجراً غير واحد منهم ترك الذي له وذهب ففقرت أجرتي حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله اذ الى أجرتي فقلت كل ما ترى من الابل والبقر والغنم والارقيق من أجرتك فقال يا عبد الله تسهزئي فقلت اني لا أستعزي بك فخذ فأخذ كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الحفرة وخرجوا يمضون

﴿ نفيسة قضية الثلاث الذين تخلفوا في غزوة تبوك ﴾

ومنهم قضية الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وتخصيص معناها ان كعب بن مالك قال لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزاة بدر في غزاة غزاه حتى كانت غزوة تبوك وهي آخر غزاة غزاه وأذن النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالرجوع ليمتأهبوا أهبة هزوههم وذلك حين طاب السلال وطابت الثمار وكان صلى الله عليه وسلم قلما أواد غزوة الاورى بغيرها

ويقول

ويقول الحرب قد دعت فأراد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أن يتأهب الناس
أهبتهم وأنا أسر ما كنت قد جعت را حلتين وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة
المحاذ وأنا في ذلك أضغو إلى الضلال وطيب المشاعر فلم أزل كذلك حتى قام النبي
صلى الله عليه وسلم غاديا بالغداة وكان يوم الخميس وكان يجب أن يخرج يوم
الخميس فأصبح غاديا قلت أنطلق غدا إلى السوق فأشترى جهازا ثم ألتحق بهم
فانطلقت إلى السوق من الغد فسر على بعض شأني فرجعت فقلت غدا إن شاء الله
أرجع وألتحق بهم فسر على بعض شأني أيضا فلم أزل كذلك حتى التبت إلى
الذنب وتخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت أمشي في الأسواق
وأطوف بالمدينة فيحزنني أن لا أرى بالمدينة أحدا من الأرحام معه وصاحبه في
المنفاق وكان ليس أحد تخلف إلا رأى أن ذلك سيخفى له وكان الناس كثيرا
لا يجمعهم ديوان وكان جميع من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا
وثمانين رجلا ولم يذكرني النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال ما فعل
كعب بن مالك قال رجل من قومي يا رسول الله خلفه برداء والنظر في عطفه
فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يابني الله ما علمنا عليه إلا خيرا فبينما هم
كذلك إذا برجل يزول به السراب فقال النبي صلى الله عليه وسلم كن أباحيمة
فاذا هو أباحيمة فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ودنا من المدينة
جعلت اتذكر بماذا أخرج من سخط النبي صلى الله عليه وسلم وأستعين على ذلك
بكل ذي رأي من أهلي حتى قيل هذا النبي صلى الله عليه وسلم مصبحكم بالغداة راح
عني الباطل وعرفت أنني لا أنجو إلا بالصدق ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضحى فصلى في المسجد ركعتين ثم جلس فجعل يأتيه كل من تخلف فيجلفون له
ويعتذرون إليه فيستغفرونهم ويقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى
فدخلت المسجد فإذا هو جالس فلما رأني تبسم تبسم المغضب فبئت بغلست بين
يديه فقال لي ألم تكن ابتعت ظهرا فقلت بلى يا رسول الله قال فما خلفك قلت
والله لو بين يدي أحد جالس لمخرجت من سخطه علي بعد ولقد أوتيت جديلا
ولكنني قد علمت يابني الله أن أخبرتك اليوم بقول تجدد علي فيه وهو حق فاني
أرجو فيه عفو الله وإن حدثت لك اليوم حديثا ترضي عني فيه وهو كذب أو شك الله
أن يطاعك علي والله ما كنت أسر ولا أخف حاذمني حين تخلفت فقال أما هذا

فقد صدقكم الحديث قم عني حتى يقضى الله عليك فقامت فصار على أثرى ناس من
قوى يؤمنوني فقالوا والله ما نعلمك اذ نبت ذبا قبل هذا ولا اعتدلت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد يرضى عنك فيه وكان استغفار رسول الله صلى الله عليه
وسلم سياتي من وراء ذنبك ولا توقف نفسك موقعا لا تدري ماذا يقضى لك فيه فلم
يزالوا يؤمنوني حتى هممت ان ارجع فأ كذب نفسي قلت هل قال هذا القول
أحد غيري قالوا نعم قاله هلال بن أمية ومرة بن الربيع فذكروا رجلين صالحين
شبهنا بدرا فقلت لي فيهما أسوة وقت والله لا ارجع اليه أبدا في هذا القول
ولا أ كذب نفسي ونبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أياها الثلاثة ولم يسه
عن كلام أحد من المخالفين غيرنا فاجتذب الناس كلامنا وليست كذلك حتى طال
على الامر وما من شيء أهم الي من أن أموت فلا يصلي على رسول الله صلى الله
عليه وسلم أي موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأ كون من الناس بتلك المنزلة
ولا يكافئ أحدهم ولا يصلي على قال ففعلت أخرج الى السوق فلا يكافئني أحد
وتنكر لنا الناس حتى ما هم بالذي نعرف وتنكرت لنا الجحيطان حتى ما هي بالجحيطان
التي نعرف وتنكرت لنا الارض حتى ما هي بالارض التي نعرف فكنت أقوى
أخصائي وكنت أخرج فأطوف في الاسواق وآتي الى المسجد فأدخل وآتي النبي
صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه فأقول هل حركت شفتيه بالسلام فإذا قلت أصلي الى
جنب سارية تشر الى يمين عيذه فإذا نظرت اليه أعرض عني واستسكان صاحبي
فلا يمكن الليل والنهار لا يطلعان رؤسهما قال فيينا أنا أطوف في السوق اذا رجل
نصراني جاء بطعام له يبيعه يقول من يدل على كعب بن مالك فظفقت الناس يشيرون
الي فأنا في بحيفة من ملك غسان فاذا فيها أما بعد فانه بلغني ان صاحبك قد جفاك
وأفصاك ولست بدار مضبعة ولا هو ان فالحق بنا تواسك فقلت هذا أيضا من البلاء
فسمعت النور وأحرقها فطامضت أربعمائة ليلة اذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتاني فقال اعزل امرأتك قلت أطلقها قال لا ولكن لا تقربها فحسأت
امرأة هلال بن أمية فقالت يا نبي الله ان هلال بن أمية شيخ ضعيف فهل تأذن لي ان
أخدمه قال نعم ولكن لا تغربك فذالت يا نبي الله والله ما به حركة شيء ما زال مكبا
بيكي الليل والنهار مذ كان من أمره ما كان قال كعب فلما طال على الملاءة فحتمت
على أبي قتادة حائطه وهو ابن ي فسلمت عليه فلم يرد علي فقامت أنشدك الله يا أبا

قادة أعلم أني أحب الله ورسوله فسكت حتى قالت ثلاثا قال الله ورسوله أعلم فأملاك
نفسى أن بكيت ثم اقتحمته من الحائط خارجا حتى مضت خمسون ليلة من حين نسي
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل منافذ على ظهر بيت لنا صلاة الفجر ثم
جاست وأنا بالمنزلة التي قال الله عز وجل قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت
وضاقت علينا أنفسنا إذ سمعنا نداء من ذروة ساج أن أشر يا كعب بن مالك فحرت
ساجدا فعلمت أن الله قد جاء بالفرج ثم جاء رجل على فرس له ركض يشترى فكان
الصوت أسرع من فرسه فأعطيته ثوبين بشاره ولبست ثوبين آخرين قال وكانت
توبتنا نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث الليل فقالت أم سلمة يا رسول الله
ألا نبشر كعب بن مالك قال إذا سطعكم الناس ويمنعوك النوم سائر الليلة وكانت أم
سلمة تحسنه في شأني تحزن لحزني فاطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا
هو جالس في المسجد وحوله المسلمون وهو مستنير كاستنارة القمر وكان إذا سرت
بالأمر استنار فجئت فجلست بين يديه فقال أشر يا كعب بن مالك بخير يوم أني
عليك منذ ولدتك أمك فقلت يا نبي الله أمن عند الله أم من عندك قال بل من عند
الله ثم تلى عليهم لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الآية وقوله وعلى
الثلاثة الذين خلفوا إلى قوله وكونوا مع الصادقين قال كعب وفيما نزلت يأيتها
الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فقلت يا رسول الله إن من توبتي أن
لا أحدث الأصديق وأن أخلع من مالي صدقة لله عز وجل ورسوله فقال أمسك
عليك بعض مالك فإنه خير لك قالت فأمسك سهمي الذي بخير قال فما أنعم الله على
نعمته بعد الإسلام أعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
صدقته أنا وصاحباي وأن لا يكون كذبا فهلك كما هلك خيرنا وإنى لأرجو أن
لا يكون الله أبلى أحدا في الصدق مثل الذي أبلاني ما تعمدت الكذب بعد وإنى
أرجو أن يحفظني الله فيما بقي فلولم يكن للصدق ثمرة سوى النجاة من المكره
لكانت له شرفا فكيف وفيه من الفوائد ما تقدم ذكره في أول الباب وحسبه ذلك
وكفى بما أعظم بركته وأعمها وأكل النعمة به وأتمها ولهذا يقال من صدق نجا
ووجد من التهلكة فرجا وأدرك به آملا ورجا وحمل الله به بر كته من كل
ضيق مخرجا

زيادة وإفادة في ضرر الكذب

كما أن الصدق مجلبة لجميع كل طاب ومرتبة ذيل مقترعها رغوب كل ارب وهو

على التحقيق الى كل خير أقرب سبب فكذلك الكذب يفضي بصاحبه الى كل
 دمار وعطب ويسود وجهه في العاجلة ويورده في الآجلة شر مود ومقلب وفي
 القضية التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهود لها بالجماعة المسعود
 بهامن رزق يثقل وانقطاع المقصود منها هرققة شتاة الكاذب وسعادة الصادق
 عيانا وبهما ما يقوم بالقصد الاقصى في ذلك ويشير اليه ويقسم للصدق زيادة
 والله كذب نقصا ويسجل عليه

الحكاية عن قضية الاقرع والابرس والاعمى وهي تشتغل على ضرر الكاذب
 وهي قضية الاقرع والابرس والاعمى وصورتها على ما ورد بها لقطة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ان ثلاثة من بني اسرائيل ابرص واقرع واعمى اراد الله أن يبتليهم
 فبعث اليهم ملكا فأتى الابرص فقال أي شيء أحب اليك قال لون حسن وجلد حسن
 ويذهب عني الذي قد رثي الناس فمسحه فذهب عنه قدره وأعطى لونا حسنا
 وجلدا حسنا قال فأى المال أحب اليك قال الابل فأعطى ناقة عشرةاه فقال بارك
 الله لك فيها قال فأى الاقرع فقال أي شيء أحب اليك قال شعر حسن ويذهب عني
 الذي قد رثي الناس قال فمسحه فذهب عنه وأعطى شعرا حسنا قال فأى
 المال أحب اليك قال البقر فأعطى بقرة عاملا وقال بارك الله لك فيها قال فأى
 الاعمى وقال أي شيء أحب اليه قال أن يرده الله على بصري فأبصر به الناس قال
 فمسحه فرد الله اليه بصره قال فأى المال أحب اليك قال الغنم فأعطى شاة والدا
 فأتبعه هؤلاء فكان لهذا وادمن الابل ولهذا وادمن البقر ولهذا وادمن الغنم قال
 ثم أتبعه الملك أتى الابرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطعت بي
 الحبال فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد
 الحسن والمال بعيرا أتبلغ به في سفري قال المتفوق في المال كثيرة فقال له كأنني
 أعرفك ألم تكن أبرصا يهزرك الناس فقيرا فأعناك الله فأتناورت هذا
 المال كبرا عن كبر فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال وأنى
 الاقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد عليه هذا فقال ان
 كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال وأنى الاعمى في صورته وهيئته فقال
 رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم الا بالله
 ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتباع بها في سفري قال قد كنت أعمى

فرد الله بصري نفعنا مشئت ودعنا مشئت فوالله لا أجهدك اليوم بشئ أخذته
لله تعالى فقال أمسك مالك فانما ابتليتم فتدري عنك ويخط على صاحبك
وعادا الى ما كنا ولهذا يقال من شئت الصدق يحتسب على عروس السلامة
ويحتسب عروس الكرامة ومن شئت الكذب يحتسب كؤوس الملامة ويكتسب
لبوس الندامة

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ في الحكم التي ضاع نشرها وفاج وما ضاع نشرها وطاح
(منها) الصدق ميزان العدل وعنوان المروءة وعلامة الكرم وسجية النفس
المستعدة لاقتناء الفضائل والكذب مكيال الجور ومعدن الخوف وقرين سوء العاقبة
وشاهد على النفس الباغية عليه ما تصافها بالذات (ومنها) لو لم يكن الصدق سببا
للثواب والثناء لتعذب على العاقل فعله لمحسنه ولو لم يكن الكذب سببا للعقاب واللعن
لتعذب على العاقل تركه لقيحه فكيف والصدق سبب المرغوب والكذب سبب
المرهوب (ومنها) الصدق عز والكذب ذل والنفوس الزكية تميل الى العز وتنفر
عن الذل فلهاذا يؤثر الصدق ويحذّب الكذب (ومنها) لا مروءة للكذوب ولا
أمانة لغادريه لا وفاء للمول ولا رياسة لخصوم (ومنها) الصدق لصاحبه سيف فاصل
وحاكم فاصل وعز حاصل وخدمة موصل والكذب لصاحبه لؤم عاجل وعار
شامل وسم قاتل وذم آجل

﴿القاعدة الثانية في السلطنة والولايات﴾

ومقصود القاعدة يشتمل على ما بين ﴿الباب الاول﴾ في السلطنة وما يتعلق به السلطان
من الصفات وما يعتمد عليه لا قامه لوائحها الموطقات

﴿الباب الثاني في الولايات التي تدار المملكة عليها وزمام مصالح الدولة يسيرها
وبيان طبقاتها التي مرجع أمورها اليها﴾

﴿الباب الاول﴾

في السلطنة وصفات من نصحه الله بها ذاك حكره وأعلى قدره على
رؤس العباد وقدمه في السلطنة سر من أسرار الربوبية يناد بها العباد ويحفظ بها
البلاد ويقطع بها العناد ويجمع بها المراد من جيد المزايا وشرف المنجيات بما
أدناه حراسة الرعايا وسياسة البرايا وقدامت الله تعالى على كلمته موسى حين
استضعف نفسه عن أداء رسالة ربه وخشي اعتراض متسدورات مجترة عن تبليغ
رسالته وكذب وخاف أن لا ينرض منفردا يشتمل ما أمره الله تعالى به فسأل الله جل

وعلا سعادته في ذلك بأخيه هارون فقال وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله
معي ردئا يصدقني أني أخاف أن يكذبون فأجابته إلى مسئلة وأجابه من شجرة سؤاله
ثم رسله ومعه سلطنة يتصر عن تأميل ادراكها الطالبون ولا يقدرون على منالها
بجدهم واجتهادهم الراغبون فقال تعالى شد عضدك بأخيك وتجعل لك
سلطانا فلا يصح لك يا تائنا أن تتوا من اتبعك الغالبيون فالسلطان في الحقيقة
قائم برعاية عباد الله وحماية بلاد الله وحراسة دين الله وإقامة حدود الله وحفظ
أحكام الله قدار رضاه الله من خلقه وأمرهم بطاعته ورسوله في السر والجهر
والمعنى بقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر هو بالانقياد ظل
الله في أرضه وبه تقام شعائر سنه وفرضه وعلى الجملة فشرف السلطنة جسيم
وقدرها عظيم ومحلها كريم ونفعها عظيم ومن أراد كشف الحجاب عن بصر
بصيرته ليدرك فضلها ويعلم نيلها ويستوضح سبلها ويكون أحق بمعرفتها وأهلها
فليستظر إلى آثار السلطنة وثمرتها ويستمروا لوازمها التي بها يستدل على شمول منفعاتها
إذا لا شياء تعرف بأثارها ويستدل بعظم نتائجها على خطر أقدارها وثمره
السلطنة حراسة البلاد وسلامة النفوس وحفظ الأموال وإدارة الأرواق وإقامة
المناسك ونشر العلم وإظهار الدين وذلك بجمع الظلمة وردع البغاة ومنع المتعدين
والانتقام من المفسدين فتأمين السبل وتوفير الدواعي على مصالح الدين والدنيا
فأى منقبة أنفع وأفضل وأى مزية أرفع وأكمل وأى مرتبة أجعل للزايوا أشمل
من حاله بها انتظام مصالح الدنيا وهي قوام الآخرة والاولى فإنه عند التحقيق
لولا السلطنة لاسفرت طائع على أراء طاعته ولا خاشع على إقامة عبادته ولا زارع
على القيام بزراعته ولا مباحض على استبراح بضاعته ولا صانع على اجتناء ثمره
صناعته ولا رافع في رياض الجنة بملأه الذكر على تحصيله ودراسته ولا قاطع
مفاوز الفلوات لبلوغ مطالبه وحاجته فإنه بتأييد السلطنة ينتج لكل انسان مقاصد
حركته ويبلغ كل عامل بسعيه غاية أمنية ويدرك كل طالب الدنيا من نهايتها مأربه
ويحصل الراغب في طاب العلم على مطلوبه وبشئته فكان السلطان قد عبد الله
تعالى بعبادة كل عابد وشكره بلسان كل شاكر وحامده وإذا كانت هذه فضيلة
ق-أفاض الله تعالى على السلطان سابع إبداسها ورزقة يانع غراسها وأدركه
أخلاق نعمتها بإبداسها واصطفاه لهذه النعمة والموهبة فرضى به لإلمة وأجناسها

في دبريه أن يقابل هذه المنحة من الله تعالى بأقامتها في موافقها ويحل
نفسه النقيصة منها المستطاع بصفات عوارفها ويعلم أن الله تعالى قد فرض
عليه أمورا لا بد من القيام بوظائفها من عتيدة صالحة يسود وطريقه صالحة
مهدية وسيرة جيدة مرضية وأخلاق طاهرة مرضية وأعمال صالحة مذكاة
وهو موفقة عليه وقد استقصينا تفاصيل الانحلال والخلال المرغوبة المستحسنة
والشيم المستحقة المستحقة وشرحنا ما يتعين كتابه وما يجب اجتنبه وبسطنا
القول في أقسام ذلك في القاعدة الأولى غير أنه لا بد في هذه القاعدة من الإشارة
إلى ما يخص السلطان كان الله له عوناً وعضداً وأقام له من ملائكته المقربين عدداً
وسلك به إلى بلوغ كل سعادة وزيادة جود لا يتقطع أبداً * فأقول إن الله تعالى
خلق الإنسان وجعله على أخلاق قول أن قومه جميعها أو قدم كلها بل الغالب كون
بعضها محموداً وبعضها مذموماً ولهذا قيل قديماً

وما هذه الأخلاق الا طبائع * فمن شؤنهم ومن مذموم

غير أن من علت همته وانصرفت إلى معالي الأمور عزيمته ورغب في أن يكون
أخلاقه كلها جيدة تعرف بها سمته لا بد له من رياضة تأديبية وتدريب وتسلط فلم
يلتزم الاضيق حتى تستقيم له أخلاقه طبعاً أو بغيرها تطبعاً أو يعلم أن شريف الأعمال
لا تنصرف في نفسه الا بشريف الاخلاق والخلال وقد نبه الله تعالى على ذلك في
القرآن الكريم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك على خلق عظيم فان
النبوة لما كانت أشرف مراتب الخلق نذبت لها من قدح طراز فضائل أشرف
الاخلاق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ولما كانت
السلطنة عالية المنام معدودة من الرتب العظام مضبوطاً بها مصالح الانام
مرفوعة القدم على قم الخصاص والعام كان جديراً أن تشر بل أوابها وتغفر
شرابها وأحرز نصابها أن يأخذ نفسه برعاية أحوالها ويروضها في أعمالها
ويعلم أنه متى قدر على سياسة نفسه كان على سياسة العباد أقدر وقديماً قيل لا ينبغي
لذي لب وعقل أن يطمع في طاعة غيره وطاعة نفسه عليه بمصلحة كقيل

أطمع أن يطاعك قاب سعادتي * وترغم أن قلبك قد عصا كما

وقد تزين نفس الإنسان له حسن الظن بها فيعتقد أنه متصف بمحاسن الاخلاق
فيعرض عن مراعاتها وينقاد برأى امراضها إلى متاعها في شبهه واتها فيبقى وهو

لا يعلم في أسر هواه مرتبنا معدودا من زين له سوء عمله فرآه حسنا فتتوى نفسه عليه حتى تغلب عقله ويلجأ به هواه حتى يستنقذ في شهواته فعله ويكتنفه صوارف غفلاته عن تأمل اصلاح شأنه في نفسه فرعه وأصله فلا يشعرا الا وقد أشرف به الصلف على التلف فأفسد أمره كله حتى استظهر على هذه الحالة من مبدأ أمره واعتبر مواقع تزيين النفس الامارة ببصيرة فسكره وحصر أسباب التزيين فقطعها بشيا صبره ووقر قلبه عن اتباع هواه بموجبات زجره وقهر نفسه فانقاذت طوع عقله في سره وجهه كان خليقا أن تغلب خلائته الذاتية جيدة وطرائقه المسائية سيده ونظواته في تصارييف المحركات والسككات سديده فلا جرم تكون عمله كنهه دائمة ومدة سلطنته مديدة ولا يدرك هذا الاستظهار بعين اليقين الا اذا أحاط علما بأسباب التزيين فقطعها بجذعه المبين ودفعها بجذذى القوة المتين وما أنا الا أن أنبه عليها اليقرب اجتنابها وأشير اليها ليجنب اقترابها فأولها الكبر وثانيها العجب وثالثها الغرور ورابعها الشح وخامسها الكذب فهذه الاسباب الخمسة هي أم التزيين لكل صفة ذميمة وأصل التيسين لكل خلة قبيحة فاذا أبعدتها النفس عنها وأزالها عنها استعدت للاتصاف بشرف الخلال والتخلي بصفات الكمال والارتقاء الى محل الفخار والجلال

السبب الاول في الكبر والتعجب

وهو جالب اسخط الله تعالى قال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبرا جبارا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازارى فمن نازعني شيئا منهما فقصمه وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر وقال من تكبر بغير الحق وتعجب على الحق فقد عرض نفسه اسخط الله تعالى ونفر عنه قلوب السائلين واستجاب العداوة والبغض منهم وقلما اتصف ملك بصفة الكبر الا اختل أحوال ملكه واضطربت قواعده دولته وعميت عليه أنباء مصالحه وظهرت مقساته لسهام أعدائه

السبب الثاني العجب

وهو من المهلكات قال الله جل وعلا ويوم نحين اذ أعجبتكم كثيركم فلم تعن عنكم شيئا وضاعت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وانجاب المروة بنفسه
والعجب غير الكبر فلا تعتقد انهما شيء واحد بل هما مختلفان ينشأان من سببين
مختلفين فالعجب والتعجب ثمرة عظم المنزل وعلم المسكنة ونفاذ الامر وقلة رؤية الامثال
والاكفاء والعجب ثمرة اعتقاد رجحان الصفات النفسانية فلا يتوهم أن لغيره كما لا
مثل كماله ولا أن لنفسه احتياجا الى أحد من الناس ولهذا يقال من استهواه العجب
حتى نظرت في عطفه واختال في برديه ولم ير لغيره فضلا عليه فقد اكتسب ما فوق المقت
اليه واحتجب ما يورثه عندما يوم يعرض الظالم على يديه

السبب الثالث الغرور

وهو مظل بصاحبه على العطب سائق له الى ورطات هلاك ذات شجب وهو أن يرى
الاحوال في مبادئها منتظمة في سلك السداد والامور في أوائلها جارية على وفق
المراد والاوقات ساكنة عن هبوب عواصف البغي والعناد والاختلافات الشاغلة
قد نزلت بساحات الاعداء والاضداد فيظن أن هذه حالة واجبة الاطراد لازمة
الاستمرار بلا انقطاع ولا نقاد فيعتز بذلك فيحمل التأهب ويغفل عن الاستعداد
فتفاجئه حوادث الخلل وتباعه نوازل الزلل فتسد عنه أبواب الصلاح وتفتح
عليه أبواب الفساد وأعظم موائد هذا السبب نفاق المسادحين ومدح المنافقين
وتلقى المقربين وتكبر الممثلين الذين اتخذوا الكذب والنفاق وسيلة وجعلوا
المكر والخداع في ذلك أحبولة وخيلة حتى وجدوا لنفاقهم نفاقا وسوقا ولكيدهم
قبولا وتصديقا نصبوه سُلما الى مرامهم وأقاموا المغتر بهم غرضا لسهامهم وقد
عد عظماء الفضلاء هذا النوع في الاغترار من أقوى الاسباب وحشوا كبار الملوك
على التيقظ له عند الاسباب فيه والامتناب ونهوا على الاحتراز منه والتجنب عنه
أرباب الالباب فان أقل ما فيه رواج الاستسحار والاستهزاء ونفاق الكذب
والارتياب ولهذا المعنى أمر النبي صلى الله عليه وسلم باهانة مبشره فقال احثوا
في وجه المسادحين التراب

السبب الرابع الشح

وهو من الاسباب التي صرح الرسول صلى الله عليه وسلم بكونها مهلكة ويكفي في
ذمه ان الفلاح مقرون بالسلامة منه والتوق عنه على ما قاله سبحانه ونعالى في محكم
القرآن ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ويقال الشح عِدْوٌ نَفْسُهُ وَمَتْنُهُم

لربه ومنقبض عن صديقه ومنقصر في حياته ومنكذب في عيشه وشقي في دنياه
وأخوته فهو مطرود عن مقامات الكرام ومعدود من سيئات الانام مقصود
بإسقام اللام بين الانام لا يسود أبدا ولا يبلغ وطرا لا مقصدا
﴿السبب الخامس للكذب﴾

ويكفي في ذمه أنه بجانب الإيمان ويسلب خصوصية الانسان فان النطق هو
الفاصل بينه وبين أنواع سائر الحيوان والنطق الفاصل وان كان بالقوة لكن
آلتها غير بها عسافي التماسا المتوصل بها عند الخطاب الى اظهار ما في السرائر
هو الانسان فاذا استعمله صاحبه في الكذب فتقرب البعيد وبعد القريب وغير
الاشياء عن حقائقها وأخبر بالامور على خلاف ما هي عليه وأبرز الباطل في صورة
الحق وكسا الحال لباس الصدق وأبدل شراب الظلم بآبى شرابا وأبدى للسترشين
اختلافا وكذبا فقل سقط الوثوق به فلا يبقى لمسا به سر عنه أثر من المطلوب فتبطل
خاصيته ويتجهل من النطق بمرته فيلحق حقيقة الكاذب بالحمار والكاذب
والخنزير بل يكون أسوأ حالا فانه كم من كذب أراق دما ولهذ يقال الكاذب
يسلب صاحبه صفة الفلاح ويلبس جلاب الاقتضاج ويجعل ذرا لفته لغمام شورا
ولو تاملها الجوهري في سعة الصاح «فهذه الاشياء الخمسة تنمين على كل ذي فطنة
وتبلى ودراية وعقل لا سيما من له نفس شريفة وممة عليه وتطلع الى معالي
الامور أن يصون شرف نفسه وعلمه وحرمانه وحسن سمته عن شئ من
هذه الاسباب التي هي أم النقائص وينبوع الرذائل فتم يتطرق تزيين الاقتضاج
وتحسين الغبايح فانه قل من كانت فيه الاختلات أحوال ملكه واضطربت
قواعد دولته ونفرت عنه قلوب أتباعه وعجت عليه أنباء مصالحه وظهرت مقاتله
إسقام أعدائه ومالت عنه خواطرناصريه واتسعت فيه ألسن الطاعنين لسعة
محال المقل وسقط وقعته من نفوس رعاياه وزال الوثوق بوعداء والخوف من
وعيده فواجب على السلطان أن يهوى نفسه الشريفة عن أن يتطرق اليها شئ
من هذه النقائص كما يحوس مزاجه الكريم عن مولدات عوارض الامراض واذا
جساه من ذلك فتبين أن يتجلى بما يزداد به مهابة ووقارا ويكسبه عظمة
ونخارا ويعلى له في العالم شأنه ونارا ويبقى له على الأبد كراؤا نارا وهأنأابه
على شئ منه تفديها اعتمده في اقتصارا واختصارا فعليه أن لا يسارع الى اتباع

الشهوات وأن تثبت عند اعتراض الشبهات وأن يجانب سرعة الحركات وخفة
الاشارات ويديم اطراق طرفه وملازمة صمته الاعند الحاجة في أكثر الاوقات
فإن أنفاس السلطان ملحوظة والفاظه منقولة * ولقد قيل تكلم أربعين
حكماً الملوك بأربع كلمات كأنها مقتبسة من جذوة نور مجموع أو منجبة من
قرارة بدوع فقال ملك الروم أفضل علم العلماء الصمت وقال ملك الفرس إذا
تكلمت بكلمة ملكتي ولم أملكها وقال ملك الهند أنا على رءم ألم أقل أقدر مني
على رءم قلت وقال ملك الصين ندمت على الكلام ولم أندم على السكون فهذه
الحكم الرائقة والاشارات الفائقة والمعاني المتوافقة صدرت من هؤلاء العظماء
والملوك الحكماء وتطابقت خواطرهم عليها وتوافقت اشارتهم اليها مع تباين
أزمانهم وتباين عساكرهم وفي ذلك دلالة على شرف الصمت وعزوبته وقديما
قيل انما خلق للانسان أذنان واسان واحدا ليهكون ما يسمعه أكثر مما يقوله فإذا
دعت الحاجة الى الكلام فليعتبره قبل أن ينطق به فإن كلام الانسان ترجمان
عقله وبرهان فضله فإذا تكلم بكلام جانب الاكدار فإنه قيل من كثير كلامه
كثير ندمه ويختار عند الكلام أعذب الالفاظ وأحسنها وأجزلها وأبشها وقد اختار
الحكماء للسلطان جهارة الصوت في كلامه ليكون أهيب سامعيه وأوقع في
قلوبهم ويحبل وعيده بالتأديب على مقدار الذنوب ففيه جمع بين مصلحة العقوبة
والانزجار ومصلحة اجتناب الاثم مجازاة الحد والمقدار فغديس ان أبا بكر
الصديق رضي الله عنه كتب الى عكرمة وهو عامله بعمان يقول احذر أن تورد
في معصية بأكثر من عقوبتها فإنك إن فعلت أثمت وإن لم تفعل كذبت وكلام
الامرئ ذميم ويجهتد السلطان في منع نفسه من الغضب فإن الغضب شر قاهر
وأضرر معاند مجاهر وهو اذا غلب أعظم الاشياء فساد النظام والآراء وأبلغ الامور
تأثيرا في انتقاض قواعد التدبير فإن قدره الله عز وجل في بعض الاوقات والاحايين
فلا يرضى السلطان في تلك الحالة فعلا ولا ينفذ حكما وقد عاقل احتراز عظماء الملوك
من الغضب حتى نقل ان ملك الفرس كتب كتابا ودفعه الى وزيره وقال اذا رأيته
قد غضبت فادفع الى هذا الكتاب ولا تؤخره فكان فيه مكتوب مالك والغضب
است باله معبودا إنما أنت بشر مخلوق ارحم من في الارض يرحم من في السماء
وكما يجب الاحتراز والاحتباس من الغضب فكذلك يجب تجنب اللجاج فإنه أليف

الغضب وحليف العطب وهو مما يثر الزلل في العاجل ويسفر عن الندامة في
 الاجل ويدفعه عنه بجملة ان الرجوع الى الحق خير من التبادي في الباطل ولا
 يستعمل في الناس كلهم حالة واحدة بل يعتمد من الحالات في كل قضية ما يليق بحال
 صاحبها من اين وشدة واقبال واعراض واحسان واساعة وعفو وعقوبة وتجاوز
 وانتقام واقدام واجسام واجابة ومنع وزيادة ونقصان وبشر وقطوب وظهور
 وجوب فان استعمال كل حالة في عملها مع مستحقها كل تدبيرا واتمرا يا واجمع
 لشمل مصالح الملك ووضعها في غير عملها افضى الى توقع الضرر ومقتاح لسبب
 العطب فان طباع العالم متفاوتة وأخلاقهم متباينة فمنهم من يصلحه الاقبال
 عليه والاحسان اليه ومنهم من يصلحه الاعراض عنه والانتقام منه ويتعين
 على السلطان استمالة الاعداء وأهل الاذن من ذوى القدرة ويجهت في اصلاحهم
 فان لم ينجح فيهم اصلاح واستمالة يعدل بهم الى طريق المداواة اللائقة بهم الى أن
 يلوح له وجه الفرصة وتمكنه المزاخمة بالانتقام فينهز ذلك بالمبادرة اليه ولا
 يؤخره عن وقته فان تأخير مضر واهماله مفسد ويعلم السلطان أن من أعم الأشياء
 نفعها وأعظمها في مصالح الملك وقما كتمان سره واخفاء أمره وأن لا يطلع أحدا
 على ما قد عزم على فعله قبل تمامه ولا يتحدث بمسير يده من المهام قبل اتمامه
 فان ذلك من أقوى أسباب الظفر وانسكى في قلوب الاعداء وأعون على نخب
 المقاصد وقد نذب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال استعينوا على المحاجات
 بالسكتمان ونقل عن علي كرم الله وجهه سر ك أسيرك فان أظهرته صرت أسيره
 لكن من الاسرار والامور ما لا يستغنى فيه عن اطلاع ناصح مشفق وموال مخلص
 يرى من طاعته لربه مناصحته لسلطانه فيستعين السلطان برأيه على المهمات
 وينتفع بذكوره في الحوادث ولا يركن فيه الى أحد ولا يثق بكل مقلق ومتى حدث
 أمر من الامور الجارية يكثر الاستشارة فيه من يراه أهلا لذلك ويسمع رأي كل
 واحد منهم على انفرادهم وينظر في جميع ما سمعوه ويعمل بمقتضى ما هو الاقرب الى
 نيل المطلوب والاصوب في دفع المرهوب ولا يهمل الاحتراز والحذر في عواقب
 الامور وما يؤول اليه ويجهت أن لا يفتح بابا يعيبه سده ولا يرمى سبها يجهز رده
 وقد قيل قديما

واياك والامر الذي ان توسعت * موارد ضاقت عليك المصادر

فاحسن أن يهذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر
ولا يجلس السلطان أوقاته مصروفة إلى نوع واحد فان ذلك ان كان جدا واجتهادا
في مصالح الملك والنظر في تدبيره ضجرت النفس منه وشبهت الفكرة فيه وربما
أدى إلى خال وساق إلى زلل وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه نفسي مطيتي
فان أجهدتها كبتني وان كان ذلك وقضى شهوة أدى إلى تضييع الملك وفساد
أموره ووقوع الخلل فيه بل عليه أن يتقسم أوقاته فيصرف منها قسطا يخصه
بتضرعه إلى الله وقيامه بشكر نعمته وأداء عبادته وكذا أنه يتقسم أوقاته فيخص
كل وقت منها بحالة لا تفتة بذلك الوقت لا يلقى أن توقع فيه غيرها كوقت ركوبه
في جاري عادته ووقت نظره في مصالح مملكته ووقت جلوسه لكشف قضايا رعيته
ووقت دخول الجند لأداء وظيفة خدمته ووقت استقضاء من يحضر من الرسل
لأداء رسالته ووقت سكونه ومسامحه وقيامته ووقت استئناسه بمن يحضره عجمادته
ووقت قيامه بفرض الله تعالى وعبادته ولكل حالة من هذه الحالات وقت من
الأوقات لا يتبداهها ومن منسوب إليها لا يلقى به سواها فلما وقع كل حالة في وقت
غيرها لا إرداها وما أداها ولا خلها عن صوب الاصابة وما أداها فكذلك يتبين
عليه أن يستعين في الأعمال بكفاة العمال ويعتمد في المهام الثقال بأجلاد الرجال
فيفوض كل عمل إلى من قدمه راسخ في معرفته وأيدته يديا بسيطة في درايته وتجربته
ولا يفوض كل عالم إلى جاهل ولا نبيه إلى خامل ولا مستيقظ إلى غافل ولا ذي حلية
إلى عاقل فان فعل ذلك فقد باع حقا باطل واعتاض عن قس بياقل وسلط على
الدولة لسان كل قائل وقديما قيل من استعان في عمله بغير كفوء أضاعه ومن فوض
أمره إلى عاجز عنه فقد أفسده وأضاعه ويحذر كل المحذر من تولية أحد أمرا
من أمور المملكة الدينية والدنيوية بشفاعة شنيع أو رعاية محرمة أو تضام حق
اذ لم يكن أهلا للقيام بمساوئ ولا ناهضيا بآعباء ما استمكنه ولهذا قيل من قلده عمله
بالدراية والكفاية غنى عمله وسلم ومن قلده بالرعاية والشفاعة ذوى عمله وندم فان
أحبب مكافأة أحد من هؤلاء كفاه بالمسال والصلوات وقطع طمعه عما لا يصلح له من
الولايات ليحسب قاضيا حقوقهم بمسأله لا بما كره وهذا المعنى الذي كان يهتكمه
كسرى لأحكام قواعده أسكده وتأيدته وإتمام مقصده تدبيره وتأكد كده حتى وضع
على بابيه خشبة من ساج منقوشة بالذهب عليها مكتوب الأعمال الكفاة والمحتوق

على بيوت الاموال ولهذا قيل أي ملك ملك جده هزله وقهر رأيه هو انه وعبر فعله
عن ضميره ولم يخذعه رضاه عن حقه وفوض كل عمل الى مستحقه واستعمل
بالكفاة لا بالشفاعة ولم يأخذ بالسعاية قبل الكشف ولا استهواه تعرض
المتعرضين فهو خالق باستحقاق الملكة وارتداء جلبابها جدير بها وان لم تكن
أوصاره وعناصره من أربابها

﴿تجديد افتتاح ونا كسدايضاح واجبات السلطان﴾

يتعين على من رزقه الله نعمة السلطنة وحلاها بعقد ها وآتاه أزمة حل الاور
وعقد ها وجعله نائباً في حياية بلاده ورعاية عباداه فاليه مآل مرجعها ومرتد ها
أن يصرف عين عناية ونظر يقظة في عشرة أمور (الاول) حفظ بيضة الاسلام
والدين في ناحيته لئلا يقوى عليه مشوكة كافر أو يصل اليه سيد فاجر وذلك باقامة
الامراء والاجناد (الثاني) يتعهد الاعمال والمحسون والمغفور باعتبار احوال
ولايتها واختيار رجال حلتها والبدار في اصلاح عبادها وخطايرها ومهمات
(الثالث) السياسات لدفع المفسدين وردع المعتدين فان بها يتم سعي الرعايا
لتحصيل المعاش والأقوت ويعم نفع الانسان بالاسفار التي لا تحصل الا بأمن
الطرقات (الرابع) اقامة حدود الله تعالى المانعة من ارتكاب المحارم الوازنة
من اقتراب الجرائم الزادعة عن اكتساب المظالم فتعد جعلها الله تعالى لحفظ
النفوس وحراسة الاموال وأمر باقامتها فلا يجعل اسقاطها بشفاعة ولا سؤال
(الخامس) دوام تمسك بحبل الشريعة والتزامها واعتماده في أمره على نقضها
وابرامها واعتباره أمور القضاء بأحكامها واعتناؤه باقامة قضائتها وحكامها
فينصب صلحاء القضاة لقطع النزاع وصيانة الاموال والمحقوق عن الضياع
ويحفظ ذاتهم أن يمتد اليه يد الانقطاع من ذوى الاطماع واقامة العمود المحتاج
اليها الى مالها من الاوضاع (السادس) اقطاع الامراء والاجناد وأرزاق ذوى
الحقوق من العباد وترتيبهم على مقدار منازلهم وأحوالهم وتفصيلهم بما يوجب
تفاضل الاحتياج اليهم في أعمالهم (السابع) جباة الاموال لاجتلاب انواعها ومواطن
الغلال التي بها تنموية البلاد باعتبار مزارع ضياعها وأن لا تأخذها الا بالحق والعدل
فهو أكبر حارس لها من ضياعها (الثامن) استخدام الكفاة والامناء واستعمال
النصحاء والاقوياء لتكون الاحوال بكفاءتهم وقوتهم ملحوظة مضبوطة بأمانتهم

ونصحبهم بحفوفة محفوفة * (التاسع) أمور العامة بان يجلس لها في وقت من الاوقات
لكشف المظالم واقامة قريضة العدل لازالة المظالم * (العاشر) التطاع الى متجددات
الاحوال وحوادث الامور واستعلام ما يتجدد منها بحسافة طريان مدروه ومحدور بان
يجعل لها عيوناً بصيرة زدها وثقات يعتمدون رصدها فان حوادث الاقدار تغلب
الموافق مخالفاً والامين خائناً والناصح غاشوا والساكن مضطرباً فاذا تطالع الى معرفة
متجددات الاسباب ظهر له الخطأ من الصواب وعلم الحق من المربط فبادر الى اصلاح
الحلل وازالة الاضطراب بهذه الامور الفسفرة الاصول التي ينشأ منها شعب متفرعة
وهي قواعد واسخ تفتي عليها أحكام متنوعة فاذا الحظ لها بعين يقننه وأدته
نكرها في باب معرفته حتى حوزة ملكه وقام بجوابه لله تعالى عند مسأله
فان السلطان نائب الله في خلقه وراعي أمورهم وكل راع مسئول عن رعيته
﴿الباب الثاني في الولايات﴾

قد تقدم القول مشروحاً في الباب الاول فيما يعتمد عليه السلطان وهذا باب مفقود
ليان ما يعتبر في التسامح بمصالح الممالك المباشرة تفصيل احوالها فان
السلطان وان كان يعتمد التطاع والنظر في ذلك فانه نظر كلي اجنالي غير تفصيلي
ويكون النظر في التفصيل والقيام بحزبات الامور والاعمال مفوض الى من أقامه
السلطان وولاه واستنابه فيما هو أهل لما تولاه فعلى السلطان في ذلك وظيفة *
(الوظيفة الاولى) ان يعلم انه نائب قد أقامه تعالى في عباده وارتضاءه من بين خلقه
لرعاية بلاده فيعمل في نيابته عن الله ما يحب أن يعمل من يستنابه من ممالكه
وعبيده على وفق مراده * (الوظيفة الثانية) أن يحذر رأيه ويعمل فكره في
اختيار من يفوض اليه شيئاً من أعمال مملكته ويستخدمه في بعض احوال دولته
ويؤليه أمراً من أمور رعيته فان أفعاله هم اليه منسوبة وأعمالهم عليه محسوبة
* وقد عاقل وزير الملائكة عينه ويده وكاتبه نطقه وحاجبه خلقه ورسوله
لسانه فيعتبر فيمن يؤليه أربع صفات لابد منها المعرفة والديانة والكنانة والامانة
فان تقوى الامرالى من لا معرفة له به ولا علم عنده فيه جدير باضاعته والى من
لا دين له ولا تقوى فيه جدير بافساده والى من لا كفاءة فيه ولا نهضة له جدير
بوقوع الحلل فيه والى من لا أمانة له جدير باحتناء عملة لنفسه فهذه الصفات
الاربعة هي عناصر صلاح الاعمال بالعمال ومواد نجاح مساعي ولادة الاحكام

والاموال وقد أشار القرآن الكريم في قصة يوسف الصديق عليه السلام الى اعتبار هذه الصفات حيث قال انك اليوم لدينامكين أمين قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فالمكانة والامانة والحفظ والعلم أصل فيما ذكرناه من الاوصاف الاربعة ثم الديانة والامانة وصفان معتبران على الاطلاق من غير اضافة الى امر معين ولا عمل مخصوص اذ لا يمكن ثبوتها بالنسبة الى جهة ونفهمها بالنسبة الى جهة وأما الكفاءة والمعرفة فهما وصفان اضافيان مختلفان باختلاف الاعمال فانه قد يكون الانسان كافيا في عمل عارفا به ولا يكون كافيا ولا عارفا بعمل آخر فغيره فالمعتبر حصول الاوصاف في المثولي بالنسبة الى العمل الذي فوض اليه واعتمد فيه عليه وهذا تفصيل طبقات الولايات وهي خمس طبقات الاولى الوزارة الثانية الولايات للاثنا عشر المكتبات * اثمالة ولاية الجديش والجنس الى اربعة ولايات ديوان الاموال * الخامسة سائر الحاشية

الوزارة

الطبقة الاولى الوزارة الوزير هو قطب الدولة ومدارها وزيد المملوكة وسوارها يستضيء السلطان في ظلم المهام بأخبار تديره ويحمل عنه أعباء ما يحدث من قبله وكثيره وجليله وحقيقه وقتيله ونفيره فعليه بذل مجهوده ليصيب الصواب بسهام هممه ويصوب أنوار آرائه فينبجس من التدبير عيون ديمته فلا بد لذلك من وزير يعضده ومدبر يشغف المناكر يؤيده وقد صرح الكتاب والسنة باتخاذ الوزير والاستتھار به في التدبير فقال سبحانه وتعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وزيراً من أهلي وقال عز وجل ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ولي شيئاً من أمور الناس وأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً ان نسي ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد غير ذلك جعل له وزيراً سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه * واختلاف الناس في اشتقاق هذا الاسم على ثلاثة أوجه * أحدها انه مأخوذ من الوزر وهو الثقل فان الوزير يحمل عن الملك أثقاله * وثانيها انه مشتق من الوزر وهو المجأ ومنه قوله تعالى كلا لا وزر أي لا مجأ للملك يلجأ الى رأي الوزير ومعرفة وتديره * وثالثها انه مأخوذ من الازر وهو الظهر ومنه قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام أشد به أزر أي قو ظهري فالملك يقوى بالوزير كقوة البدن بالظهر ولما كان

هذا المنصب في نفسه جليلا كان التأهل للقيام بوظائفه قليلا فان المتقدمين من فضلاء العظماء ذكروا في صفات مباشرة شرحا طويلا وجعلوا من جل أمانة الوزارة من الاوصاف المتعسرة عبثا ثقيلا والخصها ما كتبه المأمون في اختيار وزير ليرتاد اليه فقال اني التفت لامورى رجلا جامعا لمخصال الخير ذاعفة في خلافة واستقامة في طرائقه قد هذبته الآداب وحسن كتبه الوقائع وأحكمته التجارب ان ائتمن على الاسرار قام بها وان قلدهمهمات الامور نهض فيها تسكينة المحكمة ونهضة العلم تكنيه اللحنطة وتغنيه اللحنطة لهصوله الامراء وأناة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء ان أحسن اليه شكر وان ابتلى بالاساءة صبر لا يبيع نصيبا من يومه بغير ما غده يسترق قلوب الرجال بخلافة لسانه وحسن بيانه فهذه صورة ما نقل من كتاب المأمون ولقد أشار في هذه الكلمات الموجزة والألفاظ المختصرة الى رموز تحسبها كنوزا وفي رمزه المستور ووصفه للرجل المذكور بيان نهوضه بمهمات الامور ومن نهض بمهمات الدولة وأمور المملكة وانتصب لها الزمان يحمل أثقالها ويزيح اختلالها ويصلح أحوالها ويحفظ رجالها ويقرأ أموالها ويستخدم الكفاة الثقات ويوليهم أعمالها ويلزمهم محبة العدالة واعتدالها ويحذرهم عاقبة الظلم ووبالها وينكلمهم نكال الظلمة الخونية والاثم يتفقد تفاصيل أحوالهم ويراعى تصرفهم في أشغالهم ويتطلع سرا وجهه الى أقوالهم وأعمالهم فمن وجدته منهم قد نسي ذكره أو غفل عن شيء بصره أو أخطأ عن سهو وعن البدور عذره ومن أحسن منهم في عمله وثمره وقام فيه بواجب حقه ووفره خصه بزيادة رعايته وأعلى مكانته وشكره ومن خان عهد أمانته وفطر في ولاية عاقبه وعزله وعززه ويعتق بجبهات الاموال وحراسة أسرارها وفتح أبوابها وضبط حسابها وحفظ حسابها وبث الاحسان في مظان اكتسابها واعتماد العدل والانصاف في استخراجها واجتلابها فان كثرة الاموال وقتلها بقدر المعرفة باحتسابها من شعابها من جزى مقرره وتجائر معشره وأنرجة محضرة وعشور محرره وقسم مقدره وغنائم موفره وفي من جهات غير منحصره هذا الى زكوات واجبه وأجور لازمة لازبه وديات دماء ذاهبة ومحرر مناخاة راتبه ومستخرج معادن غير ناهيه وعداد نعم سائمة لاسائبة ووظائف عن أكره عامله تاصبه الى غير ذلك من تزييع مزارع وتوزيع قطائع وتوسيع مراتع وتوزيع مواضع وتجميع طوائع فهذه جهات أموال

جعل الشروع بيد السلطنة تمام استخراجها ويمكن من استيفائها سلوك طريقها
ومنهاجها وفرض فيها حدودا يجب رعايتها عند صرفها واخراجها فإذا أقام وزير
المملكة في جهات الأموال توابا بين لهم تفصيل هذا الاجمال وحرصهم على
حسن التوصل الى استخراج الاموال وعرفهم الطرق المفصلة اليها لئلا يشبه
عليهم الحرام بالحلل وأمرهم بالتسارع الحق واجتناب الباطل على كل حال
﴿وزير التفويض﴾

ثم ان وزير الدولة والمملكة لا يخلو من أن يكون وزير تفويض أو وزير تنفيذ فان لكل
واحد من هذين القممين حكم يخصه ووضعيا لزمه فان وزارة التفويض أعلى
المرتبتين وأعظم المنزلتين وهي أن يفوض السلطان الى الوزير تدبير المملكة
والدولة برأيه وبسباده ويجعل اليه امضاء أمورها بمقتضى نظره واجتهاده فهذه
ولاية لا يكتفي فيها مجرد الاذن بل لابد من عقد وتصريح فيقول قلدك مالك تنسابة
عني أو قد استنبطت فيمالي أو ما يقوم مقام ذلك قال فوضت اليك ووزارتى أو
ذكره بصيغة الجمع للعظيم وقال قد فوضنا اليك الوزارة ففي انعقاد وزارة
التفويض بهذا القول وحده خلاف والمختار أنهما تتعقد وتحصل الولاية فيستفيد
بهذه الولاية بسط اليد ونفاذ الحكم في أمور المملكة والتصرف في أحوال الدولة
بما يقتضيه نظره واجتهاده من تولية وعزل واطلاق وبذل واستخدام وقطع واعطاء
ومنع ونقص وزيادة وابداع واعاده وتسلط على كل ما للسلطان فعله من أمور
المملكة الاعلى شيئا فانه ليس له فعلهما ولا يستفيد منهما بمطلق هذه الوزارة
أحدهما اقامة ولي العهد الثاني عزل من ولاية السلطان وأقامه فان فعل ذلك
وأقدم عليه فإنه لا ينفذ ولا يعتبر شرعا « وزير التفويض وان عمت ولايته وشارك
السلطان في حكمه فعليه وظيفة لا بدله من اقامتها بحسب عليه فعلها وهي أن يطلع
السلطان بما أمضاه من عمل وما أنفذه من ولاية وتعليق يدو على السلطان أن يتأمل
أعمال الوزير وما قد أصدره من الرأي والتدبير ويتفقد ذلك فساوجه على
وفق الصواب قرره وتركه وما رآه على خلاف ذلك رده واستدركه * فهذه زبدة
ملخصة ونبذة مختصرة في وزارة التفويض

﴿وزارة التنفيذ﴾

وأما وزارة التنفيذ وهي دون وزارة التفويض فان حكمها أضعف
وشرطها أقل اذ السلطان هو القائم في المعنى بالتدبير فيها والقضايا

صادرة عن رأيه ونظرة وهي أن يقيمه السلطان واسطة بينه وبين الناس
يؤدى عنه ما أمره ويطاعه بما يرد عليه وينفذ ما أمره ويسمع جوابه
فتدله كما ذكره فهذه الوزارة لا يفتقر في صحتها إلى عقد وتقليد بل يكفي فيها مجرد
الاذن ولا يعتبر في المؤهل لها من الشروط ما يعتبر في القسم الأول لكونه لا بد أن
يكون أمينا فان الخائن لا يعتمد عليه ولا يركن إليه وأن يكون صادقا بحيث يعتمد
على انبائه ويعتقد على قوله في اعادته وابدائه فان الكاذب لا يوثق به وأن
يكون قليل الطمع حتى لا يستمال بالرشا والهدايا ولا يخذل بالتخلف في شيء من
القضايا وأن لا يكون بينه وبين الناس تشاجر وتباغض يحمله على ترك الانصاف
ومحبة على الاجحاف والاعتساف وأن يكون عنده فطنة وحس ويقظة نفس ليأمن
التدليس عليه واشتباه الامور لديه وأن يكون خاليا عن الاهواء فان الهوى
خادع الابواب قاطع طرق الصواب وفي الحديث النبوي ما يكمل به هذا الغرض
ويتم وهو قوله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمى ويهم فوزير التنفيذ
لا يجوز له التعرض لمباشرة الحكم ولا النظر في المظالم ولا تقليد متول ولا اقامة
متصرف ولا تدبير جيش ولا حرب ولا تصرف في أموال بيت المال بقبض المستحق
منها وصرف الواجب فيها وهذه كلها مملوكها وزير التفويض ولاجل التفاوت
بين الولاياتين والفرق بين المنزلتين جاز أن يكون وزير التنفيذ مملوكا ولا يشترط
أن يكون حرا وجاز أن لا يكون عالما بأحكام الشريعة وجاز أن يكون جاهلا بأمر
الحرب والمخراج غير عارف به اذ هو سفير بين السلطان والبيعة مظهر وخفي ولا يشترط
في قبول الخبر الحريية ولا المعرفة المذكرة ولا العلم بخصايل الشريعة وهل يشترط
في هذا الوزير الاسلام حتى لو أقام السلطان وزير تنفيذ من أهل الذمة كان جائزا
أم لا اختلف آراء الأئمة في ذلك فذهب عالم العراق الامام أبو الحسن على بن
حبيب البصري وجه الله الى جوازهم وذهب عالم خراسان امام الحرميين أبو المعالي
الجويني الى منعه وعد تجوز ذلك من عالم العراق عشرة لن تقال وخطأ فيهما قال
وهذا بخلاف وزارة التفويض فان هذه الشروط معتبرة من جهة ما تقدم بيانه
من الاوصاف في حق المباشرين لها

كتاب الانشاء

الطبعة الثانية كتاب الانشاء لا بد قبل بيان المقاصد وبيان القواعد من ذكر شيء
من أصل الكتابة ووضعها والتعرض لمن قام بتأليفها ووجهها ثم نعطف عليها
مقصد النرض المطلوب ونضيف اليها ما يتعين من هذا الاسلوب فأقول من وضع

الخط العربي وأقامه وصنع سروفه وأقسامه ستة أشخاص من طسم كانوا تزيلا
عنده نان بن أدد وكانت أسماؤهم أبيض وهو زحلي وكان وسع قص
وقرشت فوضعوا الخط والكتابة على أسماؤهم فلما وجدوا في الألفاظ سروفها ليست
في أسماؤهم المحفوظها وسماهوا الروادف وهي الاء والخاء والذال والضاد والطاء
والعين على حسب ما يلحق سروف الحجل هذا التخصيص ما قبل في ذلك وقيل غيره ونقل
أن أول من أتى أهل مكة بكتابة العربية سفيان بن أمية بن عبد شمس ثم انتشرت
وقيل غير ذلك واستكتب النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث
ابن زهرة فكان يكتب عنه الملوك ويبلغ من الأمانة عند النبي صلى الله عليه وسلم
إلى أن كان يأمره أن يكتب إلى الملوك فيكتب ويطين الكتاب ويخدمه واستكتب
زيد بن ثابت فكان يكتب الوحي ويكتب أيضا الملوك وكان إذا غاب عبد الله
وزيد واحتاج أن يكتب كتابا يأمر من حضر أن يكتب وكتب له صلى الله عليه وسلم
عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي
سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم قال كاتب عضد من وعون مسدد ولا
يدل الدولة والمملكة منه ولا غنائم ساعته ثم مراتب الكتابة المتعلقة بالسلطنة ثلاثة
١. كتابة الإنشاء وهي الطبقة الثانية من هذا الباب وهذه الطبقة مسوقة ليهانها
٢. وكتابة الجيش وهي الطبقة الثالثة من هذا الباب وسأقي ذكرها إن شاء الله تعالى
٣. ثم كتابة الخراج والاموال وهي الطبقة الرابعة من هذا الباب وسأقي ذكرها إن
شاء الله تعالى

كتابة الإنشاء

وكتابة الإنشاء من مقبومات الدولة وقواعد المملكة وصاحبها المباشر
لها في خدمة السلطان معدود من أكرال الأعضاء والأعوان قائم في مقام مقاصده
وأغراضه مقام الترجمان نازل منه منزلة القلب واللسان من الإنسان فإنه المطاع
على الأسرار المحتجج لديه خفايا الأخبار المنتفع به في طريق النفع والضرار
فحاجة الدولة إليه كحاجة الهيم إلى مناساته وذو السقم إلى أساته والمدم إلى
مواساته إذ كم من عصب باغية أراق قلم الإنشاء بشهادتها وكاتب جيش قاب لها
كاتب فردا وهزمها وصياص منيعه نصبت السكيب إلى تسليمها ونواص
عواص اقتادت السطور إلى الطاعة تمامها وأنوف أنفسها خطمها القلم بيرة الأذلال
ونزعمها وصغوف راقفة للترال أزال المثنى عن موقفها وأدمها فهو يقوم من

مناد الدولة ما لا تقوم المغانب ويقوم بنصرة الملك في موافق لا تعمل اليها الكاتب
 وقلب عدو على الدولة استعداء الكاتب باطن انشائه حتى انقلب وليا
 ومباين ما تناسله براءة استدرجه الى أن تركه خفيا ومنا وناه أوجي اليه
 من بلاغته ما قر به خفيا وجيش جاش للقاء تلاحيه من آيات الرغبة والرغبة حتى
 نحر أمراؤه للطاعة سجدا وبكا * هذا الى غير ذلك من الأغراض المهمة
 والمقاصد العارضة الملية التي لا بد للملك من اقامه وظائفها واداء مناسك
 موافقها من تهنيئه يعظم بها قدر النعمة المؤهوبة وتعزية بردها حرارة العبرة
 المسكوبة وشفاة يقتاد بها زمام القبول كحصول المأربة المطلوبة فلهذا
 كاتب الاشياء المعاني علم هذه المعاني ضارب في اعشار العلوم بالقدح المعلى
 واكب من صهوات الفضائل مطالع الخلق الاعلى فان موافقة نعمة وأتممة بضاعته
 شروط براءة معرفة الآيات القرآنية وأسباب نزولها وعلم الاحاديث النبوية
 وكيفية مدلولها وفهم سير الملوك الاولى في أفعاليها وأقوالها والتضلع من
 الحكمة والامثال بتفريدها وتأصيلها والتطلع على وقائع العرب بحملها
 وتفاصيلها والتوسع في أبحر المعاني الشعرية ما بين متقارباتها وطولها فبذلك
 علم زمام البلاغة والبراعة ويرقى بتقديمه على فهم أهل هذه الصناعة فإذا أمره
 السلطان بكتاب تخير له أفصح ألفاظه وأرجح معانيه وجعل مطلع دعائه مستمرا
 بالعرض المودع فيه ويختصر تارة ويطلب أخرى ويستعمل في كل مقام ما هو
 ألين به وأخرى * وقد عفا قال عمرو بن مسعدة وكان تفوق من البلاغة ذرا أخلافها
 وتطوق من البراعة ذرا أصدا فها قال أرنى المأمون أن أكتب بين يديه كتابا الى
 بعض العمال على يد رجل له به عناية لحاجة الرجل عند المكتوب اليه وقال
 أو خما استطعت وبالف في حقه فكتب كافي اليك كتاب واثق من كتب اليه ممن
 من كتب له وان يضيغ بين الثقة والعناية حامله والسلام فلما وقف عليه وقع منه
 بموقع ظهرت لي آثار بشره وبره فالتعبير بالالفاظ الغليلة عن المعاني السكينة
 وابدائها للسامعين في السكيمات القصيرة شاهد الكاتب برحمان فضله حامله
 بلسان الادب كله فهذا النوع من الايجاز في استعمال الحكمة والمجاز معدود من
 دلائل الاجحاز وقد أجمع أرباب علم المعاني والبيان وقطع أعصاب التقدم في هذا
 الشأن أن أوجز كلمة كانت العرب تستعملها وتداولها السذم الغصية وتفضلها
 قولهم القتل أننى القتل وبعدونها واسطة عند الاجحاز ويحمدونها بلسان التفصيل

والامتياز فلما نزل القرآن الكريم وفيه قوله تعالى ولكم في القصص حياة
وقرئت آياته أسماعهم وقطعت فصاحته عن معارضة أطماعهم أذعنوا له بخفض
الجناح ورفض الجساح واعتزفوا برحان هذه الكلمة لما فيها من الكشف والبيان
والتكملة والايضاح ولا غناء عن كشف الغطاء عن وجه هذا الاجال بيد
التفصيل وابداء الوجوه الموجبة لاعترا فهم بالرحمان والتفضيل وهي خمسة *
الاول ان قوله في القصص حياة عوى عن تكرار اللفظ على عن اعادته وقولهم
القتل أنقى للقتل مشتمل على تكرار لفظ القتل وذكرها مرتين والتكرار يسقط
فصاحة الكلام وبخالتهم انساني انه أوجز وأخصر في العبارة وأقل تطويلا فان
حروفه أقل عددا من حروف قولهم * الثالث انه أحسن تأليفا للحروف المباشرة فان
المخرج عند النطق من الفاء الى اللام في قوله تعالى في القصص أعدل
من المخرج من اللام الى الهمزة في قولهم القتل أنقى وهي آخر القتل وأول أنقى
لعدم مخرج ما بين الهمزة واللام وكذلك أيضا المخرج من الصاد الى الحاء آخر
القصص وأول حياة أعدل من المخرج من الالف الى اللام وهي آخر أنقى
ولام تعريف القتل اذ الهمزة تسقط وحسن تأليف الحروف أدخل في الفصاحة
* الرابع اشتماله على اقامة العدل والانصاف بذكر القصص الدال على
المساواة فان القصص مأخوذ من التساوي ومنه سمي المقص مقصلا لاستواء
جانبه واعتدال طرفيه ولا كذلك لفظ القتل وما كان مشتملا على اقامة العدل
والانصاف كان أرجح * الخامس تصريحه بالغرض المطلوب المرغوب فيه وهو
الحياة ولا كذلك قولهم * فظهر بهذه الوجوه تفصيل أدلة الرحمان وتفضيل
المجزلة والايجاز في علم البيان قتي ملك الكاتب جواهر أنواع الكلام وسلك
شعب البلاغة لاستجلاء وجوهها الوسام وأدرك معرفة أقسامها فأبرز في كل
مقام ما يليق به من الاقسام كان قد حاز قصبات الفضل وحصله وفاز بفضل الله
فانه يؤتي كل ذي فضل فضله وحكم له باقتدار غارب البلاغة المغربية واقتياد
مراكب الفصاحة المعربة وجاءت ألفاظ كتبه ولها عذبة وحلاوة وعلمها
بهجة وطلاوة فتستميل القلوب وتلك النفوس وتخدع الابواب فتفتح بها المساعي
وتحصل المقاصد وتم اغراض وتقضي الحوائج فتكون جريدة الورود والصدور
سعيدة في جميع الامور ولا يحصل ذلك الا بسلك شعب البلاغة التي هي

أحكامها الكاتب أصابها كوكب فهمه السائب وهي عشرة شعب الاستعارة والتشبيه والكتابة والايجاز والاطناب والمغالطة والتضمن والاستدراج والمبادئ والمخالف فمنه الشعب العشرة هي أصول ومبادئها فيرجع إليها وأناشير إلى كل واحد منها بذكر حقيقة ووصفه وأكشف وجهه ليعرفه ناظره ولا جهالة بعد كشفه وأوضحه إن شاء الله تعالى أيضا لا يأتيه الاشكال من بين يديه ولا من خلفه

﴿الاستعارة﴾

الشعب الأول الاستعارة وهو أن يحاكي المسمى تشبيهه شيء بغيره ولا يؤثر الاثنان بلفظة التشبيه وأرادته طلبا لزيادة الدلالة مع الایجاز فيستعير اسم المشبه به ويكسوه للمشبه من غير تعرض لذكر المشبه لفظا فيحصل له زيادة فصاحة وحسن بلاغة ومثاله في القرآن الكريم في حق القرية التي كفرت بأنعم الله قوله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ووجه الاستعارة أن الثوب لما كان يحيط بجوانب لا يسهو ويشمله من جهاته استعار اسم الجوع والخوف حيث أراد الاخبار عن احاطة الجوع والخوف من جميع الجهات فأني بنظم هو أبلغ في تحصيل الغرض من الحقيقة ثم أوضح فأنه لو قال جعل الله الخوف والجوع محيطا بهم من جوانبهم كأنه لباس لهم لم يكن فيه من الفصاحة والحسن كإدراكه سبحانه وتعالى من الاستعارة

﴿التشبيه﴾

الشعب الثاني التشبيه وهو الدلالة على أن شيئين اشتركا في معنى هو ثابتا ما دخلت عليه أداة التشبيه في نفسه وهو أشهر معانيه فيجعل المسمى أحدهما التي لم تدخل عليه الأداة مثل الأثر التي دخلت عليه كقول القائل رجل كالأسد ووجه كالتقريب ومثاله من القرآن الكريم في وصف العالم عند خروجهم من القبور يوم المبعث والنفوس قوله تعالى يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر فأنه لما يكون الناس عند خروجهم من القبور مضطربين متعيرين قد طبعوا الجهات بكثرتهم وأسرعوا إلى اجابة الداعي بجركتهم لا يلبى بعضهم على بعض شبههم بالجراد المنتشر وجعلهم مثله نظرا إلى ما ذكرناه من المعنى

﴿الكتابة﴾

الثالث الكتابة وهي أن يريد المسمى اثبات معنى من المعاني ولا يذكره بلفظه

الموضوع له فيعدل الى معنى هو تاليه وورده من الوجود فيأتي به لتحسين كلامه
وايجازه ومثاله من القرآن الكريم في صفة عيسى عليه السلام وصفة أمه قوله
تعالى كأنيا كالان الطعام كنى بذلك عن خروج الخارج منهما لانه من توابه
ورواده فجاءت السكايه أفصح وأجز * الرابع الايجاز قد تقدم ذكره والتنبيه
عليه

﴿الاطناب﴾

* الخامس الاطناب وهو أن يذكر المنشى كلاما ثم يعقبه بلفظ مدلوله حقيقة المدلول
عليه بالكلام الاول تضمينا ينبه بذلك على زيادة وقع هذا المعنى في النفوس وشدة
الاعتناء به ومثاله من القرآن الكريم في قصة الافك في حق عائشة رضي الله عنها
قوله تعالى اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا
وهو عند الله عظيم قوله بأفواهكم اطناب فانه دل على حقيقة ما دل عليه قوله
وتقولون لان القول لا يكون الا بالفم لكن نبه بهذا الاطناب على تعظيم هذا الامر
المرتكب وشدة وقع وقبحه وأكثر فضلاء الكتاب يستعملونه في الوقائع المعنى بها

﴿المغالطة﴾

* السادس المغالطة وهو من أحسن ما يتعانا المنشى المجيد ويعتمده الكاتب الفريد
ويختص بمراقف ما على حسن استعانة الها فيها من مزيد وهو ان المنشى أو المتكلم
بكلام يدل على معنى له مثل أو نقيض في شئ ويكون المثل أو النقيض أحسن
موقعا لأرادته والايهام به ومثاله من القرآن الكريم في حق المنافقين وقد صدرت
منهم حركات وكلمات في حق النبي صلى الله عليه وسلم بالاستزراء والاستحذار فقل
تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب فغالطوا في الجواب عن ذلك
بهاتين اللفظتين الموهمتين صدق ما كانوا فيه حتى كذبهم الله تعالى بقوله قل أبالله
وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن

﴿التضمين﴾

* السابع التضمين وهو أن يأخذ المنشى الآيات القرآنية والاخبار النبوية
والامثال العربية والايات الشعرية فيجعل سمجعات كتابه مشتملة على شئ منها
فتارة يأخذ الآية كاملة وكذلك الخبر والمثل والبيت وتارة يقتصر على شئ منها
يقيم بها فقر سمجعه فيكتسى كلامه بهار وتارة أشرافا ويعذب عند سامعه مذاقا

وهو شعب عني به أكبر الفضلاء وأكثر ما يستعمل في الخطب والمواظفة
بين وقعها ويحسن وضعها

﴿الاستدراج﴾

(الثامن) الاستدراج وهو أن يصوغ المثنى لغرضه ألفاظا يكسوها من اللطافة
والبراعة ما يندفع بها الألباب لينقاد معه إلى مراده وهذا الشعب وإن كان خفيا فهو
الركن الأعظم والسسن الأقوم في هذه الصناعة وكل من لم يبلغ في البلاغة إلى
أحكام مقامات الاستدراج فقليل ما ينفع مسعا ويسعف بمغتاه وإذا تأمل المتأمل في
القرآن الكريم وجد فيه من حسن الاستدراج والتوصل ببلاغته وفصاحته مواضع
كثيرة منها في قصة موسى عليه السلام لما أراد أن يتقل قومه من أرضهم إلى غيرها
فأخبر الله تعالى عنه بقوله وإذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم
أذ جعل فيكم أنبياء وجعل لكم ما وكأنا كم لم يوث أحد من العالمين فبسط آمالهم
وأسمعهم ما سر نفوسهم واستدريجهم به إلى قبولهم ما يأمرهم به ثم قال لهم مطلوبه
ومقصوده وهو قوله يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم وفي هذه الآية
وأما الهامن آيات الاستدراج من الحكم ما يحيط بأسرارها من رسخ في علم البلاغة
أخص قدمه وأنجست عيون البراعة من شق قلبه

﴿المبادئ﴾

(التاسع) المبادئ وهو أن يجعل المثنى فاحشة كآله وأوله دليل على المقصود
الذي أنشأه له فينظر إلى الغرض المطلوب فيجعل التخميد أو الدعاء أو التضمن
مشعرا بذلك فإنه من أعلى مراتب البلاغة وفي القرآن الكريم من المبادئ
والافتتاحات مواضع كثيرة تخرق عقول الفضلين بفصاحتها من قول تعالى في
أول سورة النساء وغيرها يا أيها الناس اتقوا ربكم فإنه افتتح كلامه بالدعاء الذي
يستفتح أبواب الاسماع ويستحضر الأذهان لأجل الاستماع وهذا الشعب
عظيم النفع لمن حققه لا يفتح باب الأمن طريقه

﴿المخالص﴾

(العاشر) المخالص وهو أن يجعل المثنى بين المعنى الذي ينتقل عنه وبين المعنى
الذي ينتقل إليه تعلقا وارتباطا بحيث يكون الكتاب المشتمل على المعاني
المتعددة والألفاظ الكثيرة من أوله إلى آخره كالشتم في سلك واحد يأخذ
بعضه بأزمة بعض وفي القرآن العظيم من ذلك مواضع تطرب ويستعذب

أوضاعها منها قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء فمن تأملها حق التأمل
من أولها سوره وقوله تعالى وائل عليهم نبأ إبراهيم اذ قال لايه وفوه ما تعبدون الى
آخر القصة علم كيف تكون الفصاحة في ارتباط الكلام بعينه ببعض والتخلص
من معنى الى غيره فانه جمع في هذه القصة المختصرة من المعاني العظيمة وتخلص من
بعضها الى بعض بالالفاظ المتتابعة ما صار فيه من له ذوق في علم البلاغة
فهذه الشعب العشرة هي قواعد أصول الكتابة التي تستقر بها أوصافها وتدر عليها
انحلافها فيرجع الى معرفة البلاغة والفصاحة من على المعاني والبيان ولا غناء
لن حصل علم ذلك وأدركه ودخل في سننه وسلكه أن يعرف حال الحروف المتقاربة
والمباعدة والحروف المتصاحبة والمتضادة ليفتح بذلك أفعالها ويوضح أشكالها
ويشرح أشكالها فان حال التراجع عنوان فضل الكاتب وبرهان فكره الصائب
وفهمه الثاقب فان معرفة حال الحروف في ذلك من أسبابه اللوازم للوزن *
وقد استقصيت الكلام في أقسام الحروف وتركيبها وتسهيل معرفتها وتقريرها
وافهام تأليفها للمعنى بهائي الكتاب المسمى بالسكوكب الناجم في معرفة
التراجم ولولا ان الاسهاب موجب للاختصار والادناية من سبب الاختصار وان
الاولى ساوكة سبيل الاختصار والميل الى الاختصار والاختصار لما اقتصر لسان
القلم على هذا المقدار ولتضمن محاسن الانشاء ما يجار منه أولو البصائر
والابصار

﴿كتابة الجيش﴾

﴿الطليقة الثالثة كتابة الجيش﴾ أجمع أرباب الدراية بتسيير الممالك
ومن انتصب لاصلاحها يا يصالح الطرق والممالك ان من حراسة الممالك
وسياسة الدولة ضبط أمور الجيش وحفظ أحوال الجند فانه قطب مدارها وسبب
استقرارها فمتعين الاعتناء به والنظر في وظائف كتابته فان شأنه أرفع ديوانه
أجمع وعليه أوسع لاسم في دولة فسيحة الاطراف واسعة الاكاف قد فذلكت
جريدة جيشها على آلاف فيحتاج الى ترتيب منازلهم على أقدار طبقاتهم وضبط
مقاصير أقطاعهم ونفقاتهم ورعاية مبادئ مندهم وأوقاتهم وتعيينهم بالاسماء
والكنى وتعريفهم بالوصاف والحلى واعتبارهم واختبارهم واتقادهم لازالة
زيف التليس واعتماد ما يؤمن من الاشتباه والتدليس والتعقظ لهذا الامر
والتحفظ فيه من أعظم الاغراض فان كثيرا من الدواب والاسلحة يستعار

ويستأجر يوم الاستعراض وقد قرر المتقدمون في ذلك أوضاعا أوضحوها وأنواعا
شرحوها في تعيين الاقتداء بسلوك طريقهم ويجب في ذلك اتباع مجازهم
وحقيقتهم وأول من دون الديوان في الاسلام وضبط الامور عن الانتشار وجا ط
الاحوال بيد الاستظهار ونزل أرباب الارزاق على مراتب الاقدار وجعل
ماقرره من العطاء والقرارات متصفا بمقدار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فإنه لما اتسعت خطة الاسلام وامتدت أقطاره وظهرت آثاره وكثرت
أنصاره وصارت ترد على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حول الاموال
من جهات الولاة والعمال شاور فيما يعتمد عليه رعاية لها هو الاحوط ورعاية لاقامة
ما هو الانفع والاضطربا ذورأي من الحسابات الاقل ما عنده وبذل في المناسبات
بعده حتى قال خالد بن الوليد رضي الله عنه يا أمير المؤمنين اني كنت رأيت مملوك
الشام قد سد و نواديونا وجندوا جنودا في سائر عمر رضي الله عنه واستدعى عقيل
ابن أبي طالب رضي الله عنه ومخرمته بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا نساب قريش
وقال اكتبوا الناس على منازلهم فقالوا بئس بدأ فقال عبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ابدأ بنفسك فقال عمر رضي الله عنه اني حضرت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبدأ بئس هاشم و بنى المطالب فبدأ عمر بهم
ثم بمن يليهم من قبائل قريش بطناء بعد بطن حتى استوفى قريشا ثم انتهى الى
الانصار فلما استقر ترتيب الناس في الديوان على منازلهم فضل بينهم في العطاء
فجعل أرزاقهم متفاوتة يعتمد سابقتهم في الاسلام فقبل له كيف تفاوت بينهم
وقد تساوا في الاسلام فقال كيف أسوي بين من هاجر الهجرتين وصلى
الى القبلتين وبين من أسلم عام الفتح وخوف السيف وليس من قاتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم كمن قاتل معه ثم قدر وضع الديوان وزاد بال سابقة وفضل كل من شهد
بدراني عطائه وفضل على بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطليحة بن عبيد الله والزبير بن
العوام وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وفرض لنفسه مثل واحد منهم وألحق
بهم العباس بن عبد المطلب والحسن والحسين رضي الله عنهم لكانت منهم من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعمل في ذلك ما هو معدود من العدل والانصاف وجعل ترتيب
أسماء المترتبة وتنزيل قرارهم من قواعد الديوان فافتدى الناس بعده بطريقته
وعملوا في ذلك بمقتضى سنته * اذا وضع ذلك فالذي يجب اعتباره ويتعين استمراؤه
ويعتمد في ديوان السلطنة بثبوته واستقراره على قسمين قسم يختص بصاحب ديوان

الجيش وقسم يختص بصاحب ديوان الاعمال * أما ما يتعلق بصاحب ديوان
الاموال فيأتي مشروحات شاء الله تعالى

﴿صاحب ديوان الجيش﴾

وأما ما يتعلق بصاحب ديوان الجيش فأمور كثيرة لسكن اذا ذكرت أصولها لزمها
فروعها وهي اثبات المستخدمين من الجنود وعظائمهم وقراراتهم من الاقطاع والنقد
ولسكل واحد من هذين الامرين شروط لا يجوز الاخلال بها ولا ينبغي الاعراض
عنها * أما الاثبات والاستخدام فانه يستدعي اعتبار صفات خمسة منها واحد مختلف
فيه وأربعة متفق عليها أما المتفق عليها فالبلوغ والاسلام والسلامة من أسباب
العجز كالزمن والعمى وكل ما يمنع القتال معه فأما المخرج فان كان من يستخدم
ليقاتل راجلا فيمنع الاستخدام فلا يشبهه وان كان ممن يقاتل راكبا فانه لا يمنع من
الاستخدام فيثبتته وازايجع أن يكون قوي البنية عارفا بالقتال غير جبان فهذه
الاربعة المتفق عليها وأما المختلف فيها فالمخرية اعتبرها الشافعي رضي الله عنه
وأسقط اعتبارها أبو حنيفة رضي الله عنه فاذا كانت هذه الصفات حاصلة في واحد
وطلب أن يكون في الخدمة ليثبت في ديوان الجيش ويجرد عن الاعمال الشاغلة
والموانع القاطعة فيثبته وفي الامران كان الاحتياج يدعو اليه وان لم يكن هناك
حاجة داعية فلا اذا استخدم وأثبت في ديوان الجيش فان لم يكن معروفا مشهورا بل
كان خاملا مغفورا فخله كاتب الجيش ويصفه ويذكر ما يميزه به ويعرفه ولا يقتصر على
مجرد اسماء فان الاسماء قد تتوافق والالقب قد تتطابق ثم يضيفه الى مقدم يعينه
أو نقيب بحيث يرطاه ويعرفه فاذا أثبتهم نزلهم منازلهم على أقدارهم وراعى في
ترتيبهم أسباب اعتبارهم ولا اعتبار ترتيبهم جهتان جهة عامة وجهة خاصة

﴿ترتيب القبائل﴾

أما الجهة العامة فترتيب القبائل والاجناس فاذا كانوا عربا اعتبر القبائل والانساب
فيقدم في ترتيب العطاء واثباته الاقرب فالاقرب من شجرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويعتبر في ذلك قاعدة أنساب العرب فان أنسابهم على ست طبقات شعب ثم
قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة فالفخذ يجمع الفصائل والبطن يجمع الانفاذ
والعمارة تجمع البطون والقبيلة تجمع العمائر والشعب يجمع القبائل فالشعب هو
طرف النسب الاعلى من جهة البعد والفصيلة طرف النسب الادنى من جانب
القرب فعندنا مثلا شعب فخته تشعب القبائل ومضر منها قبيلة ثم من القبائل

العمائر فنها قريش عمارة ثم من العمارة البطون فثم عبد مناف فطن ثم من
البطون الانفاذ فثم عبد المطلب فخذ ثم من الفخذ الفصائل فثم عبد الله أبو النبي
صلى الله عليه وسلم فصيلة وعلى اعتبار ذلك ترتيبهم على قرب أنسابهم وسابقتهم في
الاسلام وان لم يكونوا عربا وكانوا أجناسا مختلفة فالأول والآخر والديلم وغير ذلك
من الاجناس فيعتبر في ذلك تقدمهم في الاسلام فان لم يكن لهم تقدم بأن استوفوا فيه
أو لم يعلم حاله فيعتبر قريش من ولى الامر فان استوفوا فيه يعتبر أعلاهم درجة في
طاعة الله ونصرته فهذه الجهة العامة

وأما الجهة الخاصة بعد التساوي في الجهة العامة يعتبر في تقدم الواحد على غيره
التقدم بالسبق فان استوفوا فيه فالتقدم بالشجاعة فان استوفوا فيه فولى الامر ان
شاء يتقدم بالقرعة وان شاء من يقتضيه نظره واجتهاده فهذا ما يتعلق
بالترتيب والتنزيل وأما عطاؤهم فعليه النظر في حال المرتبتين في ديوان
الجيش واعتبار ما يحتاج اليه كل واحد منهم في سنة لنفسه وأولاده ولوازمه
ومما يليه ودوابه من طعام وكسوة وعلاوة ومائد وعطائه اليه ثم بعد اعتبار
ذلك يعتبر بحاله في الغلاء والرخس فيقدر له ما يكفيه لذلك كله ويستغني به لسنه ثم
يتفقد آخره كل حين فاذا زاد في ثألته ولوازمه زاده بقدر ما يتجدد ويعتبره
كل سنة ثم يختلف أهل العلم اذا كان قراره ما يكفيه ويقوم بموته فكثرت
أموال بيت المال وتجددت زيادات وزادت متجددات فهل يجوز ان يزداد قراره على
قدر كفايته ويعطى قسطا أو ثألا على ذلك فذهب الشافعي رضي الله عنه الى انه
لا يزداد على قراره الذي يكفيه ولا يعطى بسبب الزيادة المتجددة لبيت المال زيادة
فيه وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه الى جواز الزيادة عند اتساع المال
ترتيب المعاش والكلام على الاقطاعات

ويجعل اصرف قرارهم المأوقته معينة في السنة أما في أولها أو في وسطها وان جعله في
كل فصل جاز فان عرا على أحدهم موت أو قتل وله ذرية صار ما كان قد استحققه في
المدة الماضية حقا لهم يطالبون به وأما في المدة المستقبلية فقد اختلف العلماء في
أن نفقة ذريته هل تصرف اليهم من القرار الذي كان باسمه في الديوان أم لا فذهب
من أوجب له لتوفر دواعي الناس على الخدمة وبذل النفوس في الطاعة ومنهم من منع
ذلك لا تقطاع الاستحقاق بموت المستحق وكذلك اختلفوا لو طرأ زمانه على
المستحق فهل يبقى استحقاق نفقته في عطائه الذي كان مقررا باسمه أم يسقط على

الخلاف المذكور ولو أرادولى الأمر قطع بعض الجند المستخدم فى الجيش واسقاطهم من ديوانه فان كان قد ظهر منهم ما يوجب قطعه أو حدث عدو يقتضيه جازله ذلك ولا جناح عليه وان لم يكن شئ من ذلك فلا يجوز قطعه وان أراد بعض الجند اخراج نفسه من الديوان وقطع الخدمة فان كان عنه استعناء جازله ذلك ولا يمنع منه وان كانت الحاجة تدعو اليه فلا يجوز واذا جردت طائفة من الجيش للقضاء عدو فامتعت من ذلك فان كانوا كفاء العدو سقط قرارهم ومستحقهم ولا يصرف اليهم وان ضعفوا عن العدو لكثرة فلا يسقط ومن ماتت دابته فى حرب عوص عنها وان نال سلاحه فى قتال عوص عنه وان لم يكن داخل فى قراره * وأما الاقطاعات فيلزمه امعان النظر فى تحرير اعتبارها وتقدير غيرها بنسبة بدارها وتقدير متحصلها بتقدير مغلها الممدد تحتلف فى ريعها وأسعارها واخراج ما بين أول الحبل والاقطاع من المدة عن أجزاءها فى استنبالها واستنبالها ثم اثبات ما على فلاحى النواحي المقطعة من الحقوق المقررة والرسوم المقررة واللوازم المقررة والقسم المعتمدة وتنزيلها فى منشور عن حوت تلك الناحية فى اقطاعه وقراره وذكر الاشتراط عليه فيه أنه لا يتعدى حده بتناول ما يغير ذلك عن استقراره واستقراره ثم يضبط حدودها بقطعه ثم لا يحد أحديده الى زيادة فى مقدارها ثم يحتاج كلاً فى تكميل عدة الرجال المضاعف استخدامهم اليه وعدة الاسلحة التى أرجبها شرع الخدمة عليه ويستعرض البرك التام الذى به يستظهر على الاعداء والحروب ويعتبر فى دفع جوارح الاسلحة عند اللقاء عن الرأكب والمركوب هذا الى اقامة حساب الجرائد وادامة العمل بتكميل أسباب المقاصد واجراء كل ما يتعلق بالجيش على أجل قواعد العوائد * فهذه جل من أصول عمل الجيش بحكمها العارف بقرائنها المستغنى بدرايته ومعرفته عن شرحها وتبيينها

﴿ كتابة ديوان الاموال ﴾

﴿ الطبعة الرابعة ﴾ كتابة ديوان الاموال وهى طبعة صاحب الديوان لما كانت السلطنة لا يتم نظامها ولا ينتظم تسامها ولا يدوم أحكامها ولا يحكم دوامها الا بالامراء والاجناد والرعايا والقواد والعساكر الاجلاد فى الجلا دوه ولا يصح جامع طاقتهم ولا يقرب نازح خدمتهم الا بأموال تدر أخلافها عليهم وأرزاق كافلة فيه تصل اليهم ولا جرم كانت الاموال فى الحقيقة للسلطنة قواما وتشمل استقرارها واستمرارها نظاما فيجب الاهتمام بحفظ جهات الاموال وتسميرها وتعيين القيام بتسهيل موادها

وتيسيرها

وتيسيرها ولهذا منظم مطلوب الوزارة الاعتناء بأموال الاموال وتيسيرها ومساخ
الديوان وان كان فرعاً من فروع الوزارة فان ولايته واسعة من يالته جامعة ومكتبة
في جهات الاموال بتقصيره وتشميره خافضة رافعة وهو في الحقيقة كافل لرجل
الملكة وحاصل انقالها وعامل انمو الدولة وحارس اعمالها ونائل كناية
آرائه لتوفير جهاتها وتيسير اموالها وبذل جهده في ادامة جوارها بعد وفائدها
وخفاثرها وأرزاق رجالها فيتعين عليه أولاً حصر الجهات الاموال واقسامها
وتلخيص في تقاصيلها واحكامها وحيث كانت الاموال التي جعل الله تعالى بيد
السلطنة زعام استخراجها وناط بنظرها اقامة منهاجها وحاط بسياستها مواد
امساجها وأوجب عليها سلوك سنن الحق والانصاف في اخذها واخراجها
متنوعة المواد بمختلفة الافواع متسعة الاعداد متعددة الاتساع مرتفعة الازداد
متزايدة الارتفاع يكاد لسان القلم ان رام حصرها أن يعترضه حصر أو تطاول
الى استقصائها أن يمنعه قصر وجب ذكر اصول الاموال دون فروعها فانه يلزم
قبل بيان تالي كل قضية بيان موضوعها فاذا أحكم صاحب الديوان معرفة
أصول الاموال استظهر على استخراج احكامها وقدر على استقناح مقصد الولاية
ومرامها * وأصولها عشرة بخوية وخراج وعشور وأجور وكوات وأمان
ومقاسمات ومسايج وغنيمات وفي عهدنا ولكل واحد من هذه الاموال
أحكام سوغها الشرع ورسوم قررهما الوضع والتخير يصح على ابداء شعارها
والبحث على اجتناء شعارها من لوازم الوزارة وانارها وصاحب الديوان هو المباشر
للقيام بواجبها المتأخر على انعام روايتها

(الجزية)

(الاول) الجزية قال الله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا
الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون الجزية هي البراءة المأخوذة
بعقد الذمة من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وتؤخذ من الجوس وفي
السامرة والصائبة بخلاف ولا تؤخذ الجزية من امرأة ولا مملوك ولا عبيد ولا مخدوم ولا
خنثى مشكل وأقل الجزية ديناراً أكثرها مئوب الى الاجتهاد والاولى أن يكون على
الفنير المكتسب دينار وعلى المتوسط ديناران وعلى الثغنى أربعة دنانير فان قرر عوضاً
عن الدينار دراهم كان عوض كل دينار اثني عشر درهماً ومن مات منهم أو أسلم

وَجَنِّ بَعْدَ تَمَامِ السَّنَةِ لَمْ يَسْقُطْ عَنْهُ مَا وَجِبَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ السَّنَةِ فَالْحَكِيمُ أَنَّهُ لَا يَسْقُطُ مَا مَضَى مِنْ أَعْسَرِ بِهِ أَلَمْ تَسْقُطْ عَنْهُ وَإِذَا أَيْسَرُ تَوَخَّسَ مِنْهُ وَلَا يَجُوزُ اسْتِقْطَاؤها وَالْمَسَاحَةُ بِهَا

﴿الخِراج﴾

* الثَّانِي الْخِراج قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَقَدْ رَجَعْنَا إِلَى رِيبِكُمْ خَيْرٌ مِنْهُ وَخَيْرُ الرَّاغِبِينَ الْخِراج هُوَ الْمَالُ الْمُؤَدَّى عَنْ وَقَابِ الْأَرْضِ بِشَرْطِ مَخْصُوصٍ وَالْأَرْضُ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ * الْأَوَّلُ مَا أَحْيَاهُ الْمُسْلِمُونَ فَذَلِكَ أَرْضٌ عَشْرًا لَا يَكُونُ عَلَيْهَا خِراج * الثَّانِي مَا أَسْلَمَ عَلَيْهِ أَحْيَايَهُ فَهُمْ أَحَقُّ بِهِ فَعِنْدَ اللَّهِ أَهَى أَرْضٌ عَشْرًا لَا يَكُونُ عَلَيْهَا خِراج * الرَّابِعُ مَا كَانَ قَدْ صُوِّغَ عَلَيْهِ الْمَشْرُوكُونَ مِنْ أَرْضِهِمْ فَهِيَ أَرْضُ الْخِراج ثُمَّ مِنْهَا مَا يَكُونُ أَهْلُهُ قَدْ أَخْلَوْا عَنْهُ فَتَصِيرُ ذَلِكَ الْأَرْضُ وَقَعًا عَلَى مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ وَيَضْرِبُ عَلَيْهَا الْخِراج وَتَكُونُ أَجْرًا مَقْرَرَةً عَلَى الْإِبْدَالِ تَوْثَرُ فِيهَا الْجَهَالَةُ وَلَا يَجُوزُ بَيْعُ هَذِهِ الْأَرْضِ الْمُخْتَصَّةِ بِهَذَا الْخِراج وَمِنْهَا مَا يَقِيمُ أَهْلُهُ فِيهِ وَيَصَالِحُونَ عَلَى إِقْرَارِهِ بِأَيْدِيهِمْ * بَخِراج يَضْرِبُ عَلَيْهِمْ الْخِراج الْمَضْرُوبُ عَلَى الْأَرْضَيْنِ بِخِتْلَفٍ مُتَسَاوٍ بِاخْتِلَافِ غَسَاءِ الْأَرْضِ فَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا ضَرَبَ الْخِراج عَلَى سُودِ الْعِرَاقِ اشْتَرَى ذَلِكَ وَكَانَ كَسْرَى أَوَّلَ مَا مَسَّحَ السُّودَ وَضَرَبَ عَلَيْهِ الْخِراج فَرَأَى مَا يَحْتَمِلُهُ الْأَرْضُ وَلَمَّا بَعَثَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عُثْمَانَ بْنَ حَنْفَلَةَ إِلَى الْعِرَاقِ أَمَرَهُ بِالْمَسَاحَةِ وَوَضَعَ مَا تَحْتَمِلُهُ الْأَرْضُ فَمَسَّحَ وَوَضَعَ عَلَى كُلِّ جَرِيبٍ مِنَ الْكِرَامِ وَالشَّجَرِ الْمِائَتَةَ عَشْرَةَ دِرْهَمًا وَمِنَ النَّخْلِ ثَمَانِيَةَ دِرْهَمًا وَمِنَ قَصَبِ السَّكْرِ سِتَّةَ دِرْهَمًا وَمِنَ الرُّطْبَةِ خَمْسَةَ دِرْهَمًا وَمِنَ الْحَنْظَلَةِ أَرْبَعَةَ دِرْهَمًا وَمِنَ الشَّعِيرِ دَرَاهِمَ فَبَعْدَ ذَلِكَ كَانَ عَمَلُهُ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ وَعَمَلٌ فِي أَرْضِ الشَّامِ غَيْرَ ذَلِكَ رِعَايَةً لِأَحْوَالِ الْأَرْضِ وَانْتِلَافَ أَحْوَالِهَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَوَاجِهٍ الْأَوَّلُ لِذَاتِهَا الثَّانِي لِذَاتِ الْمَزْرُوعِ وَالثَّلَاثُ قِيَمَتُهُ فَإِنَّ الْحَنْظَلَةَ أَعْلَى مِنَ الشَّعِيرِ الثَّلَاثُ لِحَالِهَا فِي السَّقَى وَغَيْرِهِ فَرَأَى هَذِهِ الْأَحْوَالَ فِي ضُرُوبِ الْخِراج لَمْ يَجْعَلْ بِأَحَدٍ مِنَ الْجِهَتَيْنِ

﴿العشور﴾

* الثَّلَاثُ الْعَشُورُ وَالْعَشْرُ يَنْتَقِسُ إِلَى قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا يَجِبُ فِي الزَّرْعِ الَّتِي سَقِمَتْ بِسَاءِ السَّمَاءِ عَلَى تَفْصِيلٍ فِيهِ وَمِنْهُ مَا كُورِي فِي الزَّكَاةِ الثَّانِي مَا يَوْخِذُ مِنَ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ إِذَا دَخَلَ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ أَهْلَ الْحَرْبِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ الْمَتَاخِمْ لَهُمْ وَقَدْ اسْتَقَرَّ الصَّلْحُ مَعَهُمْ عَلَى أَخْذِ الْعَشْرِ أَوِ الْخُمْسِ أَوْ أَكْثَرُ مِنْهُ أَوْ أَقَلُّ مِنْهُ

أثبت ذلك الشرط في الديوان حفظا لا اعتبارا وإن كان فاوت فيه بين الامتعة وأنواع الاموال أثبتته أيضا وقرره واستوفاه على مقتضى الشرط أما أعشار الاموال المنتقلة في دار الاسلام من بلد الى بلد فمنوع منه شرعا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس العاشرون

﴿الاجور﴾

الرابع الاجور وهي أجرة كل مكان من حقوق بيت المال أو جارية شرعية ولا يجوز أن يؤجر مكانا ليساع فيه خرا أو ما جائسه ولا يحل ذلك له عند الشافعي رضي الله عنه

﴿الزكوات﴾

الخامس الزكوات وهذا نوع عظيم الاحكام كثير الاقسام فان الزكاة تتعلق بالذهب والفضة والابل والبقر والغنم وعروض التجارة والزروع والثمار والمعدن والركاز فاما الذهب فانه اذا بلغ عشرين مثقالا فصاعدا تعلق وجوب الزكاة به فيجب منه ربع العشر والفضة اذا بلغت مائتي درهم فصاعدا وجب فيها ربع العشر واما الابل فأول نصابها خمس الى خمس وعشرين يجب فيها عن كل خمس شاة وفي الخمس والعشرين بنت مخاض وعمرها سنة فصاعدا الى ستة وثلاثين وفي ستة وثلاثين بنت لبون وعمرها سنتان فصاعدا الى ستة وأربعين وفي ستة وأربعين حقة وعمرها ثلاث سنين فصاعدا الى احدى وستين وفي احدى وستين جذعة وعمرها أربع سنين فصاعدا الى ستة وسبعين وفي ستة وسبعين بنتا لبون الى احدى وتسعين وفي احدى وتسعين حقتان الى مائة وحدى وعشرين ففيها ثلاث بنات لبون ثم يستقر الحساب في كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة واما البقر فأول نصابها ثلاثون وفيها تبيع وعمره سنة وفي أربعين سنة وعمرها سنتان وهكذا الحساب واما الغنم فأول نصابها أربعون وفيها شاة الى مائة وحدى وعشرين وفي مائة وحدى وعشرين بنتان الى مائتين وواحدة وفي مائتين وواحدة ثلاث شياه ثم في كل مائة شاة واما عروض التجارة فتقوم ويعتبر المحول ورأس المال والربح على تفصيل مبسوط فيه ويؤخذ منه ربع العشر بشرائطه واما الزروع والحبوب القطن ان سقيت بماء السماء أو السج فيؤخذ منها العشر بعد التصفية والتقية وان سقيت بالنواضح يؤخذ منها نصف العشر اذا بلغ مقدارها ثمانمائة منا

فصاعدا ولا يمنع من أخذ ذلك كون الأرض المزروع فيها خراجية بل يجمع بين العشر والخراج عند الشافعي رضي الله عنه وأما المعدن فيؤخذ مما يخرج منه من ذهب أو فضة خمسة على قول وربع عشره على قول وأما الركاؤ فيؤخذ ان كان دفن المجاهلية خمسة اذا كان في موات وفي تفاصيل شروط الزكوات وجوبا واستخراجا وصرفا واخراجا أبحاث كثيرة ومساائل متعددة لا حاجة الى تسطيرها في هذا الكتاب وفي القدر المذكور ومن التنبيه على أنواع الزكاة كفاية في هذا الباب

﴿أمان المبيعات﴾

(السادس) أمان المبيعات قد تدعو الضرورة في بعض الاوقات عند تضاعف مواد الخراجات وتراد في ذوى الحاجات الى سد بثق وعمارة ثغر وتجهيز جيش وهجوم عدو ومداراة معاند ودفع خارج وتنسيق الاموال الحاصلة والنقود المنتشرة عن الوفاء بذلك فيجوز بيع شيء من الاملاك المتقلة الى بيت المال رعاية للاغبط واعتناء بالعمل الاحوط وكذلك أمان مبيعات دنوانية وأعوانى مصالحات عن أمور سلطانية كل ذلك من أمور السلطنة وحقوق المباسكة ويتعين عليه في بعض ذلك ما يتعين على الوكيل المطلق من رعاية ثمن البثل والنقدية والتحول

﴿المقاسمات﴾

(السابع) المقاسمات لا يكاد يخفى حكم المقاسمة على من انتصب لخدمة السلطان ورسم نفسه بصاحبه الديوان والتم بالولاية جمل أعباء هذا الشأن متى خرجت مسايح الاوضين من الديوان وكان قد تقررت القسمة مع أربابها بحجزه معلوم من ثلث أو ربع أو غير ذلك من الاجزاء يجب اتباع ذلك ولا يجوز أخذ الزائد على المشروط وقد تقدم استخراج العشر من الغلال وطريق ذلك المقاسمة مع أرباب الاموال

﴿الغنيمة﴾

(الثامن) الغنيمة وهو ما يؤخذ من الكفار بالقتال والايحاف فأربعة أخماسها للغانمين وخمسها يخمس نفسه عصبه لا يصالح العامة

﴿الفيء﴾

(التاسع) الفيء وهو كل مال يؤخذ من الكفار من غير قتال وكل ما هو بواعنه وكل

مال مات عنه من لا وارث له وهي الاموال المحرقة

﴿المعادن﴾

(العاشر) المعادن أجناس والعلماء قد اختلفوا في مقدار ما يؤخذ منها وفي الجفيس المأخوذ منه والمختار ما تقدم في نوعه في الزكاة فان كان لها قراره ثبت في الدين وان اجتهد من تقدم فيعمل به وان لم يكن هنالك قرار فعلم بما ذكرته * فهذه اصول جهات الاموال السلطانية ومواد الحقوق الدوانية وهي وان كانت مختصرة الالفاظ فلها لازم وثواب وفروع مبسطة المعاني لا يجوز اغفالها ولا اهمالها ويستعمل النقطة في المطالع الى احوال المستخدمين بين يديه ويتبع قضايا من استنباه في بعض الاعمال واعتمد عليه ويلزم كل عامل بحساب عمله ويؤاخذ به بما يظهر عليه من خلله ويسترفع شواهد الاعمال لاوقاتها ويستطلع عوائد العمال في خلواتها فن احضر حساب عمله محررا ووجدته فيمساها شعرا لا طائنا ولا مقصرا ولم يكن في حليته اللعب واللهو ومنهم من لا مشهورا استخدام استخدامهم وادام اكرامه وزاد احسانه اليه وانعامه وشكر نهضته في عمله وقسامه ومن نكسب منهم عن سنن الصواب وركب مطا الاضطراب قطعته عن مباشرة الاسباب وجرعه من الاهانة صاب الاوصاب وليجتهد في أن لا يدخل عليه في شئ من احواله خلل ولا يتطرق اليه من جهات الاعمال والعمال زال فانه مطالب بعهدته ما تقلده محاسب في الدنيا والآخرة على ما اعتقده

﴿الطبقة الخامسة﴾

سائر الخاشية المرتبين بصدد المهام المستبدين للقيام باتمام المسراد والمرام المعدودين من اصحاب المناصب الجسام والمراتب الوسام فيجب نراهم عن موافق التهمة واحترازهم عن سوء ظن الرتبة واتصافهم بالامانة واجتنابهم وصمة الخيانة خصوصاً من كان منهم ناقلا عن السلطان واليه وشهد في الحقيقة له وعليه وهو المرتب للعجبة والمستندب للرسالة فان أدنى زلل يقع منهما أو أقل خلل يصدر عنهما يفتح باب فساد لا يستد بشفه ويقدر في الدولة قدحا يتسع خرقه فلهذا اعتبر قديما فيمن يقوم بالمصالح معرفة ودين وأمانته وصدق ومروءة ونزاهة نفس لئلا يستمال بشئ من الرشوة فيضيع مصالح الدولة والقلم في هذا المقام مقال واسع ولن

تقدم من العظام فيه كلام نافع لكن صدق عن بسط لسان القلم به عذر من الاطالة
 مانع وعلى المجلة فاهماله واعفاله سيف قاطع وسيم نافع
 (القاعدة الثالثة في الشريعة والديانات)

الشريعة هي المحجة الواضحة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعها
 والحجة القائمة التي أدحض بها شبه المبطلين وقطعها الطريق على المثل التي يشاها
 على قاعدة الوحي والتنزيل ووضعها والحقيقة العليا التي أعلاها الله على جميع
 الشرائع والمثل ورفعها فهي سبيل يفضي بالسالك الى الصراط المستقيم ودليل
 يهدي متبعه الى الفوز العظيم ولقد تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيضاء
 نقية للمأثورين وأقام لها شاهدا من القرآن الذي هو لسان صدق في الأولين
 والآخرين وجعل لها حجة وحجة شهادات الملوك وحجتها العلماء وأما الملوك الذين
 أقامهم الله تعالى لحراسة الدين وحفظ الملة وحماية الشريعة فقد تقدم القول في
 تفاصيل صفاتهم وفيما يتعين اعتقاده من صنوف تصرفاتهم وأما العلماء فهم القائمون
 بحملها المعنوية بنقلها المحسوسون عساه نقلها في الحقيقة هم بأحكام أحكامها
 معتنون يعتدونها ذرايهم لا ينفخ مال ولا ينون وقد رفع الله تعالى بعضهم فوق
 بعض درجات واختص من يشاء منهم من لطفه بجزايا وصفات فأقدا رهم مرتفعة
 بالصفات دون الذوات ومرتبتهم بالعلم متفاوتة بحسب ما رزقوا منه من الثمرات
 فلا جرم منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات أما النظام
 لنفسه فهو الذي لا يعمل بعلمه ولا يقف عند واجب الشرع وحقه فهو على الحقيقة
 تابع هو بائع هداه فينبغي أن لا يفوض اليه أمر ديني ليتولاه فان لا ينصح
 نفسه خليف به أن لا ينصح من سواه وأما الأخوان فجدير بهما أداء أمانة
 ما تمحلاه وحقيق بهما النهوض بأعباء ما تقلداه فان الأعمال الدينية هي ابدأ
 مبدأ أهل الاهتداء الى طريق الحلال والحرام والاعتناء فيما يعرض من الوقائع
 والاحكام والقضاء بين المتنازعين لفصل الخصام والاعتناء بأمور المستضعفين من
 الايام والايام ثم الحسبة التي هي من شعائر الاسلام وهي مشاركة للقضاء في
 كثير من اقسام التقض والابرار هذا الى تعليم العلم ونشره وتفهم غامضه
 وذكره واشتغال كل فقيه بمقدار ما يحتمله اذا قدر فهمه حتى قدره الى غير ذلك
 من الامور الدينية التي منعت الشريعة المطهرة من اهمالها وأوجبت على من

هو ظل الله في أرضه النظر في أحوالها وحرمات عليه الاعراض عن تقديدها
مخافة اختلالها من أوقاف قصدوا وقفها للتقرب إلى الله تعالى ليعرفوها إلى
جهات الاستحقاق وايصالها إلى أربابها لينالوا بها سيرة الارتفاق وهم المخصصون
المتعلقون عند الله تعالى بمطلها وماله من الله من واق والغرماء المتعلقون
في عرسات القيامة من مبعثها يوم حجة واجسدة مالها من قواق وكيف لا وهي
سبب خير كثير وباب كبير من امانة أسير واغانة فقير واسعاد فقير واسعاف
طالب علم وارفاة صوفي ومبرة عابد وثقة منقطع وسد فاقة محتاج واطلاق
محبون وصلة رحم وجبر كبير ومداواة مريض واقامة وظائف مدارس
العلم التي بها تحفظ أحكام الشريعة وادرار أرزاق عمرة المساجد باقامة
الجماعات من الأئمة والمؤذنين والقومة والقراء فهذه الأصول من قواعد الديانات
والفصول المعتمدة من محاسن الحسنات لا يجوز تفويتها الا إلى متصف
بما شرطته الشريعة الشريفة من الصفات واعتبرت وجوده في حجة تقليد
هذه الولايات من عدالة لا يجوز العدول عنها وأمانة لا يصل الانحلال بها
وكفاة لا ينبغي الخلو منها فان تولى شيئاً من هذه الاعمال فاسق أو خائن أو
عاجز لا يصح ولايته ولا تحسب مباشرة ويكون من ولاء ذلك عالمه عاصياً
آثم يظالمه الله عز وجل يوم القيامة بعهدته ويؤاخذ به بقوله اذا ظهرت هذه
الجملة فتفصيل القول فيها ان أركان أصولها وفصولها المذكورة أربعة الفها
والقضاء والمحبة وأمر الاوقاف ولكل واحدة من هذه الرتب شروط تخصها
وأمر تتعلق بها وأحكام تنبئ عليها وهذا بيان شافي يشرح هذه الأركان
وأهايا ويوضح أن من لا أهلية له لا يحل أن يتعرض لها

والركن الأول الفتياء

الفتيا وهي ركن عظيم من الشريعة وعليه عول الصحابة رضي الله عنهم بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتدى بهم التابعون ومن بعدهم إلى زماننا
هذا والكلام في صفات المباشرة للفتيا القائم بها وهو المفتي المسلط على أحكام
الشريعة نصاً واستنباطاً فلا بد له من أوصاف يصير بها متوصلاً إلى استخراج
الأحكام وأهلاً لقبول قوله في الحكم المستفتى وهي العقل والبلوغ والعدالة
واجتناب المعاصي القصادة فيها ومعرفة اللغة وفهم كلام العرب وعلم النحو

والاحاطة من القرآن الكريم والا حاديث النبوية بما يتعلق بالاحكام والعلم بما
يختص بذلك من ناسخ ومنسوخ وعام وخاص ومطلق ومقيد ومحمل ومبين ومقدم
ومتأخر ومتواتر واحاد وصحيح وسقيم واجماع وخلاف واقوال الصحابة والمجتهدين
وكذلك يعلم اقسام الاحكام من الواجب والمندوب والمجائز والمحرام والمكروه
واقسام الاوامر والنواهي وما يتعلق بها وعلى الجملة فمعرفة اصول الفقه شرط
لابد منه واذا حصلت هذه الصفات وكانت هذه الشروط فلا بد معها من غيرة
نفسانية لا تحصل بالاكتساب فتاعة النفس واستقامة الذهن بحيث يحصل
بها استكمال هذه الاسباب لمعرفة الحكم المستقضى فيه فان قيل فمن لم يعرف هذه
الاسباب ولا حصلت له هذه الصفات هل يجوز ان يفتي وهل تقبل فتواه قلت
ان فقد العقل او العدة فلا يجوز له الافتاء بالاجماع فان قول الفاسق ومن لا عقل
له لا يقبل وان كان عاقلا عدلا ونقل الحكم عن غيره وحكاه عن امام درج الى
رحمة الله تعالى فقد اختلف الناس في جواز فتياه فذهب بعضهم الى انه لا يجوز
ومنعه منه وذهب آخرون الى جوازه توسعة للامر على الناس ورفعها عنهم

الركن الثاني القضاء وشروطه

القضاء وهو من أعظم الاركان وقعا واعمالها نفعها وعليه مدار مصالح الامة
عقلا وشرا والمقصود به نصب ميزان العدالة في الاحكام وفصل القضايا بين الانام
عند الخصام وبسط بساط التناصف بين الخاص والعام في النقض والابرار وان
يتم هذا المقصد من مباشرة الا اذا كان كثير من الاخلاق النبوية من صفاته
وما ثره من متانة دين نزعته عن موارد الهوى ومصادره وغزارة علم يهتدي
بنوره في باطن كل امر وظاهره وعفة نفس تحميه عن مواقف التهم وشرف همته
تحمله على اكتساب مكارم الشيم ونزاهة تقي عوضه عن أن يتهم فيما به حكم
وأن يكون متضلعا من معرفة آداب القضاء متعلما بتجربة قد كشفت له حقائق
الاشياء رحيب الصدر ثابت الرأي لا تتزعزع حصاته اذا طاشت ثوابت الآراء
هذامع الارتداء بجلباب الوقار والتدرع بشعائر النزاهة عن الاكدار والتجنب
لفعل كل ما يحوج الى الاعتذار وسلوك السنن القويم عساه يكون أحد القضاة
الثلاثة الذين في الجنة ولا يكون أحد الا نحرين اللذين في النار فان قيل قد اُجِلت
القول في الجلباب الذي يتعين على الحاكم الارتدائه وأعرضت عن تفصيل ما يجب

التبعية عليه من لوازم القضاء وآدابه وكنت عن السنن القويم الذي من باغ
 عنه حكم عليه بقطعه ومن أمه واقفاه حصلت له النجاة بسببه ومن لم يعلم تفاصيل
 الآداب وعين بين القشر واللباب ففصل أيها المصنف ما أجلته وبين ما أهملته
 ليعلم عند تتبع أحكام المحكام أي الفريقين أحق بالامر من العطب وأي
 الحزبين يقال لهم انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب
 قلت اعلم ان ولاية القضاء تستدعي تقدم أوصاف في مباشرها حتى يجوز له الارتقاء
 إلى ذروتها ويستحق آداباً يؤمر بحكم الولاية بالقيام بها والاستمساك بعروةها
 وأنا الآن أفصل كل واحدة من هاتين الحالتين المذكورتين في جهتها أما الأوصاف
 المشروطة في هذه الولاية فهي الإسلام والحريّة والبلاغ والعقل والذكورة
 والسلامة في السمع والبصر واللسان ولا يشترع بالعقل الذي هو مناط التكليف بل
 ينبغي أن يكون صحيح التمييز جيد الفطنة بعيداً عن السهو والغفلة يتوصل بذلك
 إلى وضوح ما أشكل وفصل ما أعضل ثم العدالة وهي أصل في ذلك ومدارها على
 اجتناب الكبائر وترك الأضرار على الصغائر وجفّة المروءة والكبيرة من
 الذنوب ما يوجب جدّاً وقيل ما يحق الوعيد لفاعله بنص الكتاب أو السنة والصغيرة
 ما ليس كذلك من الذنوب ويندرج فيما ذكرناه على رأى بعض الأصحاب
 أن من ترك فريضة واحدة من الفرائض مع العلم حتى تخرج وقتها من غير عذر
 فلا عدالة له وكذا من اعتاد ترك السنن الرواتب وسدّ مسالك الركوع والسجود
 وأما المروءة فهي حسن السيرة ومحاسنة الدنيا فتخلص من ذلك أن يكون
 صادقاً للهجة ظاهر الأمانة عفيفاً عن المحارم متوقفاً للآثم بعيداً من الريب
 آموناً في الرضاء والغضب معتمد المروءة مثله في دينه ودينه وأن يكون
 عالماً بالأحكام الشرعية عارفاً بالكتاب والسنة والاجماع والاختلاف والقياس
 ولغة العرب ولا يشترط معرفة ذلك جميعه بل يعرف من الكتاب والسنة
 ما تقتضيه الأحكام إليه بحيث أنه يقدم المحكم على المتشابه والمخاص على العام
 والمبين على الجمل والتامخ على المنسوخ وبين المطلق على المقيد ويقضي بالمتواتر
 دون الآحاد والمسند دون المرسل والمتصل دون المنقطع وبالاجماع دون
 الاختلاف ويعرف أنواع الأدلة وما يتعلق بها ليرجع بعضها على بعض ويعرف
 أقسام الأقيسة ليتوصل بها إلى الأحكام فإنه ليس كل حكم منصوصاً عليه
 وأقسام القياس المتبعة ثلاثة جليّ وواضح وخفي فالجلي ما يقع السامع عليه بأول وهلة

من غير اعمال فكر وهو أنواع بعضها أجلي من بعض وأما القياس الواضح فهو أن
يستنبط علة الحكم من محل الحكم المنصوص عليه وبأخذ معنى الاصل بكلمه في
الفرع وأما القياس الخفي وهو قياس الشبه فهو أن تكون المحادثة الواقعة تشبه
أصلين مختلفي الحكم ويكون أحدهما أكثر شبيها بهما من الآخر فيلحق بالأصل
الذي شبيهه أكثر وهذه الاقسام الثلاثة أرجحها القياس الجلي فإنه لا يحتمل
الامعنى واحدا فأشبه النص ولهذا يجوز نقض المحكم اذا وقع على خلافه
بختلاف القسمين الآخرين وأما الآداب التي يؤمر بها فأمور كثيرة منها ما هو
واجب ومنها مستحب وأنا أشير الى بيانها على وجه الاختصار فأقول ينبغي
أن يكون شديدا من غير عنف لينامن غير ضعف ويجعل مجلسه في وسط
البلد لتستوى الجهات اليه ويتخذ كاتباً عدلاً أميناً كاملاً العقل عارفاً
بشروط الكتابة ومجلسه قريباً منه ويتخذ قاسماً أميناً على صفة
الكاتب وزيادة معرفة الحساب لاجل وقائع الاملاك المتجددة وأن يشاور
العلماء في الوقائع الاجتهادية ويستخضر الشهود الى مجلسه وأن ينفرد بسجادة عن
المحاضرين ويبحث الخصمين على الصلح بعد ظهور الحكم له قبل فصله وبته احترازاً
عن التضامن بينهما فان أبيات الحكم عليهما ولا يبيع ولا يشتري بنفسه ولا
يجعل له وكيلاً معروفاً في البلد لئلا يراعيه الناس في البيع والشراء ولا يشغل
عن حال المحبوسين وكشف أمورهم فيطلق من حبس ظلماً ويستديم من حبس
بحق ومن جهل حاله أشاع أمره لينكشف وفي مدة الاشاعة لا يحبس بل يوكل
عليه من يحفظه أو يطالب بوكيل لا غير ثم يتقدم في أمور اليتامى وأموال الاطفال
ومحاسنة الاوصياء ثم في أمور الامناء الذين نصبهم الحاكم قبله ثم في أمور الشهود
ويقيم المزكين والمترجين اذا دعت الحاجة اليهم ولا يقضى عند تغير طبعه واختلال
خلقه بفضب أو خزن أو فرح أو جوع أو عطش أو حر أو برد مؤلم أو عند
مدافعة الاخشين أو عند غلبة النعاس فان خالف وقضى نقد قضاؤه ويحرم عليه
أن يرتشي فان أخذها ففيها وجهان أحدهما أن ترد الى أصحابها والثاني أنها تتحمل
الى بيت المال لمصالح المسلمين واذا حضره خصمان فلا يخص أحدهما باذن
ولا زيادة بشر ولا قيام ولا محادثة ولا نظر ولا يرفع أحد الخصمين في المجلس الا أن
يكون مسلماً وخصمه ذمياً ففيه خلاف ويقدم السابق فالسابق في فصل التضايا
فان تساوا قدم بالقرعة في قضية واحدة فان كان فيهم امرأة أو مسافر ورأى

المصلحة في التقديم قدمه ومهما جرت قضية كتب فيها مكتوباً بشرحها وادّخره احتياطاً ومن جرت منه إساءة أدب في مجلسه عزّره بما يراه ويعزّز شاهد الزور وينبئني أن لا يأخذ في الله لومة لائم ولا يحكم بخلاف علمه قولاً واحداً وفي حكمه بعلمه خلاف مشهور ولا يقضي لنفسه ولا لولده وإن سفل ولا لوالده وإن علا وعلى الجملة فلو بسط القلم لسانه لاستقصاء لوازم هذا الباب واستيفاء مالولاية القضاء من الشروط والآداب لمذّب ذلك أطناب الإطالة والأطناب وتخرج عن الاختصار المشروط في هذا الكتاب وفي هذه النبذة اليسيرة كفاية لمن وعّاها وهداية مغنية لمن رعاها

﴿خاتمة لهذا الركن﴾

من عادة من له خاطر وقاد وفكر نقد وقلب إلى إدراك الفضائل منقاد أنه إذا وقف على القواعد الشرعية في المقاعد العلية والمقاصد المرعية لاسيما في المراسد الشرعية أن يتطالع إلى الوقوف على شيء من جزئياتها ويتوقع معرفة شيء من أحوال سالكى طرقاتها ليكون على بصيرة من التفاوت بين الجامعين أصناف صفاتها المتعارفين وصيّد صفاتها وبين القانعين منها بمنجرد أسماء شبهاتها المتابعين أهواء نفوسهم الأمارّة في ملاذها وشهواتها وهذه وقائع وقضايا صدرت من جماعة من القضاة المتقدمين القسّامين بأحكام المسلمين فيها اعتبار جامع للتوسمين وادّكار نافع والذكرى تنفع المؤمنين تصدع بأن قضاة أشريّة هذا وضعها وولاية أحكام المسلمين هذا صنعها والوقائع الصادرة عنهم كثيرة بعد جمعها وفي ذكر بعضها تبصرة يعم نفعها ويعظم وقعها وقد وقع الاقتصار من أحكامها على ذكر عشرة لا حاجة معها إلى زيادة تذكره

﴿القضية الأولى عن عدل محمد بن عمران الطلحي﴾

قال غير المدنى قديم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلحي متولى القضاء بها وأنا كاتبه فحضر جماعة من الجمالين واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور في شيء ذكره فأرّني أن أكتب إلى المنصور بما محضور معهم أو أنصافهم فقلت له تعفني من ذلك فإنه يعرف خطي فقال أكتب فكنت وختمت فقال والله ما عفى به غيرك فضيت به إلى الربيع حاجبه وجعلت أعتذر إليه فقال لا بأس عليك ودخل بالكتاب على المنصور ثم خرج الربيع فقال الناس وقد حضر وجوه أهل المدينة

والاشراف وغيرهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام و يقول لكم اني دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ولا يداني بالسلام ثم خرج و بين يديه السيد والزبيح وأنا خلفه وهرق في اذان رداءه فسلم على الناس فسا قام اليه أحد ثم مضى حتى بدا بغير اني صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ثم التفتت فلبس آه ابن عمران القاضي أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتجب به وودعنا بالخصوم والجمالين ثم دعا بالمنصور فادعى عليه القوم وقضى لهم عليه ثم انصرف فلما دخل المنصور الدار قال للزبيح اذهب فاذا امام القاضي من مجلسه فادعه فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه فرد عليه السلام وقال له جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حبيبك وعن خليلك أحسن الجزاء قد أمرت لك بعشرة آلاف حسنة لك فاقضها فكانت عاقبة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة فسا أبرك سلك السنن النويم واتبع الصراط المستقيم

القضية الثانية عدل عاقبة بن يزيد القاضي

نقل ان عاقبة بن يزيد القاضي كان يلي القضاء بعد ادله هدي في بعض الايام وقت الظهر للهدي وهو طال فاستأذن عليه فلما دخل عليه استأذنه في من يسلم اليه التمسوا الذي فيه قضايا بمجلس الحكم واستعفاه من القضاء وطلب منه أن يقبله من ولايته فظن المهدي ان بعض الاولياء قد عارضه في حكمه فقال له في ذلك وانه ان عارضك أحد انت كره عليه فقال القاضي لم يحسن شيء من ذلك قال فما سبب استعفائك من القضاء قال يا أمير المؤمنين كان تقدم الى خصمان منذ شهر في قضية مشككة وكل يدعي بيته وشهودا زيد لي بجميع تحتاج الى تأمل وتثبت فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا وأن يظهر الفصل بينهما فسمع أحدهما الى أحب الرطب فعمدني وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب فجمع رطبا لا يتريا في وقتنا جمع مثله لأمير المؤمنين وماريت أحسن منه ورشأ بواني بدراهم على أن يدخل الطبق على ولايتي أن يرد عليه فلما أدخله على أنكرت ذلك وطردت بواني وأمرت بردا الطبق فرد عليه فلما كان اليوم تقدم الخصمان الى فاستساوا في عيني ولا قلبي فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل فسكيف يكون حالي لو قبلت ولا آمن أن تقع على حيلة في ديني وقد قدم الناس فأقضى يا أمير المؤمنين أقالك الله واعفني عفا الله عنك

﴿القضية الثالثة عدل شريك بن عبد الله قاضي الكوفة﴾

روى عمر بن هياج بن سعد قال أتت امرأة يوما شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم فقالت أنا بالله ثم بالقاضي قال من طلائ قالت الامير موسى بن عيسى بن عم امير المؤمنين كان لي بستان على شاطئ الفرات فيه نخيل ورثته عن أبي وقاسمت اخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطاً وجعلت فيه رجلاً فارسياً يحفظ النخل ويقوم به فاشتري الامير موسى بن عيسى من جميع اخوتي وسامني ورغبني فلم أبعه فلما كان هذه الليلة بعث بخمسة مائة غلام وفاعل فاقبلوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئاً واختلط بنخل اخوتي فقبال يا غلام أحضر طينة فأحضر فغتمها وقال امض الى بابي حتى يحضر معك فجاءت المرأة بالطينة المختومة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال قد أهدى القاضي عليك وهذا حتمه فقال ادع لي صاحب الشرطة فدعاه فأتاه فادعى الى شريك وقال يا سبيحان الله ما رأيت أعجب من أمرك امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها على قال صاحب الشرطة ان رأي الامير ان يعفيني من ذلك فقال امض ويالك فخرج وقال لغلمايه اذهبوا واجلوا لي الى حبس القاضي بساطاً وفرشاً وما تدعوا الحاجة اليه ثم مضى الى شريك فلما وقف بين يديه أدّى الرسالة فقال لغلمايه خذ يدك فضعه في الحبس فقال صاحب الشرطة والله قد علمت انك تحبسني فقدمت باأحتاج اليه الى الحبس وبلغ مرسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب اليه وقال له رسول أدّى رسالة أي شيء عليه فقال شريك اذهبوا به الى رفيقه الى الحبس فحبس فلما صلى الامير موسى العصر بعث الى اسحاق بن الصباح الاشعثي والى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضي شريك وقال لهم ابلغوا السلام وأعلموه انه استخفى في واني لست كالعامّة فخصوا اليه وهو جالس في مسجد بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة فلما انقضى كلامهم قال لهم مالي اراكم جئتموني في غيرة من الناس فكلمتموني من ههنا من قتيان الحى فأجابهم جماعة من القتيان فقال لياخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به الى الحبس ما أنتم الا فتنة وجزاؤكم الحبس قالوا له أجاد أنت قال حقاً حتى لا تعودوا الرسالة ظلم فحبسهم فركب موسى بن عيسى في الليلة الى باب السجين وفتح الباب وأخرجهم كلهم فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء جاء السجين فأخبره فدعا باقمطر فغتمه ووجه به الى منزله وقال لغلمايه الحق بقلبي الى بغداد

والله ما طلبنا هذا الامر منهم ولكن اكرهونا عليه ولقد ضمنوا لنا فيه الاعزاز
اذ تقلدناهم ولم يمضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد وبلغ الخبر الى موسى بن عيسى
فركب في موكبه فلحقه وجعل ينشده الله ويقول يا ابا عبد الله تمت انظراخوانك
تعتسهم دغ اعواني قال نعم لانهم مشوا لك في امر لم يجزاهم المشى فيه ولست ببارح
او يرتدوا جميعا ولا مضيت الى امير المؤمنين المهدي فاستعفيتهم عما قلدني فأمر
موسى بردهم جميعا الى المجلس وهو واقف والله مكانه حتى جاء المبعوث فقال قد
رجعوا جميعا الى المجلس فقال لا اعوانه خذوا بالجام دابته بين يدي الى مجلس الحكم
فروا به بين يديه حتى أدخل المسجد وجلس في مجلس القضاء فبات المرأة المنتظمة
فقال هذا خصمك قد حضر فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه قبل كل امر أنا قد
حضرت أولئك يخرجون من المجلس فقال شريك أما الآن فنعم أخرجوهم من
المجلس فقال ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة قال صدقت قال تردما أخذت منها
وتبني حائطها سرى كما كان قال أفعل ذلك قال لها ابقى لك عليه دعوى قالت بيت
الرجل الفارسي ومناعه قال موسى بن عيسى ويرد ذلك كله بقي لك عليه دعوى قالت
لاوبارك الله عليك وجزاك خيرا قال قومي فقامت من مجلسه فلما فرغ قام وأخذ
بيده موسى بن عيسى وأجاسه في مجلسه وقال السلام عليك أيها الامير أنا مر بشئ
فقال أي شئ أمر وضحك فقال له شريك أيها الامير ذاك الفعل حق الشرع وهذا
القول الآن حق الادب فقام الامير وانصرف الى مجلسه وهو يقول من عظم أمر
الله أدل الله له نظام خلقه

القضية الرابعة عبد القاضى شريك أيضا

قال عمر بن أخي خالد بن سعيد كنت من أصحاب القاضى شريك فأتيته يوما
في منزله بأكر الخرج الى في رداء وليس تحته قميص وعليه كساء فقلت له قد أصبحت
عن مجلس الحكم فقال غسيت ثيابي أمس فلم تحف اجلس فجلست ففعلنا نذاكر
باب العبد يتزوج بغير اذن مواليه قال ما عندك فيه ومائة قول فيه وكانت الخيزران
قد وجهت رجلا نصرانيا على الطراز بالكوفة وكنت الى موسى بن عيسى
أن لا يعصى له أمرا بالكوفة وكان مطاعا بالكوفة فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق
ومعه جماعة من أصحابه وعليه حبة خروطيلسان وتحته برذون فاربه واذا بين يديه
رجل مكثوف وهو يصيح واغوثاه أنا بالله ثم بالقاضى واذا في ظهرا نار

السياط فسلم على شريك وجلس الى جانبه فقال الرجل انا بالله ثم بك أصلحك الله
 انما رجل أعمل هذا الوشي أجرة كل شهر مائة أخذني هذا منذ أربعة أشهر
 واستنسى في طراز يجري على القوت ولي عيال قد ضاعوا وهلكوا وأقبات
 اليوم نحوهم لأراهم فلحقني ففعل بظهري ما ترى فقال القاضي قم فاجلس مع
 خدمك يا نصراني فقال أصلحك الله يا أبا عبد الله هذا من خدم السيدة مربية الى
 المحبس قال قم وبلك واجلس معه كما يقال لك فجلس معه فقال ما هذه الأثارة التي
 يظهرها الرجل من أثرها فقال أصلحك الله القاضي انما ضربته أسواطاً بيدي
 وهو يستحق أكثر من ذلك مربية الى المحبس فألقى شريك كساءه ودخل داره وأخرج
 سوطاً ثم ضرب بيده الى مجامع ثوب النصراني وهو يقول لا تضرب والله بعدها
 المسلمين فهم أعوانه أن يخاصوه فقال شريك لفتيان المحي خذوا هؤلاء الى المحبس
 فهرب الاعوان وبقي النصراني فضربه أسواطاً فجعل يبكي وهو يقول ستعلم فلما
 فرغ من ضربه ألقى السوط في الدهليز وقال لي يا أبا حفص ما تقول في العبد يتزوج
 بغير إذن مواليه فخذنا فيهما كفافيه كأنه لم يصنع شيئاً وقام النصراني الى
 البرذون ولم يمكن له من تمسكه فجعل النصراني يضرب البرذون فقال له
 شريك أرفق به وبلك فانه أطوع لله منك ثم قال خذ فيهما كفافيه قال عمر فقلت له
 ما لنا ولهذا القذفات اليوم فعساه ستكون لها عاقبة مكرهه فقال لي أعز
 أمرا الله يعزك الله خذ فيهما كفافيه فذهب النصراني الى موسى بن عيسى فقال
 شريك ففعل في كيت كيت فقال له والله ما تعرض لشريك ففضي النصراني الى
 بغداد ولم يعد بعدها الى الكوفة

القضية الخامسة عدل عبيد بن طيبان قاضي الرشيد بالرقعة

قال الزبير بن بكار حدثني حمي مصعب قال كان عبيد بن طيبان قاضي الرشيد بالرقعة
 وكان الرشيد اذ ذاك بهما فجاء رجل الى القاضي فاستعدي اليه على عيسى بن جعفر
 فكتب اليه القاضي بن طيبان أما بعد أبقى الله الامر وحقه فله وأتم نعمته أتاني رجل
 فذكر انه فلان ابن فلان وأن له على الامير ابقاء الله تعالى خمسة مائة ألف درهم فان
 رأى الامير يحضر مجلس الحكم أو يوكل وكيلاً ينظر خصمه أو يرضيه ففعل ودفع الكتاب
 الى رجل فأتني باب ابن جعفر فدفع الكتاب الى خادمه فأوصله اليه فقل له قل له كل
 هذا الكتاب فمرجع الرجل الى القاضي فأخبره فكتب اليه أبقاك الله وأمتع

بث حضر رجل يقال له فلان بن فلان وذكر أن له عليك حقاً فسر معه الى مجلس
الحكم أو وكيلك ان شاء الله تعالى ووجه الكتاب مع عوذ من أعوانه فحضر باب
عيسى بن جعفر ودفع الكتاب اليه فغضب ورمى به فانطلقا فأخبراه فكتب اليه
حفظك الله وأمنع بك لا بد أن تصير أنت أو وكيلك الى مجلس الحكم فان أبيت
أنيت أمرك الى أمير المؤمنين ان شاء الله ثم وجه الكتاب مع رجلين من أصحابه ففعلوا
على باب عيسى بن جعفر حتى طاع فقاما اليه ودفعوا اليه كتاب القاضي فلم يقرأه ورمى به
فعادا فأبلغاه ذلك فخرقه طره وأغلق باباً وقعد في بيته فبلغ الخبر الى الرشيد فدعاه
وسأله عن أمره فأخبره الخبر وقال يا أمير المؤمنين اعفني من هذه الولاية قوامه لا أفلح
قاص لا يتيم الحق على القوى والضعيف فقال له الرشيد من يمنعك من اقامته الحق
فقال هذا عيسى بن جعفر فقال الرشيد لا يراهم بن عثمان سر الى دار عيسى بن
جعفر وانضم أبوابه كلها ولا يخرج منها أحد ولا يدخل اليها أحد حتى يخرج الى
الرجل من حقه أو يسير معه الى مجلس الحكم فأحاط إبراهيم بداره خمسمائة فارس
وأغلق الابواب كلها فتوهم عيسى بن جعفر أن الرشيد قد حدث عنده رأى في قتله
ولم يعرف الخبر فجعل يكلم الاعوان من خلف الباب وارفع الصراخ في منزله وضح
النساء فسكنهن ثم قال لبعض الاعوان من غلمان إبراهيم ادع علي أبا اسحاق لا كلمه
فأعلموه فجاء حتى وقف على الباب فقال له عيسى ويحك ما حالنا فأخبره بخبر
القاضي بن طيان فأمر بأحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فاحضرت وأمر أن
تدفع الى الرجل فناء إبراهيم الى الرشيد فأخبره ففعل إذا قبض الرجل ماله فافتح
أبوابه وعرفه أن القاضي من عمل حكمته فيك ما رأيت فأياك ومعارضته

القضية السادسة جراحة عمر بن حبيب القاضي

قال عمر بن حبيب القاضي حضرت مجلس الرشيد يوم اجرت مسئلة فتنازعها
الخصوم وعلت الاصوات فيها فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون
منهم أبو هريرة متهمة في ما يرويه وصرت حوايت كذبه من آيت الرشيد قد نأخوهم
ونصر قولهم فقلت أنا الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة
صحيح النقل صدوق القول في ما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنظر الى
الرشيد نظر مغضب وانصرفت الى منزلي فلم ألبث أن جاءني غلام فقال أجب

أمير المؤمنين اجابة مقتول وتحنط وتسكن فقالت اللهم انك تعلم اني دفعت عن صاحب نيك أن يطعن على أصحابي فسلمني منه فادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي حاسر عن ذراعيه بيده السيف عرين يديه النطع فلما يهرى قال يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحسن من الدفع والرد لقولي بمثل ما تلتئمني به وتجرات على فتعال يا أمير المؤمنين ان الذي قتته ووافقت عليه وجادلت عنه ازراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به فانه اذا كان أصحابه ورواة حديثه كذابين فالشيعة باطلة وانفرائض في الاحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة قال الله يا أمير المؤمنين ان تظن ذلك أو تصني اليه وأنت أولى أن تغار لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله أحييتني أحياك الله أحييتني أحياك الله وأمر له بعشرة آلاف درهم

في القضية السابقة بعدل حفص القاضي

قال يحيى بن الليث باع رجل من أهل خراسان جالا على مرزبان المجوسي وكييل أم جعفر ثلاثين ألف درهم فظله بئمه او عوقه عن سفره فظال ذلك على الرجل فأتى الى بعض أصحابه وشاوه كيف يعمل فتعال اذهب الى مرزبان وقل له أعطني ألف درهم وأحل عليك بالمسال الباقي وأسافر الى خراسان فاذا فعل فعرفني حتى أشير عليك ففعل الرجل وأتى الى مرزبان فأعطاه ألف درهم فرجع الى الرجل فأخبره فتعال له عبد الله وقل له اذا ركب غدا فاجعل طريقك على القاضي حتى أوكل رجلا يقبض المسال منك في دفعات وأروح أنا الى خراسان فاذا جاء وجلس الى القاضي فادع بما لك كله فاذا أقر بحسبه القاضي وأخذت مالك منه فرجع الخراساني الى مرزبان وسأله ذلك فأجابته وقال غدا انتظرنى بباب القاضي فلما ركب من الغد قام اليه الرجل وقال ان رأيت أن تنزل الى القاضي حتى أوكل بقبض المسال وأروح فنزل مرزبان فتقدم الى القاضي وكان حفص بن غياث فقال الرجل أصليح الله القاضي لي على هذا تسعة وعشرون ألف درهم ودعني عليه فقال له حفص ما تقول يا مجوسي قال صدق أصليح الله القاضي قال قد أغرتك قال يعطيني مالي والا تجلس فقال للمرزبان يا مجوسي ما تقول قال هذا المسال على السيدة أم جعفر قال له حفص يا أحمق تقدر ثم تقول هذا على السيدة ما تقول يا رجل قال ان أعطاني مالي

والاحبسة فقال حفص يا مجوسي ما تقول قال المال على السيدة قال حفص خذوا بيده الى الحبس فلما حبس بلغ الخبر الى أم جعفر فغضبت وبعثت الى السندي وقالت وجهه مرزبان الى وعجل فأسرع السندي فأخرجه من الحبس وبلغ الخبر الى حفص أن مرزبان قد أخرج فقال أحبس أنا ويخرج السندي والله لا جالسست للقضاء أو يرده مرزبان الى الحبس وغلق باب بيته فسمع السندي ذلك فساء الى السيدة أم جعفر فقال الله الله في فان حفصا من لا تأخذه في الله لومة لائم وأخاف من أمير المؤمنين الرشيد يقول لي بأمر من أخرجه ردي به الى الحبس وأنا أكرم حفصا فيه فأجابته ورده الى الحبس وقالت أم جعفر للرشيد قاضيك هذا أحق حبس وكيلى واستخف به أكذب اليه ومرة لا يتظر في الحكم فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصا ذلك فقال للرجل أحضر لي شهودا لا سجل لك على المجوسى بالمال وجلس حفص وسجل على المجوسى فجاء خادم السيدة ومعه كتاب الرشيد فقال هذا كتاب أمير المؤمنين فقال له حفص مكانك نحن في حكم شرعى حتى نفرغ منه فقال كتاب أمير المؤمنين فقال اسمع ما يقال لك فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم وقرأه وقال اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأخبره أن كتابه ورد وقرأه وقد أنفذت الحكم عليه فقال الخادم قد عرفت والله ما صنعت أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد والله لا أخبر أمير المؤمنين بما فعلت قال له حفص قل له ما أحببت فجاء الخادم وأخبره أرون الرشيد بذلك فضحك وقال للماجب مر حفص بن غياث بثلاثين ألف درهم فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصا منصرفا عن محاسن الحكم فقال أيها القاضي قد سررت أمير المؤمنين اليوم وقد أملك بثلاثين ألف درهم فما كان السبب في هذا فقال حفص تم الله سرور أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكافته ما زدت على ما فعل كل يوم قال ومع ذلك قال لا أعلم إلا أننى سجلت على مرزبان المجوسى بمال وجب عليه فقل يحيى فن هذا سر أمير المؤمنين قال حفص الحمد لله كثيرا من قام بحقوق الشريعة ألبسه الله رداء المهابة

القضية الثامنة عدل القاضى أبى حازم

قال أبو الحسن عبد الواحد المحصي حضرت امة ضى أبى حازم وقد جاءه طريق الخلدى من أمير المؤمنين المعتضد بالله وقال يقول لك أمير المؤمنين إنسا على فلان

البيع مال وقد بلغنا أن غرماءه أثبتوا عندك أفلاسه وقد قسط لهم ماله فاجعلنا
كأحدهم وقسط لنا فقال أبو حازم قل له أطل الله بقاد إذا كرما قال لي وقت أن
قلدني القضاء قد أخرجت الأمر من عنقي وجعلته في عنقك ولا يجوز أن أحكم في مال
رجل لم تدع الابينة فرجع طريق وأخبره فقال له قل له فلان وفلان يشهدان يعني
رجلين جليين من أعيان الدولة كانا في ذلك الوقت فقال يشهدان عندي وأسأل
عنهما فإن زكيا قبلت شهادتهما والا أذيت مائيت عندي فامتنع أولئك
من الشهادة فزعنا أن لا يقبل قولهما ولم يدفع للمعتض شيئا فهكذا يكون القضاء
السديد

القضية التاسعة نادرة في عدل أبي حازم عبد الحميد القاضي

ذكر ربيع القاضي قال كنت أتقاد لابي حازم عبد الحميد القاضي وقوفا في أيام
المعتض بالله منها وقف المحسن بن سهل فلما استكثر المعتض من عمارة القصر
المعروف بالخلافة أدخل فيه بعض وقف المحسن بن سهل الذي تحت يدي ونظري
وهو مجاور القصر وبلغت السنة آخرها وقد جيت مال الوقف الا ما أخذه المعتض
فجئت الى القاضي أبي حازم فعرفته اجتماع مال السنة واستأذنت في قسمته في
سبيله على أهل الوقف قال هل جيت ماعلى أمير المؤمنين فقلت ومن يحسب يطالب
الخليفة فقال والله لا قسمت الارترفاع أو تأخذ ماعليه والله لئن لم ترح اليه لا وليت له
عملا ثم قال امض اليه الساعة وطالبه فقلت ومن يوصلني فقال امض الى صافي
الحرمي وقل له انك رسول أنفذت في مهم ليستأذن لك فاذا وصات اليه فعرفه ما قلت
لك فجئت فقلت لصافي ذلك فاستأذن لي وأدخلني وكان آخرها فلما صرت بين
يدي الخليفة طلق أن أمرا عظيما قد حدث فقال هيه فقلت اني أتولى لعبد الحميد
قاضي أمير المؤمنين وقوف المحسن بن سهل وفيها ما أدخله أمير المؤمنين الى قصره
ولما جيت مال هذه السنة امتنع من تفرقة الى أن أجبي ماعلى أمير المؤمنين
وأنفذني الساعة قاصدا بهذا السبب وأمرني أن أقول اني حضرت في مهم لا يصل
اليك قال فسكت المعتض ساعة متفكرا ثم قال أصاب عبد الحميد بصافي أحضر
الصندوق فلما أحضره قال كم يجب لك قال قلت أربع مائة دينار قال أفتعرف
الشقة والوزن قلت نعم قال هاتوا ميزانا ثم قال اتزن أربع مائة دينار فقبضتها
وانصرفت الى أبي حازم فعرفته ذلك فقال أضفها الى ما عندك من الوقوف وفرقه

غسدا في سبيله ولا تؤخر ذلك فمن حكم بالحق فقد حكمه وأطيع أمره وأرضى ربه وأبرأ ذمته

في القضية العاشرة عدل اسماعيل القاضي

قال الدارقطني سمعت عبد الرحيم بن القاضي اسماعيل بن اسحاق يقول كان في حجر أبي يقيم فبان له أم وأختا في دار الخليفة المعتضد بالله فقالت أم اليتيم لا ختها كلى أمير المؤمنين حتى يرفع اسماعيل القاضي المجروح ولدى فكلما به فدعا المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهبوز برد وقال له قل لاسماعيل القاضي يغلك المجروح عن فلان فقال له الوزير أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع المجروح عن فلان فقال القاضي حتى أسأل عنه وقام فسأل عنه فلم يجبه عنه برشد فتركه ومضت على ذلك أيام فرجعت والدة الصبي إلى أختها وسألتها أن تعاود أمير المؤمنين وكان المعتضد لا يعاود لحشوته فعاودته فتمثال أليس قد أمرت فتسالت لم يرفع عنه بعد فدعا وزيره عبيد الله ثانيا وقال أمرتك أن تأمر اسماعيل القاضي بأن يرفع المجروح عن فلان فقال قد كنت قلت له عن ذلك فقال حتى أسأل عنه فقال قل له يرفع المجروح عنه فدعا الوزير ثانيا وقال له وأمر المؤمنين يأمرك أن ترفع المجروح عن فلان فأطرق القاضي ساعة ثم استدعى دواة ورقة وكتب شيئا وختمه فاستعظم الوزير أن يختم عنه كتابا ولم يقل له شيئا لحمل اسماعيل من الورع والعلم ثم دفع ذلك للوزير وقال له توصل هذا إلى أمير المؤمنين فانه جوابه فأخذه الوزير ودخل على المعتضد وقال زعم ان هذا جواب أمير المؤمنين ففتح المعتضد الكتاب وقرأه وألقاه وقال لا تعاوده في هذا فأخذه عبيد الله الوزير الكتاب وإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضالك عن سبيل الله

فهذه سيرة القضاة المتصفين بما سبق من الاوصاف المقتضين في أعمالهم طريقة العدل والانصاف فلا جرم استقرت أحكامهم وجرت أقلامهم وشكرت أيامهم ولم تعثر بهم آثامهم

(تنبيه) قد يضرع عظام التقوى في بعض الاوقات ويعم ظهور الفساد لتابعة الشهوات ويدفع الانسان الى المحالة الموعودة بعقائبا على السنة الرواة الثقات وتذهب القرون المشهود لها بالخبرة لتطاول المدد وامتداد الفترات فيقل وجود من يقوم بفصل الاحكام وينصب لقضايا الانام ويتولى هذه المحالة من المحاكم من يحمي الشريعة عن اضعائها ويرعاها حق رعايتها ويتصف بصفات يستحق

بها تلهو ولا يتما ولا يراقب الا الله تعالى في اقامه وظيفتها فحتى جرت بذلك ادوار
الاقدار وتحقق هذا النبأ العظيم واتصل الهوى المتبع بالقلوب فانقطع الصراط
المستقيم وضعف الحق حتى لو نطق لقال من غير نظره في النجوم اني سقيم فلا يعتد
أن ذلك مع ثقاة يجوز ترك الرعايا سدى أو يبيع اغفال احوال القضايا أبدا بل
يتعين العمل بقدر الامكان من المجانبين مقلدا ومقلدا و يطلب من فوض الله
اليه أمر بلاده وعباده الاصلح لذلك اذ لم يجد على سيرة المتقدمين أحدا
* وعما قيل قديما ان الميسور لا يسقط بالمعسور الا اذا كانت الامور طرائق
قددا

الركن الثالث الحسبة

وهي في الحقيقة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وهي من أرفع قواعد الدين
واقامة شعائرها من أقوم المسالك الى القسك بحبل الله المتين وهي ولاية جليلة
لا يقوم بها غير القوى الامين ولا يؤدى فرضها الا من آمن بالله واليوم الآخر
وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين
والنظر فيها يتعلق بقسمين الاول في الشروط المعبرة في القائم بها والمتنصب لها
والثاني فيما يلزمه من أعمالها ويأشبهه من أحوالها أما القسم الاول الشروط
المعتبرة فيه فإن يكون حرا عدلا ذار أى وصراقة وخشونة في الدين عالما بالمنكرات
الظاهرة ليس كرها أمينا لا يقبل رشوة ولا يرتكب خيانة واعتبرا أو سعيد
الاصطخري أن يكون عالما بطريق الاجتهاد وجعل له أن يحمل الناس على
رأيه واجتهاده فيما ينكره مما اختلف العلماء فيه وغير أبى سعيد لم يعتبر ذلك ولا
جعله له وعلى المجلة فلا بد أن امتطى مظاهره الولاية انظارا لظاهرة الرياسة المشهورة لها
بالجلالة والنفاسة من اقامة أوضاعها المبينة على الحماية والحراسة ومعرفة
أحكامها المتعلقة بالسياسة ولا يكفي فيها مجرد القراءة والدراسة بل يفتر الى
نفس متصفية باليقظة والكياسة متخلية بشئ من التجربة والفراسة فانها ولاية
شاملة للاعيان والرعاع نافذة في تأديب أهل المكرو والحداع مسطرة على ردع
ذوى التحيل والتحمل من الصنائع مسيطرة في استنباط حال الظالم والمظلوم عند
الاختصاص والنزاع فلهذا يحتاج الى نفس مستيقظة عارفة ومعرفة تالدة وطارفة
وتجربة لانواع الوفائع مشارفه وفراسة لتحقيق الحق اذا تعارضت الشبهة كاشفة

وديانة عند أواخر الشريعة الشريفة واقفة فهذه صفات من يصلح للاحتساب والشروط التي لا بد من اعتبارها في هذا الباب وأما القسم الثاني وهو تفصيل ما يتبع من الأعمال وما يذره وما يأمر به وما ينكره وذلك كله ثلاثة أنواع أحدها خالص حق الله تعالى وثانيها خالص حق العباد وثالثها مشترك بين الله وبين العباد

النوع الأول حقوق الله تعالى

حقوق الله تعالى من أنواع العبادات كالصلاة والصيام والطهارة والزكاة والجماعات وغيرها من شعائر الإسلام فان رأى أو علم انساناً يعمد الخلل فيها أو يقصد الاستهانة كن صلى جنباً أو محدثاً أو متلاعياً بالصلاة أو يأكل في رمضان شرباً من غير عذر أو يتجسس بفتح الزكاة الواجبة عليه استهتاراً أو أهل بلد أو محلة عطلوا صلاة الجماعات في مساجدهم واعتلوا عموماً غير معذورين أو شركوا الأذان في أوقات الصلوات وتطابقوا عليه أو أهملوا غسل موتاهم وتكفينهم من غير عذر إلى غير ذلك مما يطرق إلى الدين خللاً واستهتاراً ويقضى على فاعله بقلة دينه وسوء عقيدته ويلحق بذلك التجاهر بالمحرمات والتبجح باظهار المنكرات ومنه كشف العورات في مجامع الناس والجماعات استهانة واستهتاراً بالديانات والمروآت فهذه كلها وما يجري مجراها ويشاركها في معناها داخلية في باب الاحتساب يلزمه انكارها بما يحسمها من الأسباب ويأمر فيها بسلوك السنن المشروعة إلى كشف شبهة الارتباب ويؤدب العاصي بما يسايناسبه من التأديب إلا إذا تاب وأقنع وأتاب

النوع الثاني حقوق العباد والمعاملات

حقوق العباد والمعاملات وما يتعلق بالزروعات والمكيلات والموزونات وما يعتمد أرباب المعاش والصناعات فيلزمه النظر في أمورها لإصلاح فيادها واعتبار ما خرج منها عن المعروف من عوائدها وملاحظة معاملتها كما في الأسواق في ما أوفى قواعدها ويتفقد أحوال جلوسها في مصاطبها ومقاعدها فيحسم مادة الفساد ويقوم عوج المنان ويأمر بسلوك سبيل الرشاد ويصرف قسطاً وإفرا من عنايته وحظاً وإفياً من نقطة ودرايته إلى أحوال طهارة الخبازين ومقادير الأذرع والأكوال والموازين وتضايق سكك الدروب ومسالك المجتازين فيتطلع إلى تهيج

مقدارها ويرتب كلامها بقسطاسها ومعياريها ويؤدب من يعتقد الخيانة فيها فان بها
صيانة السقطة السوق وشراؤها هذا الى الالتفات البالغ الى اصلاح الشوى في
تطهيره من اللدناء وقت علاجه واستعمال قدر صالح من الملح في جوانبه ليكمل بذلك
حق انصاحه واعتبار نقص الثلث منه لاستحقاق فتح ثوره واخراجه وتنظيف
الآلات التي يباشرها بآلعه لنفاقه ووروجه ويقتضى ذلك كاهمة متبعة طريق
الواجب فيه ومنهاجه ولولا أن الاطناب مسموم والاسام مؤلم لشرح القلم من
الانواع التي يدخلها التمدليس ويميز في الغش والتدليس من أنواع المركبات
وأصناف المخالطات كالاشربة والمعاجين والربوب والادقة والادهان والحلاوات
والشموع والقصى وأنواع الوبر وأصناف من المأكولات والاطعمة والكسوات
ما يحار فيه سامعه من تعداده ويكثر تعجبه من جمعه ويراده كل ذلك مما يهين على
المتصيب بالنصيب الاحتساب بذل جده واجتهاده في اعتباره واختباره وافتهقاده
وافتهقاده ويحسم بسياسة مادة الدعار ويسلك جادة حفظ أموال التجار
والغرباء الواردين من الامصار والزعماء فيمدعوهم اليه حاجة الاضطراب
باقامة الضمان للسماسة والدلائل والساعة والكيان والنفقة والجمالين
والمسكارية والجمالين وان كان في مكان فيه سمن وعرا كنف النوتية والملاحين
ولكل مجهول يباشر صناعة في أمتعة يتسلها من أربابها وينفرد بها دون أصحابها

والنوع الثالث ما هو مشترك بين حقوق الله تعالى وحقوق العباد

فصاحب الحسبة مأمور باعتباره وهو داخل تحت أمره وانكاره كالطرق العامة
والشوارع السلوكية والأسواق المشتركة في كل من أحدث بناء أو غرس
شجرة أو أخرج جناحا أو ميزابا أو جدد مصطبة تضر بالمسارعة وتضيق على
العامة فيمنعه منه ويردعه عنه وكذلك من أراد أن يشرف من سطحه على
منازل الناس وينظر الى حرمهم يردعه عنه ويكره منه ومنع أهل الذمة
أن يعملوا ببناءهم على بناء المسلمين يأخذهم باقامة ما هو مشروط عليهم في عقد
الذمة ويلزمهم بالغيار واللبس ما يخالف هيئة المسلمين ويمنعهم من التظاهر
ببأسهم واعن اظهاره فعلا وقولا ويكف عنهم من يقصدهم بظلم أو أذى وإذا كان
في بعض الجوامع والمساجد امام يطيل القراءة في الصلاة الى غاية يضعف عنها
الكبير والمتمالم ويتقطع بهاذوى الحاجة يزجره عن ذلك ويأمره بالتخفيف

كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع معاذ بن جبل وان كان في السادة من يجوع عماليكه وعبيده ولا يكسوههم فله الاحتساب عليه وكذا ان كلفهم من العمل فوق طاقتهم او كان لاحد دابة يشيل عليها زيادة عن حملها بما يضر بها فله أن يمنع من ذلك ويأمر فيه باتباع طريق العدل وسلك سبل الحق حتى لو رأى من بعض ذوى الاحترام وأرباب المناصب العظام والمراتب الجسام تقصير فيما يلزمه فعليه أن له الاحتساب فيه بالانكار عليه * وقيل انقل عن محتسب بغداد أنه مر يوماً على باب دار القضاة ابن جاسد فرأى المحصوم جلوساً على بابهم ينتظرون جلوسه لينظر بينهم وقد علا النهار وهجرت الشمس فوقف واستدعى حاجبه وقال له تقول لقاضي القضاة المحصوم جلوس بالباب وقد بلغت الشمس وتأذوا بالانتظار فأما جلست وأما بلغتهم عندك لئلا يصرفوا وبعودوا اذا زال عندك وجلست فله دينه على الاحتساب على قاضي القضاة وكما أن بيده زمام الاحتساب وله ولاية الامر والنهي فيمما سبق من الاسباب فكذلك له التأديب والتعزير على قدر الجرائم والذنوب الا أنه لا يبلغ تعزيره أدنى الحدود ويجوز في التعزير الضرب والصفع وحلق الرأس دون اللحية ويجوز فيه أن يصلب حيا ولا يزيد في صلبه على ثلاثة أيام ولا يمنع في ايام الطعام والشراب ولا من وضوء الصلاة ويصل بالايماز بعيد الصلاة اذا اطلق ويجوز أن يشهر المعزير في الناس وينادي عليه بذنبه اذا كان قد تذكر منه ولم ينقطع عنه ويجوز تسويد الوجه في التعزير عند أكثر الاصحاب ويفرق الضرب في التعزير على جميع البدن بعد اتقاء الوجه والمقاتل ولا يجوز أن يجمعه كله في موضع واحد من الجسد عن رأي جمهور الاصحاب وذهب أبو عبد الله الزبيدي رحمه الله تعالى من أصحابنا الى جواز ذلك ويجوز التعزير بالحبس والنفي واختلف الاصحاب في مدة الحبس فذهب الزبيدي الى تقدير غايته بستة أشهر ولا يزيد عليها وقال غيره لا يتقدر وأما النفي فظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه أن غاية النفي مدة مقدرة بما دون ستة أشهر ولو بيوم ويوم لئلا يساوى النفي المشروع في الحد في باب الزنا وقد يكون التعزير في حق بعض الناس بالكلام الحسن والشم دون الفعل وان رأى المصلحة في العفو عن التعزير جاز بخلاف الحدود فإنه لا يجوز العفو عنها بحال

الركن الرابع الاوقاف وما يتعلق بها *

ولاية الاوقاف من باب التعاون على البر والتقوى ولا ينهض بحمل ثقلها الا الامين

القرى فان أبوابها متسعة وأربابها متنوعون وشعابها متفرعة فانهم أصناف
مختلفون وطوائف موصفون فمنهم الأشراف المتصلون برسول الله صلى الله عليه
وسلم الهاشميون والعباسيون والعلويون والحسينيون والحسينيون وغيرهم ومنهم
الفقهاء الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة وغيرهم ومنهم الصوفية والفقراء
والقراء والأضرعاء والأسراة وأبناء السبيل والمريض والجانين ومنهات كثر
الوقى وأسوار الثغور وقناطر الطرقات وعمارة المساجد ومصانعها وأمنائها وذوها
وقومها ومصالح المدارس وإقامه وظائفها وكذلك الربط والجبال والمجاهد
ومواطن العبادة الى ما سوى ذلك من وقف على تعليم اليتامى الخط ووقف على من
انكمسرت له آنية لا يقدّر على عوضها وغيره من أبواب الطاعات وجهات
الخيرات فهذه الوقوف العامة جميعها على اختلاف مصارفها وأرباب جهاتها مشتركة
في أن المقصد بها التقرب الى الله تعالى فانها معدودة من المصنفات داخله في باب
التقربات فيجب اتباع شروط واقفيها والعمل بها والكلام الآن على قسمين

الاول في شروط المتولي للوقف

لما كانت الوقوف العامة مستحقة لقوم موصوفين غير معينين يتعذر عليهم
مباشرة التصرفات بأنفسهم لعدم تعيينهم جرى أمر الناظر فيها المتولي في أموال
العاجزين عن التصرف بأنفسهم كالأوصياء والأمناء فكل صفة مشترطة
لحصة الأوصياء والأمناء في أموال العاجزين عن التصرفات بقسما أو جنون في
حصة نظر المتولي للوقف العام وكل ما يمنع من حصة ولاية الوقف العام فالفاسق
والخائن والهائج لا يجوز أن يكون وصيا في ذلك ولا أمينا عليه حتى لو أوصى الأب على
أطفاله بالنظر في مالهم الى فاسق يعتمد عليه فإنه لا تصح وصيته ولا يعتبر قوله وكذلك
لو أقام الخاكم أمينا للنظر في مال بعض اليتامى أو غيرها وهو فاسق فإنه لا تصح توليته
ولا تحمل إقامته له وكان تصرفه باطلا كذلك ولاية النظر في الاوقاف المذكورة
لا يجوز لفاسق ولا خائن ولا هائج سواء كان النظر مفوضا اليه من الواقف أو من
السلطان ولا يحل له ذلك ولا بد من أهلية لها وصفات أهلية الأمانة فإنها أصل
العدالة والكفاية ولا يكفي في حوازي لا يعمود احدي الصفتين فإنه لو كان
كافيا ولكن هو فاسق أو أمينا لكن هو عاجز فإنه لا تحمل توليته ولا يجوز أن يفوض
اليه النظر في ذلك فان تولى كان آمنا عاصيا مضمونة عليه تصرفاته فان كان وقت

التولية متصفاف ما فطرأ عليه ما أزال احداهما بان تجد دفسقه بخيانة أو غيرها
أو زدرمانة أو غيرها تعين على السلطان انتزاعه وصرفه عنها حتى لقد صرح عالم
نحو اسان امام الحرم من رضى الله عنه بان الواقف لو صرح بشرط النظر لنفسه في وقفه
ثم اختل فيه الوصفان أو أحدهما ان السلطان لا يتركه والتحقيق فيه ما ذكرناه من أن
الولاية في الوقف العام تصرف في حق الغير نظرا له من غير جهة فيه يعتبر في صفاته
لحقه ولايته ما يعتبر في حق الوصى والامين والقيم من العدالة وغيرها وكل ما يقدح
في الامانة والكفاية يقدح في الولاية

الفصل الثاني في بيان ما يلزمهم من التصرفات وما يجب عليهم منها وجملة القول
في ذلك تنكشف بالجمال وتفصيل أما الاجال فانه يجب اتباع الشروط المشروعة
والعمل بهما من اقامة الوظائف ورعاية المصارف حسب ما صدر عن الواقف وأما
التفصيل فيقوم بالمصالح من عمارة الاصل وحفظه واستملاء غلاله وترميمه أما كنه
وتمير جهاته والنهوض بكل ما فيه مستزاد مسوق في ريعه حتى لا ينسب الى تقصير
ولا ينظر اليه بعين تقريط ولا يجوز أن يغير شيئا من الاوقاف عن صورته فلا يجعل
الحمام خاناء ولا الخان دكانا ولا الدار بستانا ولا يحدث في الوقف ما يغيره عن صفته فان
فعل ذلك منعه منه السلطان وألزمه أن يزيل ما أحدثه ويعيده الى ما كان عليه
الا أن يكون الواقف قد جوزه ذلك وجعله له بطريقه ولا يجوز أن يؤثر الوقف على
خلاف شرط واقفه وأحوال الواقف ثلاثة فانه إما أن يكون قد صرح بالمنع وشرط
أن لا يؤثر الوقف أصلا أو أساوا ما ان يكون قد صرح بالاجارة والاذن فيها أو ما
أن يكون قد سكت ولم يذ كر شيئا لا منعا ولا اذنا

الحالة الأولى أن يصرح بالمنع وشرط أن لا يؤثر فانه ظاهر من مذهب الشافعي
رضي الله عنه اتباع شرطه ولا يؤثر من الاصحاب من رأى ذلك على خلاف المصلحة
وانه يجز على الموقوف عليه فيما هو مستحق له فيجوز الاجارة ومنهم من قال لا يزداد
على سنة واحدة حفظ الوقف

الحالة الثانية أن يصرح بالاذن في ان يؤثر فان عين مدّة ونص عليها فلا يجوز ان
يزيد في عقد الاجارة على مقدارها فان آجره مدّة زائدة على المدّة المعينة في الاذن
وجعل الجميع في عقد واحد فهو باطل مردود وان فعل ذلك في عقود متعدّدة
متتابعة كل عقد مشتت على المدّة المعينة المأذون فيها لا غير فان كان الواقف

قد شرط أن لا يعقد عقدا حتى ينتهي مدة العقد الاول فلا يجوز ما فعله الناظر
وكانت الاجارة باطلة في غير العقد الاول وان لم يكن قد شرط ذلك في صحة العقود
للمدة المستقبلة الواقعة بعد الاول خلاف

والحالة الثالثة أن يكون قد سكت عن التسمين منعوا اذا فقهنا تجوز الاجارة على
ما تقتضيه المصلحة برعاية ما هو الا غبط والا حوط وكذلك الحكم اذا جهلت الحال
ولا خلاف في الاقسام كلها حيث جوزت الاجارة انها مقيدة بأجرة المثل فان أجر
بدونها فالعقد باطل والاجارة مردودة ثم ان الاولى ان الناظر في الوقف اذا أجرة فلا
يريد على مدة ثلاث سنين فان الامام أباسعدا المتوفى رضى الله عنه قال ان الحكم
اصطلموا على منع الاجارة في الاوقاف أكثر من ثلاث سنين على سبيل المصلحة حتى
لا تدرس الاوقاف ويطول بقاؤها في يد انسان واحد فيدعيها ملكا ويجب عليه
أن يوصل الى كل ذي حق حقه منه من المصارف ولا يحرم أحد من المستحقين
ولا يعطى منه من لا حق له فيه ولا يدخل فيه من ليس من أهله ولا يخرج أحد من
أهله الا أن يكون قد جعل الوقف له ذلك وفوضه اليه بطريقة ولا يجوز
أن يجعل لنفسه منه ما لا يستحقه فان خالف ما ذكرناه وعمل ما هو ممنوع
منه عالما بأنه لا يجوز له وأصر متبع هواه مضيعا ماله فقد خالف الله
تعالى وعصاه وزالت أمانته وظهرت خيانتة فلا يجوز بقاؤه ويتعين صرفه
وازالته وكان الوقف وأرباب الوقف خصماءه عند الله لتفريطه في حقهم
وارتكابه ما لا يجوز فعله في وقفهم وكان مطالبا بما فرط فيه مؤاخذا بما
أضاعه منه

القاعدة الرابعة في تكميل المطالب بأنواع من الزيادات

لما كانت هذه القاعدة آخر القواعد وبها اختتام هذا الكتاب المشتمل على فرائد
القلائد ضمنيتها أنواعا من فوائد النوادر وفوائد الفوائد وأودعها أنواعا متعددة
المقاصد صالحة للعالم والعامل والصادر والوارد وبدأت منها بما هو وسيلة الى
معرفة العلماء الذين دأبوا على العمل في صدورهم وتقبوا في اكتسابه حتى حصلوا
منه غاية مستطاعهم ومقدورهم بحيث اذا عرفوا خصوصيات الرعاية والعناية وميزوا
بمقدار ما عندهم من المعرفة والدراية فيكون ذلك داعيا على الاشتغال به وفي كل
كفاية ونهاية الى العناية واذا كانت أنواع العلوم وصنوفها مختلفة الشعوب

متناسبة الاسلوب متعددة الضروب لا تنضب بكتاب ولا تنحصر بكتاب وقع
الاقتصار منها على النوع الذي هو العلم الحقيقي شرعا الذي هو في الملة الاسلامية
والشريعة النبوية أكثر نفعا وأكثر جعلا وهو علم الاحكام ومعرفته الحلال
والحرام ومتى أطلقت لفظة العلم جلت على علم الشريعة دون غيره من العلوم
المتعددة الانواع والاقسام حتى لقد صرح الأئمة رضي الله عنهم بأنه لو أوصى رجل
بثلث ماله للعلماء فإنه يصرف الى علماء الشريعة دون غيرهم وقد كشف الامام
عالم العراق أبو الحسين علي بن حبيب الماوردي رضي الله عنه غطاء الاضطراب
عن وجه الصواب وذكر في كتابه المسمى بالمحاور في الفتاوى ان الرجل لو قال
أعطوا ثلث مالي لأعلم الناس فإنه يصرف الى الفقهاء لقيامهم بعلم الشريعة الذي
هو بأكثر العلوم متعلق ثم ان حاجة الناس داعية اليه ومصلحتهم منوطة به
ووقائهم موقوفة عليه والمذبحي أنه من جملة كثير وهذه الوسيلة مفضية الى معرفة
الفرق بين الفريقين كاشفة عند استعمالها كنه التحقيق وقد خفضت لاستخراجها
أوطاب المسائل ورصفت صفاتها فأصبحت عمدة السائل ووضعت صورها من
أقرب الوسائل محكما للاختيار ومسلكا الى اعتبار ذوي الفضائل فمن أجاب فيها
بالاطلاق فإصاب الصواب ومن فصل القول مجوابا فقد أجاد وأجاب وهي
في العبادات والمعاملات والمناسكات والمجانيات فمن ذلك

﴿مسائل العبادات﴾

(مسئلة) انسان يصلي على سجادة فلما أحرم بالصلاة وأراد السجود نظر الى موضع
سجوده من السجادة نجاسة فأخذ طرف السجادة وسجد على موضع طاهر هل صحت
صلاته أم لا ان أجيب فيها بالحجة أو بالابطال فهو خطأ * والصواب من الجواب
انه ان أخذ الطرف الطاهر من السجادة وغطى به النجاسة ولم يرفع النجاسة وسجد
على الموضع الطاهر الذي وضعه على الموضع النجس لم تبطل صلاته وان رفعه عن
موضع سجوده وسجد على الارض بطلت صلاته لانه جلت في صلاته نجاسة فبطلت
(مسئلة) جماعة صلوأ خلف امام صلاة الصبح فقرأ الفاتحة فلحن في آخرها فحناغير
المعنى فنبهوه على ذلك بالتسبيح فلم يعد الى الصواب ففارقوه وأتوا لانفسهم فهل
تصح صلاتهم أم لا ان أجيب فيها بالحجة أو بالبطال فهو خطأ * والصواب من
الجواب ان لحنه ان كان طبعه لم تصح صلاتهم وعليهم الاعادة فان احرامهم خلفه

لم يعتقد وان كان مخناً خطأ أصدر منه ولم يكن طبعاً صحت صلاتهم وقتها لهم
 (مسئلة) مصل جالس في آخر صلاته ليتشهد فحصل له شك هل سجد في صلاته أم لا
 فهل يسن له السجود أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ
 * والصواب من الجواب انه ان كان شكه في زيادة زاده في الصلاة فلا يسجد
 للسهو اذا لاصل عدم الزيادة وان كان شكه في نقصان شيء من هيئات الصلاة
 كالقنوت والتشهد الأول يسجد للسهو اذا لاصل انه لم يأت به (مسئلة) رجلان دخلا
 مسجداً وصليا واعتقد كل واحد منهما ان صلاته وقعت جماعة مع صلاة صاحبه ثم
 فرغوا انصرفا فهل صحت صلاتهما الاعتقاد هما أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي
 مطلقاً كان خطأ * والصواب من الجواب ان كان كل واحد منهما يعتقد حصول
 الجماعة مع صاحبه لكونه اماماً وصاحبه مأموماً فصلاتهما صحيحتان وان كان كل
 واحد يعتقد أنه مأموماً وصاحبه اماماً فصلاتهما باطلة (مسئلة) انسان له من الابل
 نصاب وجبت عليه قيمة الزكاة ولم يجد السن المفروض عليه فهل يجوز له أن يصعد
 الى سن أعلى منه ويأخذ الجبران أو ينزل الى سن أنزل منه ويمطى الجبران أم لا
 ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب من الجواب ان ابله
 ان كانت صحاحاً فيجوز له الصعود وأخذ الجبران ويجوز له النزول ودفع
 الجبران وان كانت كلها امراضاً فيجوز له النزول ودفع الجبران ولا يجوز له الصعود
 وأخذ الجبران لانه مضر بالفقراء (مسئلة) امرأة ماتت في شهر رمضان ولها
 مال كثير وخلفت زوجها وابناً منه فورثها ووجبت عليها زكاة الفطر وهما
 غنيان فأخرج الاب زكاة الفطر من ماله عنه وعن ولده فهل يجوز اخراجه عن ولده
 مع كونه غنياً أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب
 ان الولد ان كان صغيراً جاز وان كان كبيراً لم يجوز لا اشتراط بذل البالغ (مسئلة)
 انسان وجب عليه صوم بحكم النذر هات فهل يلزم عليه قضاؤه ان أجيب فيها
 بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب من الجواب ان كان نذره صوم
 الدهر فلا قضاء عليه لتعذره وان كان غيره فيلزمه القضاء (مسئلة) رجل
 معتكف تهن عليه أداء شهادة هل يجوز له أن يخرج لادائها من المعتكف أم لا
 ان أجيب فيها بالنفي أو الاثبات مطلقاً فهو خطأ * والصواب من الجواب انه
 ان كان تحملاً ابتداء تهن عليه فيجوز أن يخرج لادائها وان كان تحملاً بامر تعين

عليه فلا يجوز له أن يخرج لادائها لأنه هو الذي أدخل نفسه فيها باختياره (مسئلة)
 رجل أراد أن يحرم بالحج فهل يجوز له أن يستقدم الاحرام على الميقات المعين له أم لا
 ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان
 قسّمه على الميقات الزماني لا يجوز وان قسّمه على الميقات المكاني فيجوز لا اتحاد
 الزمان بالنسبة الى الناس كلهم واختلاف المكاني (مسئلة) اذا قطع المحرم شعره
 لدفع الاذى فهل يجب عليه ضمانه بالفسدية أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي
 مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان كان الاذى من الشعر بأن نزل
 الى عيئه فلا ضمان عليه وان كان الاذى من غير الشعر بأن كان في رأسه قل
 فأزال الشعر ليزيل القمل فيجب عليه الضمان لنسبة الاذى الى غير الشعر
 (مسئلة) طائر له فرخان أحدهما في الحبل والاخر في الحرم أمسك رجل حلالا غير
 محرم الطائر وتركه في قفص فمات ومات الفرخ بسببه وكل واحد في موضعه
 أحدهما في الحبل والاخر في الحرم فهل يجب عليه ضمان الطائر والفرخ أو الفرخ
 وحده فان أجيب فيها بأحدهما الاقسام مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الطائر
 ان كان في الحبل والفرخ في الحرم وجب عليه ضمان الفرخ دون الطائر وان كان
 الطائر في الحرم والفرخ في الحبل وجب عليه ضمانهما (مسئلة) محرم معه كلب
 فأرسله على صيد فأصابه فهل يجب عليه ضمانه أم لا ان أجيب فيها بالنفي
 أو الاثبات مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الكلب ان كان معا يجب عليه الضمان
 وان لم يكن معا فلا ضمان عليه اذ فعل غير المعلم لا ينسب الى مرسله (مسئلة) محرم
 رمي بسهم الى صيد فأصابه وسقط الصيد المرمى على صيد آخر وماتا كلاهما فهل
 يجب على الرامي ضمانهما أم يجب عليه ضمان الاول دون الثاني ان أجيب فيها
 بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الصيد الاول المرمى بالسهم ان
 تعامل بعد الرمية ومشى قليلا ثم وقع على الآخر وجب عليه ضمان الاول دون الثاني
 لنسبة سقوط الاول بعد مشيه وتعامله الى فعله دون الرامي وان وقع عليه بجذة
 السهم وجذة الرمية من غير تعامل وجب عليه ضمان الاول والثاني لنسبته اليه
 (مسئلة) رجل له عبد مملوك محرم فباعه فاشتراه انسان آخر ولم يعلم أنه محرم فهل
 يثبت للمشتري الخسار أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ
 * والصواب أن احرام العبد ان كان باذن مولاه البائع فيثبت خيار الفسخ للمشتري

اذ لا يقدر على تحليه وان كان احرامه بنسب اذن مولاه فلا خيار له اذ يمكن تحليه
 (مسئلة) اجبر استؤجر ليحج عن غيره فاعثر او استؤجر ليعقر فحج فالاجرة
 لا يستحقها المخالفته ولكن النكاح الذي اتى به من الحج او العمرة هل يقع عنه او
 عن من نواه به ان اجيب فيها بالاثبات او النفي مطلقا فهو خطأ والصواب ان الاجارة
 ان كانت عن حي فلا يقع المأتي به عنه لعدم اذنه فيه وهو شرط ويقع عن الاخير وان
 كان ذلك عن ميت فيقع عنه دون الاخير فان اذن الميت ليس شرطا ولهذا الرجح
 رجل عن الميت تبرعاً منه صحيح وسقط به الحج الذي كان واجبا على الميت (مسئلة)
 رجل اشترى غنما وتلف في يده بعد القبض ثم اطلع على عيب قديم فهل له الرجوع
 بالارش على البائع أم لا ان اجيب فيها بالنفي او الاثبات مطلقا فهو خطأ
 والصواب ان كانت العين المبيعة تسعة غير دراهم ودنانير فله الرجوع بالارش
 وان كانت دراهم او دنانير في عقد الصرف يبعث بدرهم او دنانير وتقبضاً فانه
 لا يجوز الرجوع بالارش لما فيه من الوقوع في الربا لكن يفسخ العقد بينهما ويرد
 مثل التالف ويسترجع ما ساءل ان كان باقياً او يبدله ان كان تالفاً (مسئلة) رجل
 باع عبداً بالف درهم وتقبضاً ثم ان البائع عاد الى المشتري ومعه ألف درهم فيوف
 وقال هذه الدراهم التي قبضتها اخذها فقال ليس هذه تلك الدراهم فهل يقبل
 قول البائع أم قول المشتري ان اجيب فيها بالاطلاق فهو خطأ والصواب من
 الجواب أن الدراهم ان كانت معينة وقت العقد ووقع عليها فالقول قول المشتري
 وان كان العقد ووقع على دراهم في الذمة وعينت تلك الدراهم عما في الذمة فالقول
 قول البائع ومثل هذه المسئلة لو ابتاع ثوباً وقبضه ثم جاء بثوب معيب وقال هذا
 الثوب الذي اشتريته منك فارده بالعيب وقال البائع ليس هذا الثوب الذي
 قبضته مني بل هو غيره فهل للقول قول البائع أم قول المشتري ان اجيب فيها
 بالاطلاق فهو خطأ والصواب أن الثوب ان كان معيناً ووقع العقد عليه فالقول
 قول البائع وان كان عنه عما في الذمة فالقول قول المشتري اذ الاصل تمام ما في
 الذمة الى أن يتبين تسليمه (مسئلة) رجل اشترى طبالاً اجل به ثم تجدد به قبل
 بعد القبض ثم اطلع به على عيب قديم بعد الولادة ولم يتجدد عند المشتري عيب فهل
 يجوز له أن يرده على البائع بالعيب القديم أم لا ان اجيب فيها بالاثبات او النفي
 مطلقا فهو خطأ والصواب أن الحيوان المشتري ان كان بهيمة فيجوز له الرد

وان كان جارية لا يجوز له ردّها محرمة التفريق بين الامّ وولدها قبل البيع ويتعين
حقه في الارش له منذ الرّد شرعا **مسئلة** اذا حضر المسلم اليه المسلم فيه أنقص
من المشروط فهل يجب على المسلم قبوله أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي
مطلقا فهو خطأ * والصواب أن المسلم فيه ان كان يتقسط عليه الثمن بالبقية
كما لو أسلم في ثوب طوله عشرة أذرع فأحضره وطوله تسعة أذرع فإنه لا يجب عليه قبوله
مسئلة جارية مرهونة عند رجل بدين له يبيع في الدين فاشترى رجل وأعتقها
فترجعت وولدت ابنين فسكبروا وشهدا على المورثين انه كان أبرأ الراهن من الدين قبل
أن يقع الرهن هل تقبل شهادتهما أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو
خطأ * والصواب ان كان أبوهما قد تزوج أمهما على أنها مملوكة ولم يعلم بعتقها وكان
من يحمل له نسكاح الامة لم تقبل شهادتهما لانه يلزم من قبولها عدم قبولها لوجود الرّد
وان كان وطئها على أنها حرة قبالتشهادتهما لعدم المانع من قبولها **مسئلة**
رجل أقام البينة العادلة بأفلاسه بعد تقدّم الدعوى فهل لمن له الدين عليه أن يحلفه
أن لا مال له في الباطن أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو
خطأ * والصواب انه ان كان قد أقام البينة على تلف ماله لم يكن له أن يحلفه لماله
من تكذيب الشهود وان كان أقام البينة على أن لا مال له حلف وتكون عينته واجبة
على وجهه ومستحبة على وجه **مسئلة** رجل صالح رجلا على مسيل مائة في ملكه
بعوض معاوم وبين مقدار المسيل ولم يكن مقدار الماء الذي يسيل في المسيل فهل
يصح الصلح أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان
كان المسيل على الارض صح وان كان على السطح لم يصح **مسئلة** عبد كاتبه
مولاه تم بعد الكتابة صار يبيع ويشترى فاشترى سلعة فهل تجوز الحوالة عليه أم لا
ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان المكاتب ان كان قد
اشترى من أجنبي جازت الحوالة وان كان قد اشتراها من مولاه لم يجز **مسئلة** رجل
غصب من رجل آخر حنطة وأكلها فبما إذا يضمها بالقيمة أو بالمثل ان أجيب فيها
بأحدهما مطلقا فهو خطأ * والصواب انه ان أكلها على هبتها حنطة ضمها بالمثل
وان طعمها ثم أكلها ضمها بالقيمة أكثر ما كانت وقت طعمها الى أن أكلها فان الدقيق
من ذوات القيم **مسئلة** زقاق أو دهلين مشترك بين بيع منه شقص فهل تثبت
فيه الشفعة أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من

الجواب أن الزقاق أو الدهليز ان كان بحيث اذا قسم لم ينتفع كل واحد من الشركاء بما يحصل له فلا تثبت الشفعة فيه وان كان بحيث ينتفع به بعد القسمة وكان لا يشترى طريق غيره ثبتت فيه الشفعة وان لم تكن طريق غيره ففيه خلاف (مسئلة) رجل ثبت له الشفعة في ملك فشهد البائع على الشفيع بأنه عفا عن الشفعة فهل تقبل بهادته أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان كانت شهادته بعد قبض الثمن قبلت وان كانت قبيل قبضه لم تقبل (مسئلة) رجل دفع الى رجل ألف درهم قراضا ليكون الربح بينهما نصفين ثم سلم اليه ألف درهم أخرى وقال أضف هذه الألف الثانية الى الألف الأولى ليكون الجميع قراضا فهل يكون الجميع قراضا صحيحا أم يكون الجميع قراضا صحيحا أم يكون الأول صحيحا والثاني فاسدا ان أجيب فيها بنحو القراض فيم ما أو بغيره مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان الألف الثانية ان دفعت اليه قبل تصرفه في الدراهم الأولى كان الجميع قراضا صحيحا وان كان بعد تصرفه فيها كان الأول صحيحا والثاني فاسدا (مسئلة) رجل دفع الى رجل مالا قراضا وقال قارضتلك سنة على أن لا تصرف بعديها بعض التصرفات المعلقة لك في السنة وعينه فهل يصح القراض بهذا الشرط أم يبطل ان أجيب فيها بالحق أو لا بطل مطلقا فهو خطأ * والصواب أنه ان كان شرط أن لا تصرف بعد السنة بالشراعه وحده صح لانه لا يناقض مقصود العقد وان كان شرط أن لا تصرف بعد السنة بالبيع فهو باطل لانه يبطل المقصود (مسئلة) رجل استأجر رجلا ليحمله الى بلد معين ويحتاج في الطريق الى دليل فأجرة هذا الدليل هل تكون على المستأجر أو تكون على المكارى ان أجيب فيها بالجواب على أحدهما مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب أن الاجاره ان كانت اجاره عين فأجرة الدليل على المستأجر وان كانت اجاره في الذمة فأجرة الدليل على المكارى (مسئلة) رجل استأجر بيتا من رجل ليخزن فيه كرا من حنطة فخرن فيه كرتين من حنطة فهل يجب على المستأجر زيادة عن الاجرة المسماة بسبب الزيادة في الحنطة أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب أن البيت المستأجر ان كان على الارض فلا يلزمه زيادة على الاجرة المسماة بسبب الزيادة في الحنطة وان كان البيت غرفة على سطح فيلزمه أجرة المثل للزيادة لأن الزائد على السكر يحصل به زيادة ضرر على السقف (مسئلة) انسان أوصى بثلث ماله لمن نصفه و نصفه بعد فهل يصح

وصحيته له أم لا أن أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب من
الجواب أن النصف المملوك أن كان لا جنبي صحت الوصية فإن لم يكن بينهما هاية
كان الثلث بينهما نصفين نصفه للولي ونصفه لهذا الموصي له وإن كان بينهما هاية
ففيه خلاف مشهور مبناه أن المنافع هل تدخل في المهايأة أم لا فإن لم تدخل
في المهايأة كان بينهما بكل حال وإن دخلت في المهايأة كان على الخلاف في تلك
الوصية بالموت إذا لموت يبطل وإن كان النصف المملوك لو ارت فلا تصح الوصية
أن لم يكن بينهما هاية فكذلك على الصحيح * **مسئلة** رجل أوصى لانيان بجارية
ثم وطئها الموصى فهل يكون وطؤه رجوعاً عن الوصية أم لا أن أجيب فيها بالاثبات
أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب من الجواب أنه أن عزل عنها لم يكن رجوعاً
كالاستخدام وإن لم يعزل كان رجوعاً كالاستيلاد * **مسئلة** رجل أوصى إلى
رجل بفرقة ثلث ماله وكان الموصى فاسقاً لا صح الوصية اليه فتسلم الثلث وفرقه
فهل يجب عليه الضمان أم لا لكونه مأذوناً أن أجيب فيها بالاثبات أو النفي
مطلقاً فهو خطأ * والصواب من الجواب أن الوصية بالثلث أن كانت لا أقوام
معين كالفقراء والقراء وما أشبههم فإنه يضمن لأن تعيينهم بانفرقة يحتاج إلى
اجتهاد والفاقد ليس من أهله * **مسئلة** انسان أوصى إلى رجل أمين في
فرقة ثلثه وتسلمه فصار بيده ثم ادعى أنه فرقه فهل يقبل قوله في تفرقة من غير
بينه أم لا يقبل أن أجيب بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب من الجواب
أن الوصية أن كانت لا أقوام معينين كالفقراء والصوفية فيقبل قوله من غير
بينه وإن كانت لا أقوام معينين لا يقبل قوله من غير بينه لا مكان الأشهاد

* مسائل المناكحات *

رجل تزوج امرأة بشرط أن لا يطأها نهراً أو لا يطأها ليلاً فهل يصح النكاح
بهذا الشرط أم لا أن أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * والصواب
أن الشرط أن كان من جانب الزوجة بطل النكاح وإن كان من جانب الزوج
لا يبطل أذهو حقه * **مسئلة** رجل تزوج بكرة وأمة في عقد واحد فهل يصح
نكاحهما أو يبطل نكاحهما أو يصح نكاح الحرة ويبطل نكاح الأمة أو يصح
نكاح الأمة ويبطل نكاح الحرة أن أجيب فيها بأحد هذه الأقسام مطلقاً فهو
خطأ * والصواب أنه أن كان ممن لا يحل له نكاح الأمة بطل نكاح الأمة قولاً واحداً

في نكاح المحرمة خلاف وان كان ممن يحل له نكاح الامة ورضيت المحرمة بثبوت صداقها في ذمته صح النكاحان جميعا **(مسئلة)** رجل كافر اسلم عن عشر نسوة ثم بعد ذلك أسلمن كلهن وثبت له اختيار أربع منهن فهل يصح اختياره للأربع في حال احرامه بالحج أم لا ان أجيب فيها بالنفي أو الاثبات مطلقا فهو خطأ * الصواب أن احرامه ان كان قبل اسلامهن فلا يصح اختياره اهن وان كان بعد اسلامهن فيصح لاستقرار حقه من الاختيار قبل الاحرام **(مسئلة)** اذا أسلم الرجل على أكثر من أربع زوجات ثم قال قبل اسلامهن كلها أسلمت واحدة من هؤلاء فقد نسخت نكاحها فأسلمن كلهن قبل انقضاء المدة فهل يصح قوله وينقطع النكاح أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب انه ان أراد بذلك الفسخ فلا يصح لأن الفسخ لا يقبل التعليق وان أراد به الطلاق صح على أحد الوجهين لقبوله التعليق **(مسئلة)** رجل تزوج بامرأة فأحضرته الى الحماكم وادعت عليه انه عنين فهل يسمع الحماكم دعواها لضرب له الاجل أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب أن الزوجة ان كانت حرة يسمع الحماكم دعواها وان كانت أمة لم يسمع دعواها اذ لو سمع دعواها لفقد شرط من شروط جواز نكاحها فيبطل حق الوطء فيلزم الله ورفلا يسمع **(مسئلة)** رجل تزوج عبده بأذنه بحرة على صداق معين وهو ما تدينه ارضا وضمنها السيد لها ثم بعد مدة باعها العبد بتلك المسائة المضمنة فهل يصح البيع أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب ان كان البيع بعد الدخول فهو صحيح وينفسخ النكاح لانها ما كت زوجها وان كان قبل الدخول فهو غير صحيح لأن صحته يستلزم بطلانه بطريق الدور **(مسئلة)** رجل له زوجتان مسلمة ونصرانية فقال للنصرانية انت قد ارتدت وصرت مسلمة وقال للمسلمة أنت قد ارتدت وصرت نصرانية فكذبته ولم تصدقه واحدة منهما فهل يبطل نكاحهما أولا يبطل أو يبطل نكاح واحدة ويبقى نكاح الاخرى ان أجيب فيها بأحد هذه الاقسام فهو خطأ * الصواب أن ذلك ان كان قبل الدخول يبطل النكاحان لوجود البطل في زعمه فيؤاخذ به أما المسلمة فظاهر انصر محبه بالردة وأما النصرانية فلانها يجوزها للاسلام فدارت في زعمه وان كان بعد الدخول ثبت نكاح المسلمة وبقي نكاح النصرانية موقوفا على انقضاء العدة فان

أسلمت قبل انقضاء العدة ثبت نكاحها وان لم تسلم الى انقضاء العدة انفسخ
نكاحها **مسئلة** امرأة لها عبد فأتى فتزوجت برجل على أن يردّ عبدها الا بق
وجعل ردّ العبد الا بق صداقها فهل يجوز أن يجعل ذلك صداقا أم لا ان أجيب
فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب أن المسافة التي يردّ العبد منها ان
كانت معلومة جاز ولزمه ذلك وان كانت مجهولة لم يجوز **مسئلة** رجل تزوج امرأة
وجعل صداقها أن يعلمها سورة من القرآن الكريم معينة كسورة الانعام مثلا
والزوج لا يحسن تلك السورة فهل يصح ذلك أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي
مطلقا فهو خطأ * الصواب ان كان الصداق أن يعلمها تلك السورة بنفسه فلا يصح
على الصحيح وان كان في الدمة صح ويكون بالخيار ان شاء تعلم هو تلك السورة وعليها
اياها وان شاء عليها اياها بغيره **مسئلة** اذا اراد المسلم أن يتزوج ذمية واتفق على
أن يجعل صداقها شيئا من القرآن الكريم فهل يصح ذلك ان أجيب فيها بالاثبات
أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب أن تعلمها ذلك ان كان رغبة في الاسلام فيصح
وان كان للباهة لا رغبة في الاسلام لا يصح **مسئلة** رجل تزوج امرأة ولم يسم لها
مهر اثم دخل بها فهل يجب لها مهر او تطالب به بذلك أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو
النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب ان كانت المرأة عاورة زوجها سيدها بمالهو كونه
فانه لا يجب لها مهر ولا تطالب به وكذلك لو كانت مشركة وفوضت بضعتها في الشرك
ودخل بها الزوج في الشرك ثم أسلمها على النكاح فانه لا مهر لها ولا تطالب به
محصول الاذن منها في الاتفاق في دار الشرك **مسئلة** رجل له زوج حامل فتأول
لها اذا اولدت ابنا فانت طالق واحدة واذا اولدت بنتا فانت طالق طلقين فولدت
ثلاثة اولاد فيهم ابن وبنت فهل طلقت ثلاثا أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي
مطلقا فهو خطأ * الصواب انها ان ولدتهم دفعة واحدة بأن أخرجوا رؤسهم معا
طلقت ثلاثا وان ولدت على التعاقب فان ولدت أولا ابنا ثم ولدت ابنا آخر وولدت
الثالث بفتا فلا تطلق الا طلقة واحدة فان الابن الثاني لا تطلق به لان اذا لا يقتضي
التكرار وبولادة البنت بانث والطلاق لا يقع مع البينة فلم يقع عليها غير طلقة
واحدة وان ولدت أولا بنتا وولدت الولد الثاني بنتا أخرى ثم ولدت الثالث ابنا
طلقت طلقين بالذات الاولى ولا تطلق بالبنت الثانية لما سبق ولا بالابن المولود آخر
لان به بانث والطلاق لا يقع مع البينة وان ولدت أولا ابنا ثم ولدت الثاني بنتا أو

كان الامر بالعكس بأن ولدت أولا بنتا وانيسا ابنا معا دفعة واحدة وقع الثلاث فان
ولدت الاول ابنا والولدان الآخران نرجا معا دفعة واحدة لم تطلق غير واحدة
سواء كان ابنتين أو ابنا وبنتا وان ولدت الاول بنتا والولدان الآخران نرجا معا
دفعة واحدة طلقا طلقين لا غير سواء كان الآخران ابنتين أو ابنا وبنتا وهذه من
المسائل المستعسنة **مسئلة** رجل له ابن كبير فقير خائف من الوقوع في الزنا وله أمة
ليطأها فزوج ابنه بأخته وصح النكاح فقال لها سيدها اذا مت فأنت حرة وقال
لها الزوج اذا مت أبي فأنت طالق ثم مات الأب فهل وقع الطلاق أم لا ان أجيب
فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب أن الامانة خرجت من
الثالث عتقت ووقع الطلاق لمصادقة الطلاق حريتها وان لم يخرج من الثالث ولم
يعز عتقها الورثة لم يقع الطلاق لثبوت ملك الزوج في جزء منها بالارث فيفسخ
النكاح فلا يصادق الطلاق محلا وأن اجاز الورثة ففيه خلاف مشهور **مسئلة** رجل
رجل وجبت عليه كفارة بعثى رقية فأعتق عبدا قد سقطت خنصره وبصره
وبقية اعضائه سليمة فهل يجوز له ذلك عن كمارته أم لا ان أجيب فيها بالاثبات
أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب ان الاصبغين الساقين ان كانتا من كف
واحدة فلا يجوز له ذلك عن الكفارة وان كانتا من كفتين من كل واحدة
أصبغ ساقطة فيجوز له ذلك **مسئلة** رجل طلق زوجته فشرعت في العدة
وعدتها بالشهور فانقضت الاشهر ثم جاءها الدم فهل تمت عدتها على السلامة
أم تعود تعتد بالاقراء ان أجيب فيها بأحد القسمين مطلقا فهو خطأ * الصواب *
ان كانت كبيرة آيسة وعادها الدم بعد ما تزوجت لما انقضت عدتها بالاشهر
فتقدمت عدتها على السلامة ونكحها باق وان جاءها الدم قبل أن تزوج
انتقلت الى الاعتداد بالاقراء على الصحيح وان كانت صغيرة فانتها لا تنتقل الى
الاقراء بكل حال **مسئلة** رجل طلق زوجته في بيته فأعتدت فيه
وفلس الزوج فأراد المحاكم بيع البيت لوفاء ديون الغرماء فهل يجوز بيعه أم لا
ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب انها ان كانت
معتدة بالتمهل أو بالاقراء لا يجوز ذلك لجهالة المدة المستحق فيها السكني
وان كانت عدتها بالاشهر فيجوز ذلك على أحد القولين كالدار المستأجرة في مدة
الاجارة **مسئلة** رجل اشترى جارية ولم يطأها وأراد أن يتزوجها قبل

أن يستبرئها هل يجوز له ذلك أم لا أن أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ
 * الصواب انه ان كان قد اشترها من امرأة أو من ولي صغير أو من كان قد
 استبرأها ثم باعها فيجوز له أن يتزوجها وان كان قد اشترها من رجل لم يستبرئها قبل
 البيع فلا يجوز (مسألة) رجل له عبد ما ذون اشترى جارية واستبرأها فأخذها
 السيد لنفسه هل يحتاج إلى استبراء آخر أم يلافي الاستبراء الأول في يد العبدان أجيب
 فيها بأحد القسمين مطلقاً فهو خطأ * الصواب ان العبدان لم يكن عليه دين لغريم
 لم يحتاج إلى استبراء جديد وان كان عليه دين يقضيه ويلزمه أن يستبرئها لنفسه ولا
 يكفي له الأول لوجود تنطق الدين فاذا زال التعلق بالقضاء احتاج إلى تجديد الاستبراء
 (مسألة) رجل له زوجة صغيرة وله أخ ولا أخيه زوجة لها ابن فأرضعت زوجته الصغيرة
 خمس رضعات فهل يتفسخ نكاحها بهذا الرضاع أم لا أن أجيب فيها بالاثبات
 أو النفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب ان كان اللبن لأخيه انفسخ نكاح الصغيرة
 لأنها صارت بنت أخيه فحرمت وان كان لغريم فلا ينفسخ نكاحها فان كونها
 ربيبة لأخيه لا يوجب النسخ (مسألة) رجل له زوجة وهو معسر ولها عليه نفقة
 قرضت بالمقام معه بغير نفقة فهل يجوز ذلك أم لا أن أجيب فيها بالاثبات أو النفي
 مطلقاً فهو خطأ * الصواب ان الزوجة ان كانت حرة جاز ذلك وان كانت أمة
 لا يجوز إذ الحق في الخيار للسيد هادونها (مسألة) رجل وجب له القصاص على رجل
 في نفسه فأعفى ليقبضه قصاصاً فهل له أن يعفو عن قتله على مال أن أجيب بالاثبات
 أو بالنفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب ان كان القاتل عبداً لم يقتصل عبداً
 آخر لسيدته فتدوجب عليه القصاص للسيد فله أن يقتله قصاصاً ولا يجوز أن يعفو
 عنه على المال لتعذره لأن السيد لا يحب له على عبده مال وان كان رجلاً قد قطع
 عضو من رجل والعضو مقابل بالدية الكاملة كالأذن والأنف واليد وما أشبهه
 ذلك فاقص المقتطوع من المتماطع ثم بعد ذلك سري القطع إلى نفس المجنى عليه
 فصار القطع قتلاً فقد وجب القصاص في الجاني فله أن يقتله قصاصاً ولو أراد
 أن يعفو عنه على مال لم يعفو أن أرض العضو ويدخل في دية النفس فلا يحب له شيء
 بعدها وان كان القاتل غير ذلك فله أن يعفو على مال (مسألة) رجل وجب عليه
 القصاص في نفسه فمات قبل استيفاء القصاص منه وله تركه فهل لولي الدم أن يأخذ
 الدية من تركته عوضاً عن القتل الذي فات بموته أم لا أن أجيب فيها بالاثبات

أوالنفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب ان كان الذي وجب عليه القصاص ومات ان كان قد قطع عضو مقابل بالدية الكاملة من رجل فسرى قطعه الى نفسه ومات فقطع الولي عضواً مقابل المماثل للعضو الذي قطعه ولم يمت بقطعه فله ان يقتله قصاصاً اذا مات قبل ان يقتله قصاصاً وليس له ان يرجع الى تركته بالدية وهي من الغرائب وان لم يكن الذي وجب عليه القصاص بهذه الحالة فالولي ان يرجع بالدية في تركته عند تعذر استيفاء القصاص في نفسه بالموت (مسئلة) اذا دخلت طائفة من غزاة المسلمين دار الحرب وأسرُوا وغنموا وكان في الاسارى أسير له زوجة في عقد نكاحه فهل ينفخ في الحال نكاحها أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أوالنفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب ان الاسير ان كان بالغاً ينفخ في الحال يجوز أن الامام لا يرى استرقاقه وان كان صبياً غير بالغ ينفخ في الحال لانه بنفس الاسير يصير رقيقاً فينفخ في الحال (مسئلة) رجل مسلم دخل دار الحرب وأهله بها كفار فأسر أبويه وأولاده واختار ثلثهم فهل يعتقون عليه أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أوالنفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب ان أباه والبالغين من ذكور أولاده لا يعتقون عليه لان الامام مخير فيهم بين القتل والاسر والاسترقاق والفداء والموت فلا يثبت في الحال لهذا المسلم الذي أسره ملك يحصل به العتق وأما أمه وبناته والصغار من ذكور أولاده فانهم يعتقون عليه أربعة أخماسهم ابتداءً والخمس الباقي بالسرية ويقوم عليه بهذا ان كان موسراً وان كان معسراً عتق عليه منهم أربعة أخماسهم وبق الخمس الا نحو منهم رقيقاً لاهل الخمس (مسئلة) اذا رمى في المسابقة الى الغرض وكان فيه سهم له أو لغيره والشرط اصابة الغرض ناعصاب برميته فوق السهم الثابت في الغرض فهل يحسب له ذلك ويعتد به أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أوالنفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب أنه ان كان بين فوق السهم المصاب وبين الغرض مسافة طول السهم لم يحسب له ذلك ولا يعتد به لاله ولا عليه لاحتمال الاصابة وعدمها لولا السهم وان لم تكن بينهما مسافة السهم بل قدر قريب بأن كان قد نفذ في الغرض وبقى فوقه لا غير حسب له ذلك واعتد به اذ لولا الفوق لاصاب الغرض * فهذه ستون مسئلة مستخرجة من فوائد اهل التفصيل يحتاج المسؤل عنها في اصابة الصواب الى التفصيل فان أجاب عن الاماثل اثباتاً أو نفياً فقد صدق فيها عن سواء السبيل * وحيث تم النوع الاول فليردفه بالنوع

الثاني وهو أكل منه حسنا وأشمل معنى ولا يصيب الصواب بجوابه فيسهل الأمن
 صرف إلى اكتساب العلم قباوذا كراوذهنا وهذا النوع على الخصوص كان
 السلطان الملك الكامل قدس الله روحه وجعل البركة في عمر المولى السلطان الملك
 الناصر قد جعل استعماله واعتناء به من جملة الأولاد إذا ورد عليه فضلاء البلاد
 وحضر لديه في أيام المواسم والأعياد وجوع المحافل عظماء الوراد فيسألهم من هذه
 المسائل ما يختبر به مقدار فضلهم ليعاهاهم بقدره وينزل كل منهم في رتبة استحقاقه
 من أكرامه ومرد ويستبين بذلك الموافق والمخالف منهم بين خبره وخبره ولعمري
 أن النفس الكريمة المولوية السلطانية الملكية الناصرية الصلاحية أفاض الله
 عليها أنوار اليقين وجعلها من جملة عبادة المتقين وإن كان يصفاء جوهرها
 وذكاء خاطرها وكمال ادراكها ونور بصيرتها وما خصها الله به من تمام
 اليقظة وقوة الفطنة وجودة القرينة وذكاء الفطرة لا يحتاج إلى ذكر مسائل يميز بها
 بين من دلالة غروره فهو لا يس ثوبى زور وبين من خصه الله من مشكاة الأنوار بنور
 على نور لكن الاقتداء بمحسنات حسنات السلاطين السالفين معدود من السنن
 والافتاء لا تارهم الحميدة من الفعل الحسن فأنبت لمعة في هذا الكتاب المبارك من
 هذا النوع من تلك المسائل ليكون في الخدمة السلطانية بحث يتف عليها ويجعلها
 ذريعة إلى الاختيار وإن كان مع نظره الشريف لا يحتاج إليها واقتضت منها على
 القدر القليل حذرا من التطويل وذكرت صورة السؤال وكيفية الجواب وشيأ من
 التعليل

﴿مسائل أخرى﴾

(مسئلة) رجلان خرجا ليصيدا فوجدوا صيدا فقصصناه ورمياه بهما
 على التعاقب أحدهما بعد الآخر فراح ومات بعد ذلك فما الحكم في هذه الصورة
 المسئلة مع قلة لفظها وسهولة صورتها يتعلق بها أحكام كثيرة * الجواب فيها يتحرر
 بالنظر في ثبوت الملك في الصيد من حصل منهما وفي أكله هل يحل أم لا وفي الضمان
 هل يجب لأحدهما على الآخر أم لا وفي مقدار ما يجب من الضمان * والصواب
 في ذلك أما ثبوت الملك في الصيد فإن كان الأول لما رماه جرحه وما أزمسه
 وبقي على ما كان عليه من الامتناع والثاني برمييه أزال امتناعه فإن
 الثاني ملكه دون الأول وإن كان الأول أزمسه وأزال امتناعه دون الثاني
 كان للأول وإن حصل الأزمان وقوال الامتناع بالرميتين المتعاقبتين منهما فقد

ذهب بعض الاصحاب الى أنه يكون مشتركا بينهما وذهب بعضهم الى أنه ملك
للتاني دون الاول لحصول الزمان عقيبا عن الثاني ولم يحصل عقيب ربي الاول
والملك تابع للزمان فان اختلفا وقال كل واحد منهما أنا أزمته بجراحتي
فهو ملكي ووقع الشك في جراحة الاول هل أزمته بالصيد وأنته أم لا فالقول
قول الثاني وتكون له لان الاصل بقاء امتناع الصيد الى أن يتيقن زواله فهذا حكم
الملك * وأما حكم الاكل * فان كان الرامي الاول قد صير الصيد بجرحه الى حالة
المدبوح ولم يؤثر فيه جرح الرامي الثاني فانه يحل أكله وان كان قد أزمه وما أوصاله
الى حالة الزهوق بل فيه حياة مستقرة فرمى الثاني ان كان قد أصاب السهم مذبحه
فانه يحل أكله لكونه صار مدبوحا وان كان لم يصيب بالسهم مذبحه بل جرحه في غير
المذبح فأزهد نفسه فسات به فقد قال الشافعي رضي الله عنه أنه يحرم أكله لانه صار
مقدورا عليه فصار حل أكله متوقفا على ذبحه ولم يذبح فإدامات لم يحل وكذلك
نومات من الجرحين الاول والثاني فانه لا يحل أكله لما أشار اليه من التعليق * وأما
وجوب الضمان ومقدار ما يجب في الصورة التي ملكه الثاني دون الاول وفي
الصورة التي صيرها الاول قهرا برمييه وجرحه الى حالة المدبوح وملكه فرمى الثاني
وجرحه قد صادف ملك الاول فان كان برمييه نقص شيء منه بان مرق الجلود فنقص
أو أفسد شيئا من اللحم فوجب عليه للاول ضمان ما نقص وفي الصورة التي أزمته
الاول بجرحه ولم يوصاله الى حالة المدبوح بل ملكه وفيه حياة مستقرة ففي الحالة
التي أصاب الثاني برمييه مذبحه فذبحه فانه يجب على الثاني للاول ضمان ما بين قيمته
من ما ومدبوحا لانه ذبح ملك غيره وان كان أكله حلالا وفي الحالة التي أصاب الثاني
بجرحه غير المذبح فسات منه بان كان مرهقا فيجب عليه للاول جميع قيمته بجرحه
وفي الحالة التي مات فها من الجرحين الاول والثاني فانه يجب على الثاني للاول
لكونه جائسا على ملكه ويختلف مقدار ما يجب على الثاني من الضمان باختلاف
حال الصيد وقت موته فان كان موته قبل أن يتمكن من ذبحه فيجب عليه كمال
قيمته بجرحه وان فعل الاول كان سبب حل الصيد فلا حكم للسراية وفعل الثاني
وقع مفسدا فيتعلق به وجوب القيمة هذا هو الصحيح وان كان موته بعد أن تمكن
ماله من ذبحه فلم يذبحه حتى مات من الجرحين فلهذا اختلاف أقوال الاصحاب في
مقدار ما يجب على الثاني للاول فذهب بعضهم الى أنه يجب عليه نصف قيمته لان
موته من سراية جرحين أحدهما مباح والاخر حرام فيخصه النصف وذهب بعضهم

وهو اختيار أبي سعيد الأسطخري إلى أنه يجب عليه كمال قيمته بغير وحال لأنه برميته
 أنلفه فضمنه وقد بنى الأصحاب هذه المسئلة على مسئلة لا بد من التعرض لذكرها
 وتفصيل حكمها فانها من المسائل المحسنة وبها يكشف مقدار ما على الثاني من
 الضمان وهي أن نفرض أن الجرحين صدر في صيد مملوك لأنسان فأت من
 سرايتهما فان الضمان يجب عليهما فينظر إلى ما يختص بالاول ويخصه من الضمان
 فنسقطه في مسئلة كون الرأى الاول في مسئلة كان فعله مباحا إلى ما يختص
 بالثاني ويخصه فنوجهه على الرأى الثاني في مسئلة كان فعله مباحا إلى ما يختص
 عشرة دراهم رماه رجل فجرحه فنقص من قيمته درهم ورجعت قيمته إلى تسعة
 دراهم ثم رماه الثاني فجرحه فنقص من قيمته درهم آخر ثم مات من الجرحين فاختلف
 الاقوال من الأصحاب في هذه المسئلة على خمسة أوجه (الاول) وهو اختيار المازني
 رحمه الله أنه يجب على الاول خمسة دراهم وعلى الثاني خمسة دراهم ووافق
 أبو اسحاق المروزي رحمه الله في الحكم وخالفه في التعليل وهذا بعدد تفاوت
 القيمتين وقت الجناية (الثاني) أنه يجب على الاول نصف العشرة وعلى الثاني
 نصف التسعة وهذا وجه لا وجه له لما فيه من تضييع حق المالك
 (الثالث) وهو اختيار النفال أنه يجب على الاول نصف العشرة ونصف وعلى
 الثاني خمسة واعتبر موجب الجناية والسراية وهذا الوجه أيضا مدخول لما فيه من
 زيادة على القيمة (الرابع) وهو اختيار أبي الطيب بن سلمة رحمه الله أنه جمع
 ما عليهما من الارش والسراية فكان عشرة ونصف فوافق المالك لا يستحق الزيادة
 فتقسم القيمة وهي العشرة على الواجب وهو عشرة ونصف فجعل على الاول منها
 خمسة أسهم ونصف سهم من العشرة جمع بين الأمرين وهذا وجه أيضا مدخول لما
 فيه من اعتبار الارش مع سائر الجناية (الخامس) وهو اعتبار صاحب التقريب
 اختياره امام الحرمین رحمه الله تعالى أن على الثاني أربعة ونصف لا غير وعلى
 الاول تمام العشرة خمسة ونصف لكون الاول متسببا إلى الفوات لولا الثاني
 فباتت عذرة تقبیره على الثاني يبقى على الاول وهذا أقرب الوجوه فاذا ظهرت الاقوال
 في هذه المسئلة فلهما في مسئلة فكلما اختص بالاول في هذه المسئلة سقط في
 مسئلة تناوكلما اختص بالثاني وجب في مسئلة تناوكلما على الثاني للارسل (مسئلة) أخوان
 تزوج أحدهما بامرأة كبيرة ووطئها وتزوج الآخر بصغيرة لا تحتمل الوطء ثم أن كل

واحد منهما طلق زوجته وتزوج بالثاني كانت زوجة أخيه ثم إن الكبيرة أرضعت
 الصغيرة خمس رضعات فهل النكاحان باقيان أم ينفسخان أم ينفسخ نكاح
 الكبيرة وحدها أم ينفسخ نكاح الصغيرة وحدها (الجواب) أن النكاحين
 ينفسخان أما الكبيرة فإن نكاحها انفسخ لانها صارت من أمهات النساء بسبب
 الصغيرة التي كانت امرأة زوجها وصارت الكبيرة حراما على الاخوين على التأنيذ
 لا يجوز لاحدهما أن يتزوج بها لانها أم امرأة كل واحدة منهما وأما الصغيرة فانفسخ
 نكاحها لانها صارت ريبة فانها بنت امرأة قد دخل بها وتحرم عليه على التأنيذ
 (مسئلة) رجل تزوج امرأة كبيرة وثلاث صغيرات وللكبيرة لبن فأرضعت الكبيرة
 الصغير الثلاث لكل واحدة خمس رضعات على الترتيب ولبن الكبيرة المرصعة
 ليس من الزوج فهل ينفسخ نكاح الثلاث أم لا ينفسخ منه شيء أم ينفسخ نكاح
 البعض دون البعض فما الحكم (الجواب) أنه ينفسخ نكاح الكبيرة ونكاح
 التي أرضعتها أولا لانه صار جامعاً بين الام وبناتها وأما نكاح المرتفعة الثانية من
 الصغار فإن كانت الكبيرة المرصعة قد دخل بها الزوج انفسخ أيضاً لانها بنت
 امرأة مدخول بها فهي ريبة وكذلك نكاح الثالثة أيضاً ينفسخ لكونها ريبة
 مدخول بها وإن لم يكن الزوج قد دخل بها لم ينفسخ نكاح الثانية لانها لم أرضعها
 كانت بائنة منه فلم يصير جامعاً بينهما وأما الثالثة فقد حصلت اختلا البائنة فبطل
 نكاحها بارضاها وهل يؤثر ذلك في فسخ نكاح الثانية فيه خلاف ووجه انفساخها
 لان الاخوة بينهما ثبتت عند ارضاع الاخيرة دفعة واحدة فرفعت النكاح
 كالوارضعة واحدة ووجه أنه لا ينفسخ أن الحرة تتحدث عند ارضاع
 السائلة فتخصها كالوعدة على أخت زوجها فان الثانية تخص بعدم انعقاد
 نكاحها ويبقى نكاح زوجته فكذلك هذا ^{مسئلة} رجل له ثلاثة أولاد لهم
 عليه مال فطالموا ليعقر لهم به وقال للكبير على ألف درهم والانصف مال لاوسط
 ولا لاوسط على ألف درهم الاثالث مال لا لاوسط ولا لاوسط على ألف درهم الاربع
 مال لا لاوسط فكم حصة ما لهم عليه وكم مقدار ما لكل واحد منهم (الجواب) أما حصة
 الذي أقر لهم به فهو ألفان ومائتا درهم وأما ما لكل منهم فان الكبير له ستمائة درهم
 وأربعون درهما والاوسط له سبعمائة درهم وعشرون درهما والا صغر له ثمانمائة
 درهم وأربعون درهما وبيان صحة ذلك أنه اذا أسقط من الالف نصف مال لاوسط
 ونصف الذي لا لاوسط ثلثمائة وستون تبقى ستمائة وأربعون درهما وهي التي

الاكبر واذا اسقطت من الالف ثلث مالا لصغير وثلث مالا لصغير هو مائتان وعشرون
 درهم ما تبقى سبعمائة وعشرون وهي التي للاوسط واذا اسقطت من الالف ربع
 مالا لكبير وربع الذي لكبير مائة وستون يبقى ثمانمائة وأربعون وهي التي
 للصغير فهذه صورة المسئلة وجوابها * وأما طريق استخراجها وكيفية العمل
 فيها فهو أن تؤخذ مخرج السكود التي ذكرها في الاستثناء وهي مخرج النصف
 وهو اثنان ومخرج الثالث وهو ثلاثة ومخرج الربع وهو أربعة فتضرب الاول
 وهو اثنان في الثاني وهو ثلاثة تكون ستة ثم في الثالث وهو أربعة تكون
 أربعة وعشرين ثم يؤخذ الجزء المستثنى أولا وهو النصف من الاثنين ويؤخذ
 الجزء المستثنى ثانيا وهو الثلث من الثلاثة ويؤخذ الجزء المستثنى ثالثا وهو
 الربع من أربعة فتضرب الاجزاء الثلاثة بعضها في بعض وهي من كل مخرج
 واحد فتضرب واحدا في واحد ثم المرتفع من ذلك في واحد فلا يرتفع من الجميع غير
 واحد فيزداد على ما كان قد ارتفع من ضرب المخرج أولا وهو أربعة وعشرون
 فيصير الجميع خمسة وعشرين وهي المقسوم عليه فيحفظ لاجل القسمة ثم يؤخذ ما بقي
 من مخرج النصف بعد اسقاط الجزء المستثنى وهو واحد فيضرب في مخرج الثالث
 وهو ثلاثة تكون ثلاثة ثم يؤخذ الجزء المستثنى من النصف وهو واحد فيضرب
 في الجزء المستثنى من الثالث وهو واحد فيكون واحد فيزداد على تلك الثلاثة فيصير
 أربعة فيضرب في مخرج الربع فيكون ستة عشر فيضرب في الالف فيكون ستة
 عشر ألفا فيقسم على الخمسة وعشرين المحفوظة أولا فتخرج ستمائة وأربعون
 وهو المقدار الذي لكبير ثم تعمل في الآخر كذلك فيؤخذ الباقي من مخرج الثالث
 بعد اسقاط الجزء المستثنى منه والباقي منه وهو اثنان فيضرب في مخرج الربع
 وهو أربعة فيكون ثمانية ثم يؤخذ الجزء المستثنى من الثلاثة وهو واحد
 فيضرب في الجزء المستثنى من الاربعة وهو واحد فيكون واحد فيزداد على
 الثمانية فتصير تسعة فيضربها في مخرج النصف وهو اثنان فتكون ثمانية
 عشر ألفا فتقسم على الخمسة وعشرين المحفوظة فتخرج سبعمائة وعشرون
 وهو المقدار الذي للاوسط ثم يؤخذ الباقي من مخرج الربع بعد اسقاط الجزء
 المستثنى منه والباقي منه ثلاثة فيضرب في مخرج النصف وهو اثنان تكون ستة
 ثم يؤخذ الجزء المستثنى من الاربعة وهو واحد فيزداد على الستة فتصير سبعة
 فيضربها في مخرج الثالث وهو ثلاثة فتكون احدى وعشرين فتضرب في الالف

فتصير أحد وعشرين ألفاً في قسم على الخمسة والعشرين فتخرج ثمانمائة وأربعون وهو المقدار الذي الأصغر **(مسألة)** خمس رجال تطهروا للصلاة وجلسوا في بيت فسمعوا صوت حدث من بينهم وأنكر كل واحد منهم أن يكون هو الذي أحدث ثم إن كل واحد منهم صلى اماماً بالباقيين في صلاة واحد من الصلوات الخمس الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فهل صحت صلاة الأئمة الجميع والمأمومين أم بطلت صلاة الجميع أم صحت صلاة الأئمة وبطلت صلاة المأمومين أم صحت صلاة المأمومين وبطلت صلاة الأئمة أم صحت صلاة البعض وبطلت صلاة البعض **(الجواب)** إن صلاتهم الصبح والظهر والعصر صحيحة للأئمة والمأمومين ولا إعادة عليهم ولا على واحد منهم في شيء منها يجوز أن يكون الحدث الممزوج من الإمامين السابقين في المغرب والعشاء فأما الصلاة الرابعة وهي صلاة المغرب فلا إعادة فيها على واحد منهم الأعلى من أم في الصلاة الخامسة لأنه لما نفي الحدث عن نفسه وعن الثلاثة الذين صلى خلفهم واقتدى بهم من قبل في الصبح والظهر والعصر فقد أضاف الحدث إلى الرابع ونسبه اليه ومن اقتدى بمن اعتقد حدثاً زعمته الإعادة وأما الصلاة الخامسة وهي العشاء فلا إعادة فيها واجبة على المأمومين الأربعة لأنهم أضافوا الحدث إلى الخامس وهو الإمام فيها وانما زعمته إعادة الرابعة التي كان مأموماً فيها وهذا من مستحسّنات المسائل فرتبها الاحتساب على مسألة في اشتباه المساء الظاهر والتجس في الأواني إذا اجتهد فيها جساءة وهي من المسائل المشهورة بين العلماء **(مسألة)** رجل له زوجتان اسم الواحدة هند والآخرى زينب فنادى أحدهما فقال يا هند أنت طالق ثلاثاً مع زينب وقال ما كان في نيتي الإطلاق هند فهل يقبل دعواه أم لا وإذا لم تقبل دعواه فكيف يقع على كل واحدة ثلاث طلاقات أم طلقان **(الجواب)** أنه يقبل دعواه في أنه لم يرد بالطلاق إلا هند وإذا لم يرد زينب فلا يقع عليها طلاق أصلاً ويقع الطلاق الثلاث على هند دون الأخرى **(مسألة)** رجل مات وخلف ورثته المستحقين ميراثه بمئة وبنات ابنته وأخوته لأبويه وأمه فأقسم ميراثهم على الفريضة الشرعية للبنت النصف ولبنت الابن السدس تسكيمات الثلاثين وللام السدس والباقي للأخت المذكورة ثم أقرت أنسان وقال لورثة فلان ألف درهم على تخضر وطالبوه وقبضوها منه ومات عقب دفعها فكيف تقسمها بينهم ولم يكن لكل واحدة منهم منها **(الجواب)** نص الشافعي رضي الله عنه

على حكم هذه المسألة وقال يقسم المقر به بين الورثة المقر لهم بالسوية ويكون ذكر ذلك صفة تعريف ولا يكون مقسوما على المواريث فيصرف الى كل واحدة من النسوة الاربع ربع ربع الالف المقر بها **مسألة** مات انسان وخلف مالا فأخذ ورثته بقسمون التركة فجاءت اليهم امرأة حبلى وقالت لا تقسموا فاني حامل فان وضعت بنتا ورثت هي وأنا وكأشركاكم في التركة وان وضعت ابنا لم يرث هو ولا أنا وان وضعت بنتين ورثنا كلنا وان وضعت بنتا وابنا لم يرث هذا أحد فن كانت هذه الحبلى من الميت ومن هم الورثة **الجواب** ان هذه الحبلى بنت ابن الميت وصورة المسألة امرأة لها زوج وأب وأم وبنت ولها بنت ابن ابن مريضة بابن ابن آخر لها مات عنها وتركها حبلى وهي هذه التي قالت لهم لا تقسموا فلزوج الميتة الربع ولبناتها النصف ولا يوجبها السكك واحد السدس فان وضعت هذه الحبلى بنتا ورثت كلاهما السدس بينهما تسككاهما الثلثين لانهما في درجة واحدة فانهما ينسبان الى الميتة بأبائهما بنتا وتقول المسألة الى خمسة عشر فيكون للزوج ثلاثة وللبنت ستة وللأب سهمان وللأم سهمان ولهذه الحبلى سهم واحد ولبناتها سهم واحد وكذلك ان وضعت بنتين كان السدس الباقي بينهما وبين بنتيها مائة تقاسمها سواء وان وضعت ابنا وابنا وبنتا فلا شيء لواحد منهم لانهم صاروا عصبة بالذكور ولم يبق بعد الفروض شيء ليصرف الى العصبة **مسألة** رجل مملوك له بنتان حرة وله أب مملوك فاشتريت البنتان بأباهم اعتق عليهما وصاروا ثم ان الكبري من البنتين اشترت هي وأبوها جدها اعتق عليهما وصار الجميع أحرارا فمات أبوهما ثم ماتت جدهما فكيف تقسم تركته **الجواب** الاب **الجواب** أما تركته الاب فلا إشكال فيها فانها بين ابنتيه وأبيه البنتين الثلثان وللأب الثلث وانما الاشكال في ميراث الجدة وتفصيل الحكم فيه ان الجدة قد خلفت بنتي ابن فلها الثلثان فرضا يبق من التركة الثلث والكبرى الولاء على نصف الجدة لانها اشترت نصفه فلها نصف الثلث الباقي بولائها على النصف فيبقى السدس كان يستحقه مولى نصفه الآخر وهو ابنه وهو ميت ليس له عصبة فيكون نصيبه لمعتقه والبنتان معتقتاه فيكون السدس بينهما نصفين فتصير المسألة من اثني عشر سهما قل كل بنت منهما أربع بحكم القرابة ثم للكبرى من الاربع الباقية بحكم ولائها على الجد سهمان ثم السهمان الباقيان بينهما نصفان لكل واحدة

سهم واحد ويصير للبنت الكبرى سبعة أسهم وللصغرى خمسة أسهم **مسألة**
 عبد مملوك له ابن وبنت أحرار فاشترى أباهما عتق عليهما ثم اتى الأب واشترى
 ابنا وأعتقه ثم مات الأب فأكسب العتق مالا ثم مات كيف نفعهم تركته وهذه
 من المسائل المشككة حتى قيل أنه غلط في جوابها وأخطأ في أصابة صوابها
 أربع مائة قاض فضلا عن غيرهم فانهم قالوا ما هو المأدب الذي فهم من لم يكن قدمه
 راسخة في التحقيق ولا الخطة العناية الربانية بعين التوفيق ان ميراث العتق يكون
 بين الابن والبنت الذين اشترى أباهما معتق هذا العبد فانهم معتقاه فورا
 وهذا غلط قبيح وخطأ فاحش والحق في الجواب أن جميع التركة للابن لأنه عصبه
 المعتق وأما البنت فانها معتقة المعتق ولا حق للمعتق مع وجود عصبته المعتق
 من النسب والابن عصبه المعتق دون البنت فكان الميراث له فهذه عشر مسائل
 كافلة بالمراد كافية مع في الغرض مع الاقتصاد

مسائل حسابية

النوع الثالث في ذكر شيء من سير المسائل التي يترأس بذكرها المخاطرون ويتناظر
 منها المقتصر القاصر تصلح لطارقة من يتجلى بعقود الحساب ويتولى زعامة صدور
 الحساب **مسألة** رجل له فرس حضره ثلاثة أشخاص لشراؤها منه فساووه عن ثمنها
 فذكره لهم فقال أكبرهم لا وسطهم أن أعطيتني ثلاثة أخماس مامعك من الدنيا يصرار
 معي ثمن الفرس وقال الاوسط للاصغر أن أعطيتني أربعة أسباع مامعك من
 الدنيا يصرار معي ثمن الفرس وقال الاصغر لأكبر أن أعطيتني خمسة
 أثمان مامعك من الدنيا يصرار معي ثمن الفرس فكم كان ثمن الفرس ديناراً
 وكم كان مع كل واحد من الثلاثة من الدنيا **الجواب** أما ثمن الفرس
 فانه كان ثلثمائة دينار وأربعين ديناراً وأما ما كان مع كل واحد منهم من
 الدنيا فان الأكبر كان معه مائتا ديناراً وثمان ديناراً وكان مع الاوسط مائتا
 ديناراً وعشرون ديناراً وكان مع الاصغر مائتا ديناراً وعشرة ديناراً واعتبار
 ذلك أنه إذا أخذنا ثلاثة أخماس المائتين والعشرين التي هي مع الاوسط وهي
 مائة وثمانون وأضيفت الى مائة وثمانين وهو مائتان وثمانية صارت ثلثمائة
 وأربعين ديناراً وهو ثمن الفرس وإذا أخذنا خمس أثمان المائتين والثمانية التي
 هي مع الأكبر وهي مائة وثلاثون وأضيفت الى مائة وثمانين وهو مائتان وعشرة
 صارت ثلثمائة وأربعين ديناراً وهو ثمن الفرس وإذا أخذنا أربعة أسباع المائتين

أديت من الخراج الواجب عليك فتسال ثالث ما أديت وربيع ما بقي وخمس جميع
الخراج فكم هو جميع الخراج وكم الذي أدي وكم الذي بقي **الجواب** أما جميع
الخراج فإنه خمسة وخمسون وأما الذي أداه منه فسبعة وعشرون وأما الذي بقي منه
فثمانية وعشرون وطريق استخراج ذلك أن يؤخذ مخرج الثلث وهو ثلاثة فيضرب
في مخرج الربع وهو أربعة يكون اثني عشر فيسقط منه ما بين المخرجين وهو واحد
تبقى أحد عشر فيضرب في مخرج الخمس يكون خمسة وخمسين وهو مبلغ الخراج ثم
يؤخذ المربع من ضرب مخرج الثلث في الخمس يكون سبعة وعشرين وهو المقدار
الذي أداه إلى الخراج والساقى من الخراج وهو ثمانية وعشرون **مسألة** إذا
أرسل السلطان فارسا بكتاب إلى بلد بعيد وأمره أن يسير كل يوم سبعة فراسخ ثم عزم
مهم آخر اقتضى أن يلحق به الفارس فأرسل نجابا بعد الفارس بتسعة أيام وأمره
أن يسير كل يوم خمسة عشر فرسخا ليدرك الفارس ففي كم يوم يلحقه **الجواب** يلحق
النجاب الفارس في سبعة أيام وعشر ساعات ونصف ساعة وهي نصف يوم وربع يوم
وثلث يوم وطريق استخراج ذلك أن ينقص سير الفارس وهو سبعة من سير النجاب وهو
خمس عشر ويؤخذ الباقي منه وهو في هذه الصورة ثمانية فيحفظ ليقسم عليها ثم يضرب
سير الفارس في عدد الأيام التي قد سبق النجاب بها وهي تسعة أيام فتكون ثلاثة
وستين فيقسم على المحفوظ أولا وهو ثمانية فيخرج من القسمة سبعة ونصف وربع
وثلث وهو **الجواب** **مسألة** نجاب سير في مهم إلى بلد وأمر أن يسير في ذهابه مسرعا
كل يوم خمسة عشر فرسخا وفي عودته مسرعا كل يوم تسعة فراسخ فمضى وعاد في عشرين
يوما كم كان منها في ذهابه وكما كان في عودته **الجواب** كان ذهابه في سبعة أيام
ونصف وكان عودته في اثني عشر يوما ونصف وطريق استخراج ذلك أن تجمع فراسخ
ذهابه ومحيطه فيكون أربعة وعشرين فرسخا فهي المقسوم عليه ثم تضرب فراسخ
عودته في الأيام التي ذهب وعاد فيها وهي عشرون فتعطي مائة وثمانين فتقسم
على الأربعة وعشرين المذكورة فتخرج بالقسمة سبعة ونصف وهو عدد
أيام ذهابه وتضرب فراسخ ذهابه في الأيام كلها تكون ثلثمائة فتقسم على الأربعة
وعشرين فتخرج بالقسمة اثنا عشر ونصف وهي عدد أيام عودته وهذا القدر
اليسير يكمل مقصود المذاكرة ويحصل الغرض من نشوار المحاضرة فان هذا

النوع بين الأنواع والأقسام بمنزلة الملح المستعمل في الطعام فقليله كافٍ ويسيره
بالمطوب شافٍ ولولا ذلك لاطال القلم لسانه في إيراد صورته المستغربة المعاني
وتعداد مسائله المستعذبة المجاني فإنه نوع لا يكاد يحصى غرائب كاتبه ولا يضبط
بحسابه * ولما انتهى الكلام في هذا المقام إلى آخر هذه المسائل
الرياضية التي تنبسط القرايح في استخراجها وتنشط الخواطر لاستنتاجها فليكن
ختمها زفاف بكر من خدركر اذ اتصلت بأرباب الأذهان والفطن نرات
من خواطرهم الصائبة في أرجح منزل وأقبح وطن وأماطت عن أبصار
بصائرهم الصافية اعراض الاغراض ومعارضة الوسن فلاجرم هي لغيرهم
فاطمة عن معارجها وعندهم والده من نتائجها كل حسين وحسن وهي لمعة
موضوعة لاستخراج معرفة أوائل الشهور في جميع السنوات وحكمة يستنبط بها
مواقب الالهة ومواسم الاوقات وفائدة يهدي اليها ويدل عليها ما ينط به من
الاسماء والصفات فاللقاب السلطانية دليلها وعلى الصفات الملكية الناصرية
تعويها وفي خدمته العالمة مقرها ومقملها ومن خدمته المولى والسلطان الملك
الناصر صلاح الدين يوسف تعريفها وتأصيلها فمن تأمل سرها بعين الدراية
عرف رمزها ومن تحمل عبثها لطالب الهداية فقد كشف كنزها وهذا الجدول
لايضاحها وبه بيان مفتاحها ولما كانت الحاجة داعية إلى معرفة أوائل
الشهور والمياسم المبنية عليها وقد تكون المطالع كاسية من ملابس الغيوم ما يحول
بين الالهة وبين الناظرين اليها كان من فوائد العمل بهذا الجدول أن يؤخذ
جميع سنى الهجرة من أولها مع السنة التي تريد معرفة أول أشهرها ومواسمها
فيستقط ذلك كله مائتين وعشرة مائتين وعشرة إلى أن يبقى أقل من مائتين وعشرة
فتنظر في جدول الأعداد في بيوت العشرات وفي بيوت الآحاد فحساب الجدول
عن يمينه طولاً في العشرات وأعلى الجدول فيسه الآحاد فالأحادي من الواحد
إلى العشرة والعشرات من العشرة إلى المائتين وعشرة فتعتمد على المقدر الباقي
بعد اسقاط عشراته في العشرات وآحاده في الآحاد فتوضع أصبع على البيت
الذي فيه تلك العشرات وأصبع على البيت الذي فيه ذلك العدد من الآحاد ثم تمر
الأصبع في السطر الذي يواز تلك العشرة عرضاً وتنزل الأصبع في السطر الذي
تحت ذلك العدد من الآحاد طولاً فيثبت الأصبعان في بيت واحد ينظر ما في

ذلك البيت من الاسماء والصفات السلطانية فيحفظ ثم ينتظر في الجدول
المعمول للشهور ويعتبر أعلاه فينظر ذلك الاسم والصفة المحفوظة فإذا ظهر في أعلاه
الجدول فتوضع الأصبع عليه ثم ينزل في السطر الذي تحته إلى محاذاة الموسم
أو الشهر المطلوب معرفة أوله أن كان شهرا أي يوم هو أو أن كان موسما فلا كان
في محاذاته فهو المطلوب واعتبار ذلك أنه إذا أريد معرفة شعبان من سنة أربع
وأربعين وستمائة ومعرفة ليلة نصفه ومعرفة أول شهر رمضان فتسقط سنوات
الهجرة مائة اثنين وعشرة مائة وعشرة فتسقط ستمائة وثلاثون ويبقى أربعة عشر
ففي الواحد أربعة وفي العشرات عشرة واحدة فإذا وضعت أصبعها على العشرة
الواحدة ثم مررت في الوسط الموازي لها وضعت أصبعها على الأربعة ثم نزلت إلى
محاذاة العشرة الواحدة التتت الأصبعان في بيت واحد فيه الاسم الكريم
السلطاني نصره الله وهو يوسف فيحفظ لازل في حفظ الله جل وعلا ثم ينظر
في جدول الأشهر فيوجد الاسم الكريم المحفوظ في العرف الأيسر من السطر
الأعلى منه فتوضع الأصبع بأزائه وتنزل إلى محاذاة شهر شعبان فيوجد في محاذاته
اسم أوله وهو يوم الأربعاء ومحاذاة نصفه تحته يوم الأربعاء ومحاذاة أول رمضان
تحته يوم الخميس ومحاذاة أول شوال تحته وهو يوم العيد يوم السبت وهكذا طريق
العمل به دائما

الأعداد الحاد عشرات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
عشرة	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى
عشرين	المولى	يوسف	الملك	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	يوسف	الناصر
ثلاثين	الملك	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	يوسف	الناصر	المولى	خدمة
أربعين	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	السلطان
خمس	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الناصر
ستين	المولى	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	الملك	المولى
سبعين	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	الملك	يوسف	السلطان	المولى	الملك	السلطان
ثمانين	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	السلطان	الناصر
تسعين	يوسف	الملك	المولى	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	الناصر
مائة	المولى	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	خدمة	الناصر	المولى
مائة وعشرة	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	الملك	يوسف	السلطان	المولى	الملك	خدمة
مائة وعشرين	الناصر	المولى	يوسف	الناصر	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	السلطان
مائة وثلاثين	يوسف	الملك	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	الملك	خدمة	الناصر
مائة وأربعين	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	الملك	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر
مائة وخمسين	السلطان	يوسف	الملك	المولى	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	الملك	يوسف
مائة وستين	الناصر	المولى	الملك	خدمة	الناصر	المولى	الملك	خدمة	السلطان	يوسف
مائة وسبعين	الملك	خدمة	الناصر	المولى	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	الملك	السلطان
مائة وثمانين	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	السلطان	خدمة	الناصر	المولى
مائة وتسعين	السلطان	يوسف	الملك	المولى	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	الملك	يوسف
مائة	الملك	المولى	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	السلطان	يوسف	الملك	الناصر
مائة وعشرة	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	الملك	يوسف	السلطان	المولى	الملك	السلطان

أسماء الشهور	خدمة	المولى	السلطان	الملك	الناصر	صلاح الدين	يوسف
المحرم	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
عاشوراء	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
صفر	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ربيع اول	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
ربيع اخر	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
جادى الاولى	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة
جادى الاخرة	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
رجب	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
شعبان	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
النصف	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
رمضان	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
شوال	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
ذوالقعدة	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ذوالحججة	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
الوقفة	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
عيد الاضحى	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس

في طائفة الكتاب وهي الدعاء

وحيث تجوزت مقاصد القواعد السالفة وتحررت أنواع هذه القاعدة المستأنفة واشتملت بروائها ومعاقدتها على فنون من المعاني الثالثة والطارفة وجعلت من سمات الصفات ومهمات الولايات ما قامت بحقه فيه فصاح اللسان الوامضة وان انقسامه وانقسامه وتسامه وتم انتظامه أبرم حاكم الانحلاص حكايا يسع نقضه وحكم بما لا يسوغ تركه ورفضه وألزم ما يتحتم في شريعة الموالات واجبه وفرضه وهو التمسك على الذرية الواصلة الى الله تعالى عند السؤال والطلب والوسيلة الكافية بما يوجب الامل في العساجلة والقلب والاشارة الى ما يقتضيه القلوب الى الله تعالى بأزمنة الرغب والرهيب ويستعمل النفوس الى اكتساب السعادة الابدية التي ينجون من فاز بها من العطب فرأيت ذلك من أنفسنا الاحكام وأنفس الاقسام وأنفع ما جرت به حركات الاقدام * في ما استقى هذه الاسباب طائفة الكتاب وأسمى منازلها الرقاب فمنتهى القواعد والابواب فانه اذا عرضت أقسام الكلام على الافهام ورصعت جواهر الحكم والاحكام في سلك النظام فهذه الخاتمة أحلاها وكذا العادة أن بالحلو وانقسام الطعام وهو الدعاء الذي هو سر عباد الصالحين والتسك بعرفته تدرك أخلاف مطالب المتبحرين وباقامة أوراده ترجح حقيقة المفلحين فسكن من داع سعد ببركة الدعاء وكم من تاج كفاه الله بدعائه شر البلاء وكم من حاجة قضيت لطالبها بشرف ما دعا به من الاسماء وقد أمر الله بعبادته بدعائه ووعدهم بها بالاجابة فأخبر على لسان نبيه بأن لكل مؤمن في كل يوم دعوة مستجابة وأنزل في الكتاب العزيز وقال ادعوني أستجب لكم وقال سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعاً وخفية وقال تعالى أمن يحيب المضطرب إذا دعاه وقال تعالى قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء ينفع مما نزل وما نزل ولن يرد القضاء الا الدعاء فعليكم بالدعاء وعلى الجملة فالدعاء عظيم ومقامه كريم ووجهه وسيم وقدره جسيم فمن رغب في خیر من خیرات الدنيا والآخرة أورد ربه من شر من شرور الدنيا والآخرة فليستخرج الى الله تعالى ويبتل اليه ويسأله ويدعوه بالانحلاص نية ولهازة عزيمة في أن يرزقه الله مطلوبه أو يدفع عنه مرهوبه

أَوْ يَغْفِرْ لَهُ ذَنْبَهُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمُ مَنْ أَنْ يُخَيِّبَ أَمْلَ عَبْدِهِ فِيهِ وَقَدْ أَخْبَرَ عَلَى لِسَانِ
نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا عِنْدُنْ عَبْدِي بِي وَهَذِهِ أَدْعِيَةٌ مَأْثُورَةٌ مَخْتَارَةٌ مِنْ
الدُّعَوَاتِ الْمَنْقُولَةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْصَرْتُ عَلَى هَذَا الْمَقْدَارِ مِنْهَا
(هَذَا ذَلِكَ) مَا رَوَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا سُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْكَ مِنَ
الدُّعَاءِ بِالسُّكُومِ وَالْجَوَامِعِ قَوْلِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ
وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمُقَابِلَهَا
مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمُقَابِلِهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ
مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ شَرِّ
مَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ وَمَا قَضَيْتَ لِي مِنْ
أَمْرٍ فَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ لِي رَشِيدًا (وَمِنْ ذَلِكَ) الدُّعَاءُ الَّذِي أَلْقَاهُ جِبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ * يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ
الْقَبِيحَ يَا مَنْ لَمْ يَأْخُذْ بِالْجَمْرِ بَرَةً وَلَمْ يَهْنِكِ السَّيْرُ يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ يَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ
يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ يَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ يَا رَحِيمَ يَا مَنْ تَسْتَسِي كُلُّ شَيْءٍ كَوِي يَا صَاحِبَ كُلِّ نَجْوَى
يَا كَرِيمَ الصَّفْعِ يَا عَظِيمَ الْمَنِّ يَا مُبْتَدِئًا بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا يَا رَاحِمًا يَا سَدِيدًا يَا مُلَاحِظًا
بِأَعْيَانِ رَغَبَاتِهِ أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ أَنْ لَا تُشَوِّهَ خَلْقِي بِالنَّارِ (وَمِنْ ذَلِكَ) الدُّعَاءُ الَّذِي رَوَاهُ
أَتَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَالَ حِينَ يَصْبِحُ
اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَشْهَدُكَ وَأَشْهَدُ جَلَّةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ إِنَّكَ
أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَأَنْ تُعْهِدَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ الْغَفْرَ
اللَّهُ لَهُ مَا أَصَابَ فِي لَيْلَتِهِ مِنْ ذَنْبٍ وَإِنْ هُوَ قَالَهُ أَحِبِّ عَمْسِي غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا أَصَابَ فِي يَوْمِهِ
مِنْ ذَنْبٍ (وَمِنْ ذَلِكَ) الدُّعَاءُ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ حِينَ يَصْبِحُ وَحِينَ يَمْسِي حَتَّى يَفَارِقَ الدُّنْيَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ
الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَمَالِي وَمَا لِي اللَّهُمَّ اسْتَرْعُورَانِي وَأَمِنْ رَوْعَاتِي
اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ
بِعِظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي (وَمِنْ ذَلِكَ) الدُّعَاءُ الَّذِي رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ
قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي
بِهَا قَلْبِي وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلِي وَتَلْمِ بِهَا شَعْرِي وَتَرْدِّهَا لِي الْفَتْى وَتَصْلِحَ بِهَا دِينِي وَتَحْفَظَ بِهَا خَلْقِي
وَتَرْفَعَ بِهَا شَاهِدِي وَتَرْكُ بِهَا عَمَلِي وَتَبَيِّضَ بِهَا وَجْهِي وَتُلْهِمَنِي بِهَا رَشْدِي وَتَعْصِمَنِي

بهامن كل سوء اللهم أعطني إيماناً صادقاً و يقيناً ليس بعده كفر و نعمة أنال بها
 شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني أسألك الفوز عند القضاء و منازلة
 الشهداء و عيش السعداء و مرافقة الأنبياء و النصرة على الأعداء اللهم اني أنزل بك
 حاجتي و ان قصم رأيي و ضعف عملي و افة قرت الي رحمتك فأسألك يا فاضل الأمور
 و يا شافي الصدور كما تحب بين البحور أن تحبني من عذاب السعير و من دعوة
 الثبور و من فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي و ضعف عنه عملي و لم تبلغه نيي
 ولا أمني من غير وعدته أحداً من عبادك أو خير أنت معطيها أحداً من خلقك
 فاني أرتغب اليك فيه و أسألك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هاديين مهديين غير
 ضالين ولا مضلين حرباً بالأعداء و سلماً بالولاء تحب بعبادك من أحببك و نعاذي
 بعد أولئك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدماء و عليك الاجابة و هذا الجهد
 و عليك التكاليف و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم و أما ما اسم الله الاعظم
 و الاسماء الحسنى التي ما سئل بها الا أعطى و لا دعي بها الا أجاب و ما قيل في ذلك
 فتدذكركت الخفيض ما قيل فيه و فصلت تلك الاسماء الحسنى على ما وردت
 في الحديث المروي طريق الترمذي رحمه الله في المختصر المؤاني في ذلك المسمى
 بزبدة المصنفات في الاسماء و الصفات و فيه غنية و بلاغ عن اعادته و لكن نردف
 هذه الدعوات المذكورة و الروايات المأثورة بما هو معروف بدعاء الاستخارة
 و دعاء الحاجة فانما دعاء أن مشهود لهما بفتح المسمى مخصوصان بذلك ثقلاً و وضعاً
 مناسبان لما جعل الله عقلاً و شعراً أساء الاستخارة) فقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه
 كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة
 من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فير كعركعتين من غير الفريضة ثم يقول
 اللهم اني استخيرك بعلمك و استقدرك بقدرتك و أسألك من فضلك العظيم فانك
 تقدر و لا أقدر و تعلم و لا أعلم و أنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر
 خير لي في ديني و معاشي و عاقبة أمري أو قال و عاجل أمري و آجله فأقدره لي ويسره
 لي ثم بارك لي فيه اللهم و ان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني و معاشي و عاقبة
 أمري أو قال في عاجل أمري و آجله فأصرفه عني و اصرفني عنه و اقدر لي الخیر
 حيث كان ثم رضني و يسمني حاجته * و أما الحاجة فقيل عبد الله بن أبي أوفى قال
 رسول الله صلى الله عليه و سلم من كانت له الى الله تعالى حاجة أو الى أحد من بني

أدم في توضأ و ليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثني على الله وليصل على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ليقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش
العظيم الحمد لله رب العالمين أسألك بموجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة
من كل بر والسلامة من كل اثم لا تدع لي ذنباً الا غفرتة ولاهما الا فرجتة ولا حاجة
هي لك رضا الا قضيتها يا ارحم الراحمين

تذنيه * لما كان الدعاء والتضرع الى الله تعالى مشروطاً بركة القلب وصفاء
الباطن وطهارة النفس وإخلاص النية وصحة التصدد وذلك لا يحصل الا بتبصرة
وذكرى فانه لا يستراب في أن تذكير القلوب بأيام الله وتخويف النفوس بالوقوف
بين يدي الله يكسوهما من الرقة والصفاء ملابس الاسعاد ويبعثها على الاستعداد
لساكن سبل الرشاد ويوقفها لاحتقار الزا ديوم المعساد يوم مالها من عاصم ومن
يضال الله فخاله من هاد * وقد عا قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في مثل
هذا لما ولي الخلافة ان أول من أيقظني من احم وكان هذا من احم مولى لعمر قال عمر
حبست رجلاً في ساقوت في حبسه القدر الذي يجب عليه فسكاه في من احم في اطلاقه
فقلت ما أنا بمفرجه حتى أبلغ به أكثر مما مر عليه فقيل لي من احم يا عمر بن عبد العزيز
اني أحذرك لئلا تمخض بالقيامه في صبيحتها تقوم الساعة يا عمر لقد كذبت أنسى
اسك مما سمع قال الامير وقيل الامير وصنع الامير فوالله ما هو الا أن قال ما قال
فسكاهما كشف عن وجهي غطاء فذكروا أنفسكم رحمكم الله فان الذكري تنفع
المؤمنين * فهذا ما أوردت من الالفاظ المرفقة للقلوب والكلمات المرغوبة للنفوس
في اجتناب الذنوب والاذكار التي بها يقطر الصالحون قلوب الخائف والعظماء بحكم
الوجوب ما هو عند اعتباره واختباره تذكرة للثقلين وفيه ان شاء الله شفاء لما في
الصدر وهدي ورجة للمؤمنين * فنه قول سعيد بن عامر لا مير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اني موصيك بكلمات من جوامع الاسلام ومعالمه قال أجل
قال اخش الله في الناس ولا تخش الناس في الله ولا تخش انفسك فقولك فاعلمك فان خير
القول ما صدقه الفعل وأحب لغير المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل
بيتك وخص العناية بالحق حيث علمته ولا تخف في الله لومة لائم قال عمر رضي الله
عنه ومن يستطيع ذلك يا سعيد قال من وكب في عنقه مثل ما ركب في عنقه * ومنه
قول خولة بنت حكيم امير بن الخطاب رضي الله عنه قال قتادة خرج عمر بن الخطاب

من المسجد ومعه الجارود العبدى فاذا امرأة برزت على ظهر الطريق فسلم عليها عمر
رضي الله عنه فردت عليه السلام وقالت فيه يا عمر عهدتك وانت تسمى عيراني
سوق عكاظ تصارع الغتيان فلم تذهب الايام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الايام حتى
سميت أمير المؤمنين فأتق الله في الرعية را علم أنه من خاف الموت خشى الفوت فبكى
عمر رضي الله عنه فقال الجارود هيه اجترأت على أمير المؤمنين فأبكيتيه فقال عمر
دعها أما تعرف هذه هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سمائه فعمر
والله أحق أن يسمع قولها فانها هي التي أنزل الله في حقها لما جاءت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها وتشتكي الى الله ومنه
قول أبي بكر ؓ وقد دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم انك في كل يوم
يضي عليك وفي كل ليلة تأتي عليك لا ترداد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا
وعلى أثرك طالب لا تقوته وقد نصب لك حدا لا تجوزه فأسرع ما تبلغ الحد وما
أوشك ما يلحقك الطالب وأنا وأنت وما نحن فيه كلنا زائل وسنصير الى ما هو باق
في الآخرة ان خير الخير وان شر الشر اشر وما ربك بغافل عما تعملون ومنه قول أبي
حازم سليمان بن عبد الملك قال ابن أبي كثير لما حج سليمان بن عبد الملك ودخل المدينة
قال هل بها أحد أدرك جماعة من الصحابة قالوا نعم أبو حازم فأرسل اليه فأثاه فقال
له يا أبا حازم ما نكرك الموت فقال عمر ثم الدنيا خير من الآخرة فتركه
المخروج من العمر ان الى الخراب قال صدقت يا أبا حازم ليت شعري ما لنا عند الله
قال اعرض عملك على كتاب الله عز وجل قال أين أجده من كتاب الله قال أبو حازم
قال الله تعالى ان الامرار في نعيم وان الفجار في عذاب عظيم قال فأين رجة الله تعالى قال
قريب من المحسنين قال سليمان فكيف العرض على الله تعالى غدا قال أما
المحسن فكأن الغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكأنه لا يبقى يقدم على مولاه فبكى
سليمان بكاء شديدا وقال كيف السبيل ان أن تصلح الاعمال قال قال نعمون بالسوية
وتعدلون في القضية وتراعون أمر الرعية وذكر كلاما طويلا لا كان آخره أن قال له
سليمان ارفع يا أبا حازم حاجتك قال نعم ترزخني عن النار وتدخلني الى الجنة قال
سليمان ليس ذلك الى قال هذه حاجتي قال فادع لي قال اللهم ان كان هذا سليمان
من أوليائك فدمره بخير الدنيا والآخرة وان كان من أعدائك فخذ بنصيبه الى
ما تحب وترضى ثم تركه وانصرف ومنه ما رواه الزهري قال نظر سليمان بن عبد الملك

الى رجل يطوف بالكعبة فقال يا ابن شهاب من الرجل فله رواء فقلت يا امير المؤمنين
هذا طاوس الياني وقد أدرك عدة من الصحابة فأرسل اليه سليمان فأثابه فقال
عسى تحدثنا فقال حدثنا أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان أهون الخلق على الله من ولي من أمر المسلمين شيئا ولم يعدل فيهم فتغير وجه سليمان
وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال حدثنا فقال حدثني رجل من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب طنذت أنه أراد عليا عليه السلام قال دعاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طعام في مجلس من مجالس قريش ثم قال
ان لكم على قريش حقوا وقريش على الناس حقاما استرجوا فرجوا واستحكموا
فعدلوا واتممنوا فأدوا فمن لم يفعل ذلك لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فتغير وجه
سليمان وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال حدثنا فقال حدثنا ابن عباس
رضي الله عنه أن آخر آية نزلت من كتاب الله واتقوا يوم ترجعون فيه الى الله ثم توفى
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فبكى سليمان فتركه طاوس وانصرف
ومنه ما رواه المدايني قال قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سليمان بن عبد الملك
ان بالسبب رجل يطلب الدخول فقال أدعاه فدخل فقال له سليمان من الرجل
فقال من عبد القيس بن قصي والى مكاهك يا امير المؤمنين بكلام وان كرهته فان
من ورائه ما تحب ان قبلته فقال قل يا أعرابي فقال يا امير المؤمنين انه قدما اكتشفك
رجال باعوا دينك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فبك
تربوا الا نخرة وعروا الدنيا فلا تأمنهم على ما آثمتك الله عليه فانهم لم يأوا
الامانة تضديعوا الامنة خسفوا أنت مسئول عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد
آخرتك فان أعظم الناس غيبا بائع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان يا أعرابي علة
سالت عيناك سالتك فقال أجل يا امير المؤمنين لك لا عليك قال فهل لك من حاجة
في ذات نفسك لتقضي فقال أما حاجة دون عامة فلا ثم قام وخرج فقال سليمان لله
درهما أشرف أصله وأجمع قلبه وأدرب لسانه وأصدق نية وأورع نفسه هكذا
فأمكن الشرف والعقل يومئذ ما كنهه الحسن البصري رجع الله الى عمر بن عبد
العزيز لما بعث اليه يقول له ذكرني بما أتفجع به أو جزف كتب اليه أما بعد فلو كان
لك يا امير المؤمنين عمر تخرج ومالك سليمان وبقين ابراهيم وحكمة لقمان فان ايمانك
هول الموت ومن ورائه دار ان ان أخطأت هذه صرت الى هذه وهي الجنة والنار

فأعمل لذلك والسلام * ومنه ما رواه رباح بن عبيدة قال كتب عمر بن عبد العزيز
إلى طاوس كتابا يسأله عن بعض ما هو فيه فأجابه بكلمات يسيرة ولم يزد عليها
رأيت عمر أتاه كتاب أعجب إليه منه كتب إليه سلام عليك يا أمير المؤمنين فإن الله
تعالى أنزل كتابا أو أحل فيه حلالا أو حرّم فيه حراما وضرب فيه أمثالا وجعل بعضه
متشابهًا فاحل يا أم المؤمنين حلاله وحرّم حرامه وتنفك في أمثال الله تعالى
وأعمل بحكمه وآمن بمتشابهه واعتبر بأمثاله والسلام عليك * ومنه قول محمد
بن كعب وقد دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين اغشا
الديس اسوق من الاسواق خرج منها ناس بما ضرتهم وخرج منها ناس بما نفعهم
وكم من قوم غرّهم منها مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا
منها ملومين لم يأخذوا منها ما أحبوا ومن الآخرة عسدة ولا ما كرهوا جنة واقتسم
ما جعوه من لم يحمدهم وصاروا إلى من لم يعذرهم فائق الله يا أمير المؤمنين وانظر إلى
ما نحب أن يكون معك إذا قدمت إلى ربك عز وجل ففعله والذي تكرهه فاتركه
وافتح الأبواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم ورد الظالم واعلم أن إلانا من كن فيه
فقد استكمل الإيمان بالله عز وجل من إذا رضى لم يدخله رضا في باطل وإذا
غضب لم يخرج غضبه عن الحق وإذا قدر لم يتناول ما ليس له خذها نفعك الله بها
ثم قام وخرج * ومنه قول زياد العبد مولى ابن عباس لعمر بن عبد العزيز وقد دخل
عليه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألد كيف حاله قال سيئ الحال
قال فإن كان خصمين ألدين قال ذلك أسوأ الحال قال فإن كانوا ثلاثة قال لا يهنيه
عيش قال والله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك عند الله تعالى
مطالك أن قصرت في حقه فبكي عمر حتى رقق له من حضر * ومنه ما رواه عثمان
الخراساني قال قال أبي كنت عند هشام بن عبد الملك وقد دخل عليه عطاء بن أبي رباح
سينفقها المجاز فلما رآه قال له مرحبا مرحبا ها هنا ها هنا فرفعه حتى مست
ركبة تركته وعنده أشرف الناس يتخذون فسكتوا فقال هشام ما حاجتك
أبا محمد فقال يا أمير المؤمنين أهل الله وجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم تقسم
فيهم عطاءهم وأرزاقهم فقد تأخرت عنهم فقال نعم يا غلام اكتب لأهل المدينة
وأهل مكة بعطاءهم وأرزاقهم مجلاتهم قال ثم ماذا يا أبا محمد فقال أهل نجد أصل
العرب وقادة الاسلام تردّ فضول صدقاتهم فيهم قال نعم يا غلام اكتب بأن تردّ فيهم

فوصول صدقاتهم ثم قال هل من حاجة غير هذا قال نعم اتق الله يا أمير المؤمنين في
نفسك فانك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك لا والله مامعك من
هؤلاء الذين تراهم أعوانك أحديهم فأكب هشام يبكي وقام عطاء فلما كان
عند الباب وأنا معه وإذا رجل قد تبعه بكيس ما أدري فيه دراهم أو دنائير وقال
إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا فقال له قل له لا أسألكم عليه من أجران أجرى الأعلى
رب العالمين ثم خرج لا والله ما قبل لهم شيئا * ومنه ما قاله الأوزاعي قال كنت
بالساحل فبعثت إلى المنصور فأتيته فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي
وأجلسني وقال ما الذي أبطأك يا أوزاعي عنأقلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال
أريد ألا أخذ عنكم ولا اقتباس منكم قلت فإياك يا أمير المؤمنين أن تسمع شيئا
ولم تعمل به فصاح بي الريع وأومأ يده إلى السيف فأنهره المنصور وقال هذا مجلس
مشوية لا مجلس عقوبة قال الأوزاعي فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية
بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعيال بات غاشبا رعيته حرم الله
عليه الجنة يا أمير المؤمنين إن الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا يبقى لك
كلم يبق لغيرك جاء عن ابن عباس في هذه الآية ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة إلا أحصاها إن الكبيرة القهقهة والصغيرة التسم فكيف يحصاها
الأيدي وحصده إلا السن يا أمير المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب قال لو ماتت شاة
على شاطئ الفرات ضيعة لحشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على
بساطك فأخذ المنصور المنديل ووضعته على وجهه وبكى وانحى إلى أن رجته ثم قلت
يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم التقوى وأنه من
طاب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعفه فحسى
نصيحتي لك يا أمير المؤمنين والسلام عليك ثم نهضت فتمال لي إلى أين فقلت إلى
الولد والوطن بأذن أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى فقال قد أذنت لك وشكرت
نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه فلا تخاني من مطالعتك
إياي بما أفاضلك المقبول غير المتهم في النصيحة قلت أفعل إن شاء الله تعالى قال
محمد بن مصعب فأمر له المنصور بحال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في
غنية عنه وما كنت لأيسع نصيحتي بعرض الدنيا كلها وعرف المنصور مذهبه
وصدق قصده فلم يجد عليه في رده صلتة * ومنه قول شبيب بن شيبة للمنصور

وقد قال له عطفي وأوجز فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى لم يرض لك أن يجعل
فوق منزلك أحدا من خلقه فلا ترض له من نفسك أن يكون عبد من عباده أشكر
منك له ومنه ما رواه الفضل بن الربيع قال حج أمير المؤمنين الرشيد فقال
لي بمكة انظري رجلا أسأله فقلت ها هنا الفضيل بن عياض قال امضي بسأله
فأتته فاذا هو قائم يصلي بتلاوة من القرآن يرددها قال اقرب الباب ففرغته
فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين قال مالي ولا أمير المؤمنين فقلت سبحان
الله أما عليك طاعته فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفا السراج والتجأ
إلى زاوية فدخلنا فجعلنا نلقه بأيدينا فسبقت كف هارون الرشيد إليه قبل
فقال يا لها من كف ما ألينا ان نجت من عذاب الله فقال له خذ لمساخنة
له فقال ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا ساجد عبد الله ومحمد بن
كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على
فعدوا الخلافة بلاء وعددتها أنتوا بحسابك نعمة فقال له سالم ان أردت النجاة من
عذاب الله فهم عن الدنيا واجعل افطارك الموت وقال له محمد بن كعب ان
أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم أخا
وأصغرهم ولدا فوق رأياك وأكرم أخاك وتحن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة
ان أردت النجاة من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك وأكره للمسلمين
ما تكره لنفسك ثممت اذا شئت وأنا أقول لك اني أخاف عليك أشد الخوف
يوم تزل فيه الاقدام فهل معك من أصحابك رجك الله من يشير عليك بمثل
هذا فيك الرشيد بكاء شديدا حتى غشي عليه فقات أرفق يا أمير المؤمنين فقال
لي يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق أنا به فلما أفاق قال زدني رجك
الله قال يا أمير المؤمنين ان العباس عم المصطفى صلى الله عليه وسلم جاء إلى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أمرني على امانة فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم ان الامارة حسرة وزدامة يوم القيامة فان استطعت أن لاتكون
أمير افعل فبكى الرشيد بكاء شديدا وقال زدني رجك الله فقال يا حسن
الوجه أنت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت
أن تقي هذا الوجه من النار فافعل وإياك أن تصيح وتبكي وفي قلبك غش
لا حدم رعتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاشما يرح رائحة

الجنة فيكي الرشيد ثم قال عليك دين قال نعم ديني لربي ولم يحاسبني عليه والويل لي
ان سألني والويل لي ان ناقشني قال انما اعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا
قال الله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال هذه ألف دينار خذها فانفقها
عليك وعلى عيالك وتقرب بها على عبادتك فقال سبحان الله أنا أدلك على طريق
التجاة وأنت تكافئني بمثل هذا سلك الله ووفقك ثم سكت فلم يكلمنا فخرجنا من
عنده فلما صرنا بالباب قال لي الرشيد يا عباس اذا دللتني على رجل فدلتني على
مثل هذا هذا سيد المسلمين * ومنه قضية أبي العتاهية فان أمير المؤمنين الرشيد
زخرق بحماله وبالع فيها وصنع طعاما كثيرا ثم وجهه إلى أبي العتاهية فأتاه فقال
صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال له في الحال

عش ما بدالك سالما * في ظل شاهة القصور

فقال أحسنت ثم ماذا فقال

يسعي عليك بما اشتهيت * لدى الروح وفي البكور

فقال أحسنت ثم ماذا فقال

فاذا النفوس تفرقت * في ضيق حشرة الصدور

فهناك تعلم موقنا * ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لغيره فأخبرته فقال

الرشيد عنه فانه رأى نافي غفلة وعي فكره أن يزيدنا

﴿ وأخر هذا الايقاظ وخاتمة هذه الالفاظ ﴾

وصية ونصيحة أخبر بها أحمد مشايخي الامام العلامة أبو زكريا يحيى بن القاسم

المدرس بالنظامية ببغداد المحروسة بمنزله بها في أوائل سنة عشرة وستمائة قال

أخبرني بها تاج الاسلام أبو عبد الله محمد بن نجيب الموصلي قال أخبرني بها الامام

أبو حامد الغزالي رحمه الله وكتب بها على يدي إلى الشيخ أبي الفتح أحمد بن سلامة

المدرس بالموصل يقول * فيما أقرع سمعي انك تلمس مني كلاما وجيزا في معرض

النصح والوعظ وانى لست أرى نفسي اهلا فان الوعظ زكاة نصابها الايقاظ فمن

لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستدير به غيره ومتى يستقيم الظل

والعود أعوج وقد أوصى الله تعالى عيسى ابن مريم عليه السلام يا ابن مريم عظم نفسك

فاذا اتعظت فعض الناس والافاستحي مني وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تركت فيكم

واعطين ناطقا وصاعما فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت ومن لم يتعظ بهما فكيف يعظ غيره ولقد وعظت نفسي بهما فقلت صدقت قولها وعلمت وأبنت وعترت تحقيقا وفعلات لنفسى أما أنت مصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق وأنه كلام الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقلت بلى فقلت قال الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا ينجسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وجمعت ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون فقلت أوعده الله بالنار على إرادة الدنيا وكل ما لا يعجبك بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن حب الدنيا وأرادتها ولو أن طيعنا نصرانيا وعدك بالموت أو المرض على تساؤل ألد الشهوات لتساميتها وأنفيتها أفكان النصراني عندك أصدق من الله فان كان كذلك فما أجهلك وأكفره وان كان المرض أشد عليك من النار فان كان كذلك فما أجهلك فصددت ثم ما انتفعت بل أصرت على الميل إلى العاجلة واستمرت ثم أقيمت عليها فوعظها الواعظ الصامت فقلت قد أخبر الناطق عن الصامت إذ قال الله تعالى قل إن الموت الذي ترون منه فإنه لا قبمكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقلت لها هي أنكملت إلى العاجلة أفلمست مصدقة بأن الموت لا محالة يأتيك قاطع عليك ما أنت متمسكة به وسألب منك كل ما أنت راغبة فيه وإن كل ما هو آت قريب وإن البعيد ما ليس بآت وقد قال الله تعالى أفرايت أن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يعملون فكلأنا ذلك مخرجة الوعظ عن جميع ما أنت فيه قالت صدقت فكأن ذلك منها قول لا تحصيل ورايه ولم يجتهد قط في تردد الآخرة كاجتهادها في طلب رضاها وطلب رضا الخلق ولم تستحي قط من الله تعالى كما تستحي من واحد من الخلق ولا تشهر لاسمته عدا إلا آخرة كتشهرها في الصيف لأجل الشتاء وفي الشتاء لأجل الصيف فانها لا تطمئن في أوائل الشتاء ما لم تنفرغ من جميع ما تحتاج إليه فيه مع أن الموت ربما يحتفظها والشتاء لا يدركها والآخرة عندها يقين فلا يتصور أن يحتفظ منها فقلت لها ألسنت تستعدين للصيف بقدر طولته وتصنعين آله الصيف بقدر صبرك على الحرق قالت نعم قلت فاعصى الله بقدر صبرك على النار واستعدي للآخرة بقدر بقائك فيها فقلت هذا هو الواجب الذي لا يرحص في تركه إلا الحق ثم استمرت على

على سجيها ووجدتني كما قال بعض الحكماء في الناس من يخرج نصفه ثم لا يترك نصفه
الآخر ولا أواني الامم ولسان اتهام قسادية في الطغيان غير متفعة بموعدة الموت
والقرآن رأيت أهم الامور التي تفتش عن سبب تسادها مع اعتناقها وتصديقها فان
ذلك من البهاث الباطل فطال تفتيشي عنه حتى وقفت على سببه وهما أنا موسى
نفسى وإياك بالخذرمته فهو الداء العظيم وهو السبب الداعي الى الغرور والاهمال
وهو اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه وأخبره صادق في
بياض نهاره أنه يموت في ليلته أو يموت الى اسبوع أو شهر لاستقام واستوى على
الصراط المستقيم وترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه يتعاطاه الله وهو فيه مغرور
فيضلا عما ليس لله تعالى فأنكشف لي تحقيقا أن من أصبح وهو يؤمل انه يمسي
أو أمسى وهو يؤمل أنه يصبح لم يفل من القصور والتسويق ولم يقدر الا على سير
ضعيف فأوصيه ونفسي بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال صلى
صلاة مودع ولقد أوفى جوامع الكلام وفصل الخطاب ولا يتفجع بوعظ الابه ومن
غلب عليه ظنه في كل صلاة أنها آخر صلاته حفر من مخوفه من الله ونخشيتة منه
ومن لم يحظر مخاطره قصر عمره وقرب أجله غفل قلبه عن صلاته وسبقت نفسه
فلما زال في غفلة دائمة وقبور مستقر وتسويف متتابع الى أن يدركه الموت وتهاكم
حسرة الفوت وأنامتج عليه أن يسأل الله تعالى أن يرزقني هذه الرتبة فاني
طالب لها وقاصرها وأوصيه أن لا يرضى لنفسه الا بها وأن يحذر مواقع الغرور
فيها ويعترف من مداع النفس فان غداها لا يفعله الا كالب وقيل لما هم
والوصايا وان كانت كثيرة والمذكرات وان كانت كثيرة فوصية الله اكملها
وأجمعها وأشملها وأجمعها وقال عز وجل في محكم القرآن الكريم ولقد وصينا
الذين آوتوا الكتاب من قبلكم وياكم أن اتقوا الله فما أسعد من قبل وصية الله
تعالى وعمل بها وأدبرها لنفسه ليجريها يوم مردها ومقلبها * فهذه اشارات
نافعة ومذكرات جامعة صدرت من تذكير عصره وبقي ذكره ورقم في صحيفة
أعماله وثوابه وأجره فالله سبحانه وتعالى يوفى لا اعتبارا بأسمائها وينفع بها كل
أذن تعمها وكرمه مسؤول في توفيقها وهداية وإرشاد فان من وفقه الله تعالى
يجعل له دايمة أسبابا ويفتح له بين يديه الى رشده أبوابا فيحصل له الهداية من
حيث لم يحتسبها وتسهل له العناية الزبانية وهو لم يكتب بها كمال عبد الله العبداني

قال كان من اجل يقال له مازن وكان بقريه من عمان يقال لها شمائل وفيها صنم
تعظمه بنو الصامت من طي ومهرة ويذبحون له ويتقربون بالنبايح اليه وكان هذا
مازن يخطبه قال مازن فمقرنا يوم عقيرة وهي الذبيحة فسمعت صوتا من الصنم وانا
عنده وليس عنده غيري

يا مازن اسمع بصر * ظهر رهيرو بطن شر * بعث نبي من مضر

بدين الله الاكبر * فودع نصبتا من حجر * تسلم من حوسقر

فقلت ان هذا ليجب واخذني من ذلك ما اخذني ثم بدأ يام عقيرة عقيرة أخرى له
فلما ذبحتها سمعت الصوت بعينه من الصنم * اقبل الى اقبل * اسمع ما لا يجهل
هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل * فامن به لتعدل * عن حنار تشعل *
وقودها بالبخندل * فقلت ان هذا ليجب واخذني ما اخذني وقلت ما هذا الاخير
يراد بي فيمنما انا كذلك اذ قدم رجل من اهل الحجاز فقلت ما الخبر وراءك فقال
قد ظهر رجل من قريش يقال له احمدي يقول لمن اتاه احيوا داعي الله فقلت هذا
نبا امرى فثرت الى الصنم فسكمرته قطعا وركبت جملي حتى قدمت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام فاسلمت وهديت * فهذا لما كتب اليه القدر
الرباني بعلمه ونخط هدايته في سابق القضاء وقدمه اتقذه الله تعالى من الضلالة
وساقه الى الهداية على لسان صفيه وقد تجرى الاقدار في السابقة بحسن الخاتمة
لا قوام ذوى قلوب غافلة وعميون نائمة فتوقظهم في آخر امرهم وتورثهم من الاخرة
عيشة راضية في سعادة دائمة كما حدث صدوقين مرداس البكرى قال نظرت الى
ثلاث قبور على شرف من الارض مما يلي بلاد طرابلس وعلى كل واحد منهم شيء
مكتوب واذا هي قبور مسنمة على قدر واحد مصطفة بعضها الى جنب بعض ليس
عندها غيرها ففتحت منها وبرزت الى القرية القرية منها فقلت لنسبح جلست
اليه لقد رأيت في قريته كم عجب ما قال وما رأيت فتقصصت عليه قصة القبور قال
قد ينهم أعجب مما رأيت فقلت حدثني امره قال كانوا ثلاثة اخوة أحدهم أمير
يعجب السلطان ويؤمر على المداشر والجيوش والاخر تاجر موسر مطاع في ناحيته
والاخر زاهد قد تخلص بنفسه وتفرغ لعبادة ربه قال فحضرت أخاهم العابد الوفاة
فاجتمع عنده أخواه وكان الذي يعجب السلطان قدولى بلادنا هذه امره عليها
عبد الملك بن مروان وكان في امرته ظالما غشوما متعسفا فلما حضرا عند أخيهما

قال له ألا توصي قال له مالي والله مالي مال أوصي فيه ولا لي على أحد دين فأوصي به
ولا أخلف من الدنيا شيئاً فأوصيه فقال له أخوه الأمير يا أخي قل ما بدا لك
وما تشتهي أن يفعل فهذا مالي بين يديك فأوص منه بما أحببت وأعهد لي بما
شئت لا فعله فسكت عنه ولم يجاوبه فقال أخوه الصاحب يا أخي قد عرفت مكسبي
وكثرة مالي فلعل في قلبك حاجة من الخير لم تبلغها إلا بالاتفاق فهذا مالي بين يديك
فاحكم فيه بما أحببت ينفذه لك أخوك فأقبل عليهما وقال لا حاجة لي في مالكما
ولكن أعهد اليكما عهداً فلا يخطا الفنى فيه أحد منكما قال أأعهد قال إذا مت ففسلاني
وأدفناني على ثمن من الأرض واكتب علي قبري

وكيف يلد العيش من هو عالم * بان اله الخلق لا بد سائله
فما أخذ منه فإله لعباده * ويخزيه بالخير الذي هو فاعله
فإذا فعلت ذلك فائتني في كل يوم مرة ثلاثة أيام لعلكم تتعظان بي قال فلما مات فعلا
ذلك فكان أخوه الأمير كل يوم يركب في جندته حتى يقف على القبر فينزل فيقرأ
عليه ما تيسر ويكي فلما كان في اليوم الثالث جاء كل واحد بحىء مع جندته فنزل فلما
أراد أن ينصرف سمع هدة من داخل القبر كاد ينصدع لها قلبه فأنصرف مذعوراً
فزعاً فلما كان في الليل رأى أخاه في منامه فقال يا أخي ما الذي سمعت من قبرك قال
لي تلك المفعمة قيل لي رأيت مظلوماً فلم تنصروه قال فأصبح مهموماً فدفن أخاه وخاصة
وقال ما أرى أخي أراد بما أوصانا أن نكتبه على قبره غيري وأني أشهد حكم
أنى لا أقيم بين أظهركم وترك الأمانة ولزم العباد فكتب أصحاب عبد الملك بن
مروان إليه في ذلك فكتب أن خسلوه وما أراد قال فصار يأوى الجبال إلى أن
حضرته الوفاة في هذا الجبل وهو مع الرعاة فبلغ ذلك أخاه فأثاء وقال يا أخي ألا توصي
فقال مالي من مال فأوصي به ولو كن أعهد اليك عهداً إذا أنا مت فجهزني فادفني
إلى جنب أخي واكتب علي قبري

وكيف يلد العيش من كان موقناً * بان المنايا بغتة ستعاجله
فقسيله ملكاً عظيماً ونعمة * وتسكنه القبر الذي هو آله
ثم تعاودني ثلاثاً بعد موتى فادع لي لعل الله أن يرحمي فلما مات فعلم به أخوه ذلك
فلما كان في اليوم الثالث من اثباته إياه جاء على عادته فدعاه وبكى عند قبره
فلما أراد أن ينصرف سمع وجبة في القبر كادت تذهب بعقله فرجع مقللاً فلما كان

في الليل اذا باخيه قد اتاه في منامه قال فلما رأيتك وثبت اليه وقلت يا أخى أتيتنا زائراً قال هيأت يا أخى بعد المزار فلا مزار واطمأنت بنا الدار قال فقلت كيف أخى قال ذلك مع الأئمة الأبرار فقلت فما أمرنا عندكم قال من قسم شيئا من الدنيا وجدته فاختتم وجودك قبل فقدك قال فأصبح أخوه معترلاً للدنيا منخلها منها ففرق أمواله وقسم رباعه وأقبل على طاعة الله عز وجل قال ونشأ له ابن حسن الشبيب والهيئة فاشتغل بالتجارة فحضرت أباه الوفاة فقَالَ له يا بُنَيَّ ألا توصي قال يا بُنَيَّ ما بقي لي مال لا وصي به ولكن اذا أنا مت فادفني الى جنب عمومتك واكتب على قبري

وكيف يلد العيش من هو صائر * الى جدث تيلي الثياب منازلها
ويذهب حسن الوجه من بعد صونه * سر يعاوي لي جمعه ومقاتله
واذا فعات ذلك فتعاهدني بنفسك ثلاثا وادع لي ففعل الفتى فلما كان في اليوم الثاني سمع من القبر صوتا اقشعر له جلده وتغير لونه ورجع مغموما الى أهله فلما كان من الليل أتاه أبوه في منامه وقال له يا بُنَيَّ أنت عندنا عن قليل والامراة والموت أقرب من ذلك فاستعد لسفرك وتأهب لرحلتك وحول جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن الى المنزل الذي أنت فيه مقيم ولا تتر بما اغتر به الغافلون قبلك من طول آما لهم فقصر واعن أمر معادهم فدمعوا عند الموت أشدا الندامة وأسفوا على تضيق العمر أشدا الأسف فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الأسف على التقصير أنقذهم من شر ما لقا المغبون يوم الحشر يا بُنَيَّ فبادر ثم بادر ثم بادر * قال صدقة بن مرداس قال الشيخ الذي حدثني هذا الحديث فدخلت على الفتى صبيحة ليلته من الرؤيا فقصصها علينا وقال ما أرى الامر الا كما قال أبي ولا أرى الموت الا قد قرب فجعل يفرق ماله ويتصدق ويقضي ديونه ويسجل من خطائته ومعامله ويودعهم كهيفة رجل قد أنذر بأمر فهو يتوقعه ويقول قال أبي بادر ثم بادر ثم بادر فهى ثلاث ساعات وقدمضت أو ثلاثة أيام وأتى لي بها أو ثلاثة أشهر وما أراى أذكرها أو ثلاث سنين وهوا كثر ذلك قال فلم يزل يقسم أمواله ويتصدق حتى اذا كان في آخر اليوم الثالث من ليلة هذه الرؤيا دعا أهله فودعهم ثم استقبل القبلة ومدد نفسه ونمض عينيه وتشهد شهادة الحق ثم مات رحمه الله تعالى قال فكث الناس حينئذ يتأبون قبره من الامصار يصلون عليه وكم من أمثال هؤلاء

بمن هداهم الله تعالى لرشدكم فألقى في قلوبهم حلاوة انقطاعهم وزهدهم وأيقظ
 بهم من جاء من الخلف من بعدهم بتوقيه وإشارة كما ان الانقطاع الى الله
 طلب العبادته والزهادة في الدنيا للتفرغ لطاعته طريق موصول الى النجاة من
 أليم عقوبته ووسيلة الى الفوز الاكبر بدخول جنته وعنوان سعادة لسالكه
 بتوقيه وهدايتيه فندرج من الله لهذا الطالب الاعظم طرقا أخرى وأقام لها
 أقوالا شرح لكل واحد منهم لعل لو كها صعدوا وفاتت أعمال مراتبهم في التقرب
 اليه فعمل لكل شيء منها قدرا فأعجزها نفعها وأعظمها عند الله سبحانه وقعا
 وأحبها عليهم الى الله تعالى عقلا وشرعا من رزقه الله تعالى قدرة وسلطانا
 فأقام الحق وبسط العدل وأحب الشرع وأعطى الملهوف ونصر المظلوم وردع الظالم
 وقع الفساد وجبر الكسير وفك الأسير وفرج عن المكروب وأمر بالمعروف ونهى
 عن المنكر وحي حوزة الدين ونظر في مصالح المسلمين فهذا من أقرب الطائفتين
 الى الله منزلة وأقومهم طريقة وأخصهم بحبه الله تعالى له فقد نقل عن النبي
 صلى الله عليه وسلم انه قال الناس عيال الله فأحبهم اليه أنفقهم لعيله والله المستوفى
 أن يعرض المولى السلطان لأقامة هذه السنن بتأييده ويجعله في الدنيا
 والآخرة نورا تتأجر هذه السنن من أسعد عبيده وينظم له جواهر هذه
 الصفات في حلية عقوده ويمد من ملائكته المسومين
 بجند يكوون من أنصاره وجنوده بمجتهد وآله أجمعين
 وليكن هذا الدعاء ان شاء الله تعالى لهذا
 الكتاب ختام كلماته وتمام مقاماته وسر
 هفواته زككته في سبيل الله كما أنه نصرته
 قسمااته وغرة سماته ان شاء الله
 تعالى والحمد لله
 وحده

بسم الله الملك المنان قد تم طبع هذا الكتاب الجليل الشأن الرقيق في سماء
 الفصاحة الى أعلاها البالغ من محاسن البراعة الى مستهاها قد جمع من
 مهمات الاخلاق والصفات والسلطنة والولايات والشرائع والديانات
 ما تقر به العيون وتسط به نفس المحزون مع عبارات فائقة وأسارات رائعة
 ومسائل شريفة ومطالب منيفة تشهد لؤلؤها بتقدمه في كل العلوم وإزازه
 نصب السبق في ميدان المنطوق والمفهوم « وكان طبعه في مطبعة الوطن في سنة